العواصم من القواصم

فی تحقیق مواقف الصحابة بعد وفاة النبی صلی اللہ علیہ وسلم

تالیف

القاضی ابی بکر بن العربی رحمہ اللہ

(٤٦٨ ـــــ ٥٤٣ ھ)

حققه وعلق حواشية

محب الدین الخطیب

سہیل اکیڈیمی

لاھور ○ باکستان

ألطبعة الأولى : ۱۱۰۰ ۱۳۹۵ھ / ۱۹۷۵م
ألطبعة الثاني : ۱۱۰۰ ۱٤۰۳ھ / ۱۹۸۳م

الناشر : سهيل اکيڈمي، محمد علي امين مارکيٹ، چوک اردو بازار، لاهور، پاکستان
اهتم بطبعه ونشره : محمد اسلم سهيل
طبع في ايورگرين پريس، چيمبرلين روڈ، لاهور

تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنعم على الإنسانية برسالة الإسلام ، وصلى الله وسلم على الإنسان الأعلى ، والمعلم الأكمل ، محمد بن عبدالله صفوته من خلقه . وأعلى مقام الذين قاموا بتحقيق رسالته ، ممن تشرفوا بصحبته ، وأحسنوا الخلافة على أمته . ومن واصلوا عملهم بعدهم ، ملتزمين سنتهم ، ومتحرّين أهدافهم ، إلى يوم الدين

وبعد فان هذا العالم الاسلامىّ الذى نعتز بالانتساب إليه ، ونعيش لإسعاده والسعادة به ، قد افتُتح أكثرُه فى الدولة الاسلامية الأولى بعد الخلفاء الراشدين ، ودخل معظم شعوبه فى هداية الاسلام على أيدى الخلفاء الأمويين وولاتهم وقواد جيوشهم ، إتماماً لما بدأ به صاحبا رسول الله ﷺ وخليفتاه الأولان - أبو بكر وعمر - سلام الله عليهما ، ورضى عنهما وأرضاهما ، وأحسن جزاءهما عنا وعن الاسلام نفسه وجميع أهله

وإن حادثة انتشار الاسلام ، ودخول الأمم فيه ، أصبحت فى ذمة التاريخ . والأجيالُ التى أتت بعد ذلك إلى يومنا هـذا منهم من يفتخر بذلك ، ويمتلىء قلبه سروراً به ، ويدعو بالخير لمن كانوا سبب هذا الخير العظيم . ومنهم من ابتأس به ، وامتلأ فؤاده حقداً على الذين عملوا فيه ، وجعل من دأبه أن يصمهم بكل نقيصة

وقد نعذر الذين لم يذوقوا حلاوة الاسلام ، وحالت البيئة بينهم وبين الأنس بعظمته ، وشريف أغراضه ، وسيرة الذين قاموا به ، إذا نظروا إلى تاريخ الاسلام نظرة خاطئة ، واتخذوا له فى أذهانهم صورة غير صورته التى كانت له فى الواقع . ولكنى أعترف — ولا فائدة من الإنكار — بأن فى المنسوبين إلى الاسلام من يبغض حتى الخليفة الأول لرسول الله ﷺ ويقلب جميع حسناته سيئات . وإن أحد الذين شاهدوا بأعينهم عدل عمر ، وزهده فى متع الدنيا ، وإنصافه لجميع الناس ، لم يستطع أن يمنع الحقدَ الذى فى فؤاده على الاسلام من أن يدفعه إلى طعنه بالسكين دون أن يسىء إليه . وفى قومِ طاعنِ عمرَ بالسكين من يؤلفون المؤلفات إلى يومنا هذا فى تشويه حسنات هذا المثل الأعلى للعدل والإنسانية والخير . وفى عصر عثمان من ضاقت صدورهم بطيبة ذلك الخليفة الذى خلق قلبه من رحمة الله ، فاخترعوا له ذنوباً ، وما زالوا يكررونها على قلوبهم حتى صدّقوها ، وتفننوا فى إذاعتها ، ثم استحلوا سفك دمه الحرام ، فى الشهر الحرام ، بجوار قبر أبى زوجتيه محمد عليه الصلاة والسلام . وما برحت الانسانية تشاهد المعجزات من رجالات الاسلام فى نشره وإدخال الأمم فيه وتوسيع النطاق فى الآفاق لكلمة « الله أكبر . . . حىّ على الفلاح » حتى نودى بها على جبال السند ، وفى ربوع الهند ، وعلى سواحل المحيط غرباً ، وفى أودية أوربا وجبالها ، بما لم يملك أن يصفه حتى أعداء الاسلام إلا بأنه معجزة . كل هذا فى زمن هذه الدولة الأموية التى لو صدر عن المجوس ، وعبدة الأوثان ، عُشرُ ما صدر عنها من الخير ، وجزء من مائة جزء مما أثر عن رجالها من إنصاف ومروءة وكرم وشجاعة وإيثار وفصاحة ونبل ، لرفعوا لأولئك

المجوس والوثنيين ألوية الثنـاء والتقدير فى الخافقين . والتـاريخ الصادق لا يريد من أحد أن يرفع لأحد لواء الثناء والتقدير ، لـكنه يريد من كل من يتحدّث عن رجاله أن يذكر لهم حسناتهم على قدرها ، وأن يتق الله فى ذكر سيئاتهم فلا يبالغ فيها ولا ينخدع بما افتراه المغرضون من أكاذيبها

ونحن المسلمين لا نعتقد العصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ ، وكل من ادّعى العصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ فهو كاذب . فالإنسان إنسان ، يصدر عنه ما يصدر عن الانسان ، فيـكون منـه الحق والخير ، ويكون منه الباطل والشر . وقد يكون الحق والخير فى إنسان بنطاق واسع فيعد من أهل الحق والخير ، ولا يمنع هذا من أن تـكون له هفوات . وقد يكون الباطل والشر فى إنسان آخر بنطاق واسع ، فيعدّ من أهل الباطل والشر ، ولا يمنع هذا من أن تبدر منـه بوادر صالحات فى بعض الأوقات

يجب على من يتحدّث عن أهل الحق والخير إذا علم لهم هفوات ، أن لا ينسى ما غلب عليهم من الحق والخير فلا يكفر ذلك كله من أجل تلك الهفوات . ويجب على من يتحدث عن أهل الباطل والشر إذا علم لهم بوادر صالحات ، أن لا يوهم الناس أنهم من الصالحين من أجـل تلك الشوارد الشاذة من أعمالهم الصالحات

إن أحداث المـائة الأولى من عصور الاسلام كانت من معجزات التاريخ ، والعمل الذى عمله أهل المائة الأولى من ماضينا السعيد لم تعمل مثله أمة الرومان ، ولا أمة اليونان قبلها ، ولا أمة من أمم الأرض بعدها

أما أبو بكر وعمر ، وسائر الخلفاء الأربعة الراشدين ، وإخوانهم من العشرة المبشرين بالجنة ، وطبقتهم من أصحاب رسول الله ﷺ ،

خصوصاً الذين لازموه وراقبوه وتمتعوا بجميل صحبته ـ مَن أنفق منهم من قبل الفتح وقاتل ، والذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا ـ فانهم جميعاً كانوا شموساً طلعت فى سماء الانسانية مرة ، ولا تطمع الانسانية بأن يطلع فى سمائها شموس من طرازهم مرة أخرى ، إلا إذا عزم المسلمون على أن يرجعوا إلى فطرة الاسلام ، ويتأدبوا بأدبه من جديد ، فيخلق الله منهم خلقاً آخر يعيش للحق والخير ، ويجاهد الباطل والشر ، حتى تعرف الانسانية طريقها الحقيقى إلى السعادة . وهذه الشموس من أصحاب رسول الله ﷺ تتفاوت أقدارها ، وتتباين فى أنواع فضائلها ، إلا أنها كلها كانت من الفضائل فى مرتقىً درجاتها . وإذا بدأ المشتغلون بتاريخ الاسلام من أفاضل المسلمين فى تمييز الأصيل عن الدخيل من سيرة هؤلاء الأفاضل العظماء ، فانهم ستأخذهم الدهشة لما اخترعه اخوان أبى لؤلؤة ، وتلاميذ عبدالله بن سبأ ، والمجوس الذين عجزوا عن مقاومة الاسلام وجهاً لوجه فى قتال شريف ، فادعوا الاسلام كذباً ، ودخلوا قلعته مع جنوده خلسة ، وقاتلوهم بسلاح (التقية) بعد أن حوّلوا مدلولها إلى النفاق ، فأدخلوا فى الاسلام ما ليس منه ، وألصقوا بسير رجاله ما لم يكن فيها ولا من سجية أهلها . وبهذا تحولت أعظم رسالات الله وأكملها إلى طريقة من الخمول والعطالة والجمود كان من حقها أن تقتل الاسلام والمسلمين قتلا ، لولا قوة الحيوية الخارقة التى فى الاسلام ، وهى التى يرجىً إذا رجعنا إليها ، وجرّدناها من الطوارىء عليها ، وخلصنا سيرة رجالها مما شيبت به ، وسرنا فى طريقهم مخلصين ، أن نعود مسلمين من ذلك الطراز الأول كما كان فى الواقع ، لا كما أراد مبغضو الصحابة والتابعين لهم بإحسان أن يعرضوه على الناس

ونحن بتقديمنا هـــذه الحقائق من قلم الإمام ابن العربى ، أو من النصوص الأصيلة التى علقنا بها عليها ، إنما أردنا عكس مايريد المتعرّضون لهذه البحوث من ترديد خلافات عفى عليها الزمن . والصحابة كانوا أسمى أخلاقاً وأصدق إخلاصاً لله وترفعاً عن خسائس الدنيا من أن يختلفوا للدنيا ، لكن كان فى عصرهم من الأيدى الخبيثة التى عملت على إيجاد الخلاف وتوسيعه ، مثل الأيدى الخبيثة التى جاءت فيما بعد فصوّرت الوقائع بغير صورتها . ولما كان أصحاب رسول الله ﷺ هم قدوتنا فى ديننا ، وهم حملة الكتاب الإلهى والسنة المحمدية إلى الذين حملوا عنهم أماناتها حتى وصلت إلينا ، فإن من حق هـذه الأمانات على أمثالنا أن ندرأ عن سيرة حفظتها الأولين كل ماألصق بهم من إفك ظلماً وعدواناً ، لتكون صورتهم التى تعرض على أنظار الناس هى الصورة النقية الصادقة التى كانوا عليها ، فتحسن القدوة بهم ، وتطمئن النفوس إلى الخير الذى ساقه الله للبشر على أيديهم . وقد اعتبر فى التشريع الاسلامى أن الطعن فيهم طعن فى الدين الذى هم رواته ، وتشويه سيرتهم تشويه للأمانة التى حملوها ، وتشكيك فى جميع الأسس التى قام عليها كيان التشريع فى هذه الملة الحنيفية السمحة . وأول نتائجه حرمان شباب الجيل ، وكل جيل بعده ، من القدوة الصالحة التى منّ الله بها على المسلمين ليتأسوا بها ، ويواصلوا حمل أمانات الاسلام على آثارها ، ولا يكون ذلك إلا إذا ألموا بحسناتهم ، وعرفوا كريم سجاياهم ، وأدركوا أن الذين شوهوا تلك الحسنات وصوروا تلك السجايا بغير صورتها ، إنما أرادوا أن يسيئوا إلى الاسلام نفسه بالاساءة إلى أهـله الأولين . وقد آن لنا أن ننتبه من هذه الغفلة فنعرف لسلفنا أقدارهم لنسير فى حاضرنا على هدى ونور من

سيرتهم الصحيحة وسريرتهم النقية الطاهرة

وهذا الكتاب الذى ألفه عالم من كبار أئمة المسلمين بياناً لما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ من صفات الكمال ، وإدحاضاً لما ألصق بهم وبأعوانهم من التابعين لهم بإحسان ، يصلح على صغره لأن يكون صيحة من صيحات الحق توقظ الشباب المسلم إلى هذه الدسيسة التى دسها عليهم أعداء الصحابة ومبغضوهم ، ليتخذوها نموذجاً لأمثالها من الدسائس ، فيتفرّغ الموفقون إلى الخير منهم لدراسة حقيقــة التاريخ الاسلامى ، واكتشاف الصفات النبيلة فى رجاله ، فيعلموا أن الله عز وجل قد كافأهم عليها بالمعجزات التى تمت على أيديهم وأيدى أعوانهم فى إحداث أعظم انقلاب عرفه تاريخ الانسانية . ولو كان الصحابة والتابعون بالصورة التى صورهم بها أعداؤهم ومبغضوهم لكان من غير المعقول أن تتم على أيديهم تلك الفتوح ، وأن تستجيب لدعوتهم الأمم بالدخول فى دين الله أفواجاً

والقاضى أبو بكر ابن العربى مؤلف « العواصم من القواصم » إمام من أئمة المسلمين، ويعتبره فقهاء مذهب الامام مالك أحد أئمتهم المقتدى بأحكامهم ، وهو من شيوخ القاضى عياض مؤلف كتاب « الشفا » فى التعريف بحقوق المصطفى ، ومن شيوخ ابن رشد العالم الفقيه والد أبى الوليد الفيلسوف ، ومن تلاميذه عشرات من هذه الطبقة كما سترى من ترجمته الآتية بعد . وكتابه « العواصم من القواصم » من خيرة كتبه، ألفه سنة ٥٣٦ وهو فى دور النضوج الكامل بعد أن امتلأت الأمصار بمؤلفاته وبتلاميذه الذين صاروا فى عصرهم أئمة يهتدى بهم . وهذا الكتاب فى جزءين متوسطى الحجم ، ومبحث الصحابة الذى نقدمه لقرائنا هو أحد مباحث جزئه الثانى (من ص ٩٨ إلى ص١٩٣ من طبعة المطبعة الجزائرية

الاسلامية فى مدينة قسنطينة بالجزائر سنة ١٣٤٧) وكان قد وقف على تلك الطبعة شيخ علماء الجزائر الأستاذ عبد الحميد بن باديس رحمه الله ومما يؤسف له أن الأصل الذى اعتمد عليه فى تلك الطبعة كان مكتوباً بقلم ناسخ غير متمكن ، فوقعت فيه تحريفات لفظية وإملائية حرصنا على ردها إلى أصلها ، بل إن النسخة المخطوطة التى طبعت عليها طبعة الجزائر يظهر أن المجلد وضع بعض ورقاتها فى غير موضعها ، فارجعناها إلى مادل عليه السياق فى القول ، والترتيب فى المسائل . وفيما عدا ذلك التزمنا الأمانة فى عرض الكتاب الى أقصى غاية . وعلقتُ على كل بحث منه بما يزيده وضوحاً ، مقتبساً ذلك من أوثق المراجع وأمهات الكتب الاسلامية المعتمدة ، مبيناً فى كل نص مأخذه بكل أمانة ووضوح

وأرجو الله أن يجزل ثواب الامام ابن العربى على دفاعه هذا عن أصحاب رسول الله الذين حملوا معه ﷺ أعظم رسالات الله ، وكانوا أصدق أعوانه على تبليغها فى حياته وبعد أن اختاره الله إليه . بل كانوا سبب كياننا الاسلامى ، ولهم ثواب انتمائنا إلى هذه الملة الحنيفية السمحة التى لا عيب لها غير تقصيرنا فى التخلق بآدابها فى أنفسنا ، وتعميم سننها فى بيوتنا ومجتمعنا وأسواقنا ومحاكمنا ودور حكمنا . وعسى أن يكون فى قراء هذا الكتاب من يعاهد الله على أن يكون خيراً منا عملا وأصح منا علماً ، وعلى الله قصد السبيل

محب الدين الخطيب

القاضى أبو بكر بن العربى

مؤلف (العواصم من القواصم)

٤٦٨ — ٥٤٣

نشأته الاولى

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربى المعافرى ولد فى إشبيلية — لما كانت كبرى عواصم الأندلس — فى يوم الخميس ٢٢ من شهر شعبان سنة ٤٦٨ فى بيت من أعظم بيوتها بعد بيت مليكها المعتمد بن عبّاد . وكان أبوه عبد الله بن محمد بن العربى من وجوه علماء الدولة وكبار أعيانها ، كما كان خاله أبو القاسم الحسن بن أبى حفص الهوزنى فى مكانة رفيعة من المجتمع الأندلسى . غير أن هذين البيتين كانا على طرفى نقيض فى مشربهما السياسى : فوالد ابن العربى من أولياء الدولة المتمتعين بالمكانة والوجاهة عند ولىّ أمرها ، وخاله من أهل التوثب والطموح ، وله مشاركة فى التآمر على المعتمد لقتله والده أبا حفص الهوزنى ، فكان خال ابن العربى على اتصال بيوسف بن تاشفين صاحب المغرب يواصل تحريضه على ابن عباد « حتى أزال ملكه ، ونثر سلكه ، وسبب هُلكه » كما يقول الشهاب المقّرى فى (نفح الطيب(١))

فى هذه البيئة الكريمة العزيزة بالعلم نشأ ابن العربى ، ومنها أطلّ على الدنيا فى السنوات الأولى من حياته . وعن هذين الرجلين — أبيه وخاله — تلقى

---

(١) ج ٢ ص ١٣ طبعة سنة ١٣٠٢ • وقد قبض ابن تاشفين على المعتمد وسجنه بمدينة (أغمات) فبقى فيها سجينا إلى أن مات فى شوال سنة ٤٨٨ . وكان هذا الانقلاب نكبة على بلاد دولته ، ولا سيما أهل عاصمته ، وأشد ما كان ذلك على حاشيته وذوى مودته

ثقافته الأولى وأساليب تربيته ، يساعدها على ذلك أستاذه الخاص أبو عبدالله السرقسطى . وقد أعانت هؤلاء الثلاثةً على مهمتهم فى تكوين صفات المروءة فيه مواهبُ ممتازة من الذكاء وسعة المدارك ودماثة الخلق تحلى بها هذا الناشىء الممتاز بكل ما يهيىء له نضوج رجولته المبكرة ، حتى قال هو عن نفسه : حذقتُ القرآن وأنا ابن تسع سنين، ثم ثلاثاً لضبط القرآن والعربية والحساب ، فبلغت ست عشرة سنة وقد قرأت من الأحرف - أى من القراءات - نحواً من عشرة بما يتبعها من إظهار وإدغام ونحوه . وتمرنت فى الغريب والشعر واللغة »

رحلته عن اشبيلية

ولما بلغ السابعة عشرة قضى الله بسقوط دولة آل عباد فى سنة ٤٨٥ ، فخرج به أبوه من اشبيلية يوم الأحد مستهل ربيع الأول قاصداً شمال افريقية فكان أول نزولهم فى ثغر أنشىء منذ سنين قريبة على ساحل بلاد الجزائر ، وهو ثغر (بجاية) الذى اكتشف مكانه محمد بن البَعبع من رجال تميم بن المعز ابن باديس ، واتفق على إنشائه وتمصيره فى سنة ٤٥٧ مع الناصر بن علناس ابن عم تميم المنافس له ، وجعلا هذا المرفأ ملتقى الطرق على البحر الأبيض بين الأندلس والمغرب والجزائر وتونس . فنزل ابن العربى مع والده وأسرته فى ثغر بجاية ولبثوا فيه مدة تتلمذ فيها ابن العربى على كبير علماء هذا البلد أبى عبد الله الكلاعى ، ثم ركبوا البحر مشرّقين إلى ثغر (المهدية) ، وفيها أخذ فتانا عن عالمها أبى الحسن على بن محمد بن ثابت الحداد الخولانى المقرىء ، قال ابن العربى « فكنت أحضر عليه كتابه المسمى بالاشارة وشرحها وغيرهما من تآليفه ، وكان ذلك بالمهدية فى شهور سنة ٤٨٥ » . وفى المهدية أيضاً أخذ عن الامام أبى عبد الله محمد بن على المازرى التميمى (٤٥٣ - ٥٣٦)

تعرض سفينته للغرق

ولما رحلوا عن المهدية قاصدين السواحل المصرية تجدّدت لهم النكبة

بهياج البحر عليهم ، فوقعوا من ذلك فى حادث استحسنتُ أن يقف القارى على وصفه من قلم ابن العربى نفسه عند ما ألف تفسيره (قانون التأويل(١)) قال : « وقد سبق فى علم الله أن يعظم علينا البحر بزَوْلـه(٢) ، ويغرقنا فى هوله . فخرجنا من البحر ، خروج الميت من القبر . وانتهينا بعد خطب طويل - إلى بيوت بنى كعب بن سُليم - ونحن من السغب ، على عطب . ومن العرى، فى أقبح زِى. وقد قذف البحر زِقاق زيت مزقت الحجارة منيئتها (٣)، ودسّمت الأدهانُ وبرها وجلدتها . فاحتزمناها أزُرا ، واشتملناها لفُعا (٤) تمجنا الأبصار ، وتخذلنا الأنصار . فعطف أميرهم علينا ، فأوينا إليه فآوانا ، وأطعمنا الله على يديه وسقانا وأكرم مثوانا . وكسانا بأمر (٥) حقير ضعيف، وفن من العلم طريف . وشرْحهُ أنَا لما وقفنا على بابه ألفيناه يدير أعواد الشاه (٦) ، فعْلَ السامد اللاه . فدنوت منـــه فى تلك الأطمار ، وسمح لى بياذقته (٧) إذ كنت من الصغر فى حدّ يسمح فيه للأغمار . ووقفت بازائهم أنظر إلى تصرّفهم من ورائهم ، إذ كان علق بنفسى بعض ذلك من بعض القرابة فى خُلس بطالة ، مع غلبة الصبوة والجهالة . فقلت للبياذقة : الأمير أعلم من صاحبه . فلحونى شزراً ، وعظمتُ فى عيونهم بعد أن كنت نزرا . وتقدم إلى الأمير من نقل إليه الكلام . فاستدنانى ، فدنوت منه . وسألنى : هل لى بما هم فيــه بصر ؟ فقلت : « لى فيــه بعض نظر ، سيبدو لك ويظهر . حرّكْ تلك القطعة » ، ففعل ، وعارضه صاحبه ، فأمرته أن يحرك أخرى ، وما زالت الحركات بينهم تترى ، حتى هزمهم الأمير ، وانقطع التـــدبير . فقالوا : ما أنت بصغير

(١) نقل ذلك عن (قانون التأويل) العلامة ابن غازي فى كتاب (التكميل) ، والرهوني فى حاشيته على رسالة خليل ، والشيخ مخلوف فى طبقات المالكية (١ : ١٣٧) ، والمقرى فى (نفح الطيب) ١ : ٣٣٧ ، و (أزهار الرياض) ٣ : ٨٩ وغيرهم

(٢) الزول : العجب (٣) جلدها (٤) جمع لفاع : مايتلفع به ، أى يلتحف به

(٥) أى بسبب أمر (٦) أى يلعب بالشطرنج (٧) أتباعه وحراسه

وكان فى أثناء تلك الحركات قد ترنم ابن عم الأمير منشداً :

وأحلى الهوى ما شكّ فى الوصل ربه
وفى الهجر ، فهـــو الدهرَ يرجو ويتقى

فقال : لعن الله أبا الطيب ، أويشكّ الرب ؟ !

فقلت له فى الحال : ليس كما ظن صاحبك أيها الأمير ، إنما أراد بالرب هنا الصاحب . يقول : ألذ الهوى ما كان المحب فيـــه من الوصال ، وبلوغ الغرض من الآمال ، على ريب . فهو فى وقته كله على رجاء لما يؤمله ، وتقاة لما يقطع به ، كما قال :

إذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا فأين حلاوات الرسائل والـكتب

وأخذنا نضيف إلى ذلك من الأغراض ، فى طرفى الإبرام والانتقاض ، ما حرّك منهم إلى جهتى داعىَ الانتهاض . وأقبلوا يتعجبون منى ، ويسألوننى كم سنى ؟ ويكشفوننى عنى . فبقرت لهم حديثى ، وذكرت لهم نجيثى (١) . وأعلمت الأمير بأن أبى معى ، فاستدعاه ، وقمنا الثلاثة إلى مثواه (٢) . فخلع علينا خلعه ، واسبل علينا أدمعه . وجاء كل خوان ، بأفنان الألوان

فانظر إلى هـذا العلم الذى هو إلى الجهـل أقرب (٣) ، مع تلك الصُّبابة اليسيرة من الأدب ، كيف أنقذانا من العطب . وهذا الذى يرشدكم — إن غفلتم — إلى الطلب

وسرنا ، حتى انتهينا إلى ديار مصر »

وسترى عند كلامنا على مؤلفات ابن العربى أن منها كتاباً كبيراً له سماه « ترتيب الرحلة ، للترغيب فى الملة » ، ومما يؤسف له أن هذا الـكتاب يعتبر الآن مفقوداً ، ولـكن الذى اطلعنا عليـه من نماذجه المنقولة عنه فى تراجمه وغيرها من كتب العلماء يدل على أنه من الذخائر النفيسة التى تصف الـكثير

---

(١) نجيثى : أى سرى الذى كنت أخفيه (٢) منزله الخاص

(٣) يقول ابن العربى هذا من باب التواضع ، وإلا فان علمه كان أكبر من سنه

من أحوال المجتمع الإسلامى وعمران أوطانه فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى ، وتنوّه بدخائل أعلامه من العلماء والحكام بقدر ما اطلع عليه هذا العالم الرحالة الدقيق النظر الذكى الفطرة الحريص على الالمام بجميع أبواب المعرفة . ولو وقع لنا كتاب رحلته ، لانتفعنا منه كثيراً فى تدوين ترجمته ، ولا سيما فى السنوات التسع (٤٨٥ — ٤٩٣) التى قضاها فى خارج الأندلس ، بين حادثة سقوط دولة آل عباد والوقت الذى شاء الله له أن يعود فيه إلى وطنه

مروره بالديار المصرية

ومما لا شك فيه أن ابن العربى ووالده لم يطيلا اللبث فى كرَم مضيفهم أمير قبيلة بنى كعب بن سُليم ، فتوجها قاصدَين ديار مصر التى كان طريقهم عليها أيضاً عند انتهاء الرحلة . وكان الحكم فى مصر عند وصولها إليها آخر سنة ٤٨٥ للمستنصر أبى تميم معدّ حفيد الحاكم ، وكان علماء أهل السنّة قليلى الظهور ، حتى ان ابن العربى كان يذهب إلى القرافة الصغرى قريباً من قبر الإمام محمد بن ادريس الشافعى ليلتقى فيها شيخه مسند مصر القاضى أبا الحسن على بن الحسن بن الحسين بن محمد الخلَعى الموصلى الأصل المصرى المولد الشافعى (٤٠٥ — ٤٩٢) ولهذا العالم ترجمة فى حرف العين من (وفيات الأعيان) وفى (طبقات الشافعية) لابن السبكى (٣ : ٢٩٦) وفى (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلى (٣ : ٣٩٨) . وممن لقيهم فى مصر وأخذ عنهم أبو الحسن بن شرف ، ومهدى الوراق ، وأبو الحسن بن داود الفارسى

وصوله الى بيت المقدس وشروه الاردنه

وواصل ابن العربى رحلته مع أبيه إلى بيت المقدس ، وكان فيها الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشى الفهرى (٤٥١ — ٥٢٠) من كبار علماء المالكية الأندلسيين ، وهو كابن العربى خرج من الأندلس إلى المشرق فذهب

إلى العراق وجاء منها إلى دمشق وبيت المقدس ، فلقيه فيها ابن العربي واستفاد منه كثيراً قبل مجيء الطرطوشي إلى الاسكندرية . ويقول ابن العربي فيما نقله عنه صاحب نفح الطيب (١ : ٣٤١) : تذاكرت بالمسجد الأقصى مع شيخنا أبي بكر الفهري الطرطوشي حديث أبي ثعلبة (١) المرفوع « إن من ورائكم أياماً للعامل فيها أجر خمسين منكم (فقالوا : « منهم » . فقال : بل « منكم » أي من الصحابة) لأنكم تجدون على الخير أعواناً ، وهم لا يجدون عليه أعواناً » . وتفاوضنا كيف يكون أجر من يأتي من الأمة أضعاف أجر الصحابة مع أنهم قد أسسوا الاسلام ، وعضدوا الدين ، وأقاموا المنار ، وافتتحوا الأمصار ، وحموا البيضة ، ومهدوا الملة ، وقد قال ﷺ في الصحيح : « لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه » ، فتراجعنا القول ، وتحصل ما أوضحناه في شرح الصحيح (٢) وخلاصته : ان الصحابة كانت لهم أعمال كثيرة لا يلحقهم فيها أحد ولا يدانيهم فيها بشر ، وأعمال سواها من فروع الدين يساويهم فيها في الأجر من أخلص إخلاصهم ، وخلصها من شوائب البدع والرياء بعدهم . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم هو ابتداء الدين والاسلام ، وهو أيضاً انتهاؤه ... حتى إذا قام به قائم مع احتواشه بالمخاوف ، وباع نفسه في الدعاء إليه ، كان له من الأجر أضعاف ما كان لمن كان متمكناً منه معاناً عليه بكثرة الدعاة إلى الله ... الخ

وفي بيت المقدس أيضاً لقي ابن الكازروني وقال عنه : انه كان يأوي إلى المسجد الأقصى ، ثم تمتعنا به ثلاث سنوات ، ولقد كان يقرأ في مهد عيسى (أي في بيت لحم) فيسمع من الطور ، فلا يقدر أحد أن يصنع شيئاً دون قراءته إلا الاصغاء إليه

---

(١) هو أبو ثعلبة الخشني ؛ والحديث في باب الأمر والنهي من كتاب الملاحم في سنن أبي داود (ك ٣٦ ب ١٧) وفي كتاب الفتن من سنن ابن ماجه (ك ٣٦ ب ٢١) وفي كتاب التفسير من جامع الترمذي (ك ٤٤ ب ١٨)

(٢) أي في (كتاب النيرين ، في الصحيحين) لابن العربي

وتوغل ابن العربى فى ربوع فلسطين وشرق الأردن ، ونقل صاحب نفح الطيب (١ : ٣٤٠) قوله : شاهدت المائدة بطور زيتا مرارا ، وأكلت عليها ليلا ونهارا ، وذكرت الله سبحانه فيها سرا وجهارا ... وكانت صخرة صلداء لا تؤثر فيها المعاول ، وكان الناس يقولون : مسخت صخرة ... والذى عندى أنها صخرة فى الأصل وقطعت من الأرض محلا للمائدة النازلة من السماء ، وكل ما حولها حجارة مثلها . وكان ما حولها محفوفاً بقصور نحتت فى ذلك الحجر الصلد ، بيوت أبوابها منها ومجالسها منها مقطوعة فيها ... وقد كنت أخلو فيها كثيراً للدرس ... الخ (وأظنه يتحدّث بذلك عن وادى موسى وحصن سلع الذى سماه الرومانيون بترا - انظر رسالتنا : اتجاه الموجات البشرية فى جزيرة العرب ص ٢٥)

مروره بدمشق

ثم تقدم ابن العربى فى رحلته إلى الديار الشامية وأقام فى دمشق وأخذ عن علمائها ، ومنهم شيخ الشافعية الحافظ المتبتل أبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسى (٤٠٩ — ٤٩٠) له ترجمة فى حرف النون من تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر ، وفى طبقات الشافعية (٤ : ٢٧) ، وشذرات الذهب (٣ : ٣٩٥ - ٣٩٦) . وعن الحافظ أبى محمد هبة الله بن أحمد الأكفانى الأنصارى الدمشقى (٤٤٤ - ٥٢٤) المترجم بحرف الهاء من تاريخ دمشق ، وشذرات الذهب (٤ : ٧٣) وعن أبى الفضل أحمد بن على بن الفرات المتوفى سنة ٤٩٤ وهو من علماء الشيعة . ولقى فى الديار الشامية من علمائها أبا سعيد الرُّهاوى وأبا القاسم بن أبى الحسن القدسى ، وأبا سعيد الزنجانى

ومن عجائب ما ذكره عن عمران دمشق فى زمنه وتقدّمها فى أسباب الرفاهة والصيانة والنعيم ما نقله عنه صاحب نفح الطيب (١ : ٣٣٨) وهو أنه دعى لتناول الطعام فى بيوت بعض الأكابر ، فرأى نهراً جارياً إلى موضع جلوسهم ثم يعود إلى ناحية أخرى . قال : « فلم أفهم معنى ذلك ، حتى جاءت

موائد الطعام فى النهر المقبل إلينا ، فأخذها الخدم ووضعوها بين أيدينا . فلما فرغنا ألقى الخدم الآوانى وما معها فى النهر الراجع ، فذهب بها الماء إلى ناحية الحريم من غير أن يقرب الخدم من تلك الناحية . فعلمت السر ، وإن هذا لعجيب »

وصوله الى بغداد ، واشتغاله بطلب العلم

ورحل مع أبيه من دمشق قاصداً دار الخلافة العباسية بغداد . وكان الخليفة فى السنتين الأوليين من هذه الرحلة المقتدى بالله ، وكان ديّناً خيراً قوى النفس عالى الهمة من نجباء بنى العباس ، وظهرت فى أيامه خيرات كثيرة وآثار حسنة . ومن محاسنه أنه نفى المغنيات والخواطىء ، وأمر بالمحافظة على حرم الناس وصيانتها . وكانت قواعد الخلافة باهرة وافرة الحرمة . ثم بويع بعده للمستظهر بالله أحمد وكان مهذباً مثقفاً ضليعاً فى الأدب بليغ التوقيعات(١)، إلا أن زمنه كثر فيه الاضطراب . وفى ذلك الجو أخذ ابن العربى فى توسيع ثقافته وتلقى العلوم عن أهلها ، حتى برع فى علوم السنة وتراجم الرواة وأصول الدين وأصول الفقه وعلوم العربية والآداب . وممن تتلمذ لهم : أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفى المعروف بابن الطيورى (٤١١ — ٥٠٠) المحدّث الصحيح الأصول الواسع العلم . وأبو الحسن على بن الحسين بن على ابن أيوب البزاز (٤١٠ — ٤٩٢) . وأبو المعالى ثابت بن بندار البقال المقرئ (المتوفى ٤٩٨) . والقاضى أبو البركات طلحة بن أحمد بن طلحة العاقولى الحنبلى (٤٣٢ — ٥١٢) ، وفخر الاسلام أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشى الشافعى (٤٢٩ — ٥٠٧) وكان يسمى الجنيد لورعه ودينه ، وإليه انتهت رياسة الشافعية فى بغداد فأنشد فى أحد دروسه :

خلت الديار فسدتُ غير مسوّد　　ومن العناء تفرّدى بالسؤدد

---

(١) التوقيعات ما يكتبه الحكام على العرائض من الأوامر الرسمية

ثم وضع المنديل على عينيه وجعل يبكى

وتحدث ابن العربى عن إمام الشافعية هذا فذكر من محاسنه أنه سمعه ينتصر لمذهب أبى حنيفة فى مجلس النظر ويقول : « يقال فى اللغة لا تقرب كذا (بفتح الراء) أى لا تتلبس بالفعل . وإذا كان بضم الراء كان معناه لا تدنُ من الموضع » . قلت وهذا من دلائل صحة العلم وسعة الأفق، فان العالم لا ينضج حتى يترفع عن العصبية المذهبية ويجنح إلى الحق والخير حيثما كانا ، ومن كان الحق غرضه تحراه واحتج له وكان معه فى كل حال . أما التعصب للطائفيــة والمذهب وبنيات الطريق ، وتمحل الحجج الواهيــة لذلك ، فمن دلائل صغر النفس وزغل العلم والأنس بالباطل

ومن الذين أخذ عنهم ابن العربى فى بغـــداد الحافظ أبو عامر محمد بن سعدون بن مرجا الميورقى العبدرى المتوفى سنة ٥٢٤ وكان من فقهاء مذهب داود الظاهرى ، قال القاضى ابن العربى : وهو أنبــل من لقيته . وأخذ عن أبى الحسين أحمد بن عبد القادر اليوسفى (٤١١ — ٤٩٢) ، وعن شيخ بغداد فى الأدب أبى زكريا يحيى بن على التبريزى (٤٢١ — ٥٠٢) . وأبى محمد جعفر بن أحمد بن حسين السراج الحنبلى (٤١٦ — ٥٠٠) مؤلف كتاب مصارع العشاق . وعن أبى بكر محمد بن طرخان التركى الشافعى (٤٤٦ — ٥١٣) تلميذ إمام الشافعية أبى اسحاق الشيرازى صاحب التنبيه والمهـــذب . وأخذ عن مسند العراق نقيب النقباء أبى الفوارس طراد بن محمد بن على العباسى الزينبى (٣٩٨ — ٤٩١) وكان أعلى الناس منزلة عند الخليفة

وكان يتردد على مجالس العلم العــامة التى تعقد فى دار وزير الخليفة عميد الدولة أبى منصور محمد بن فخر الدولة محمد بن محمد بن جهير المتوفى سنة ٤٩٣ وسماه « الوزير العادل » . قال ابن العربى : كنت بمجلس الوزير ، فقرأ القارئ ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾ وكنت فى الصف الثانى من الحلقــة بظهر أبى الوفا بن عقيل إمام الحنابلة بمدينة السلام (٤٣١ — ٥١٣) ، وكان

(مع إمامته فى مذهب الإمام أحمد) معتزلىّ الأصول (١) ، فلما سمعت الآية قلت لصاحب لى كان يجلس على يسارى : هذه الآية دليل على رؤية الله فى الآخرة ، فان العرب لا تقول «لقيت فلاناً» إلا إذا رأته . فصرف أبو الوفاء وجهه مسرعاً إلينا وقال ينتصر لمذهب الاعتزال فى أن الله لا يرى فى الآخرة : «فقد قال الله تعالى ﴿ فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه ﴾ وعندك أن المنافقين لا يرون الله تعالى فى الآخرة» . قال ابن العربى : وقد شرحنا وجه الآية فى (كتاب المشكلين)

ويقول ابن سعيد أحد مترجمى ابن العربى ان ابن العربى أخذ عن ابن الأنماطى فى الاسكندرية . والمعروفون بابن الانماطى من العلماء كثيرون فى مصر والعراق من أيام المزنى تلميذ الشافعى فى القرن الثالث إلى أواخر القرن السابع ، لكنى لم أهتد إلى واحد منهم فى الاسكندرية زمن ابن العربى . والعالم المعاصر له من بنى الأنماطى هو مفيد بغداد أبو البركات عبد الوهاب ابن المبارك بن أحمد الأنماطى الحنبلى (٤٦٢ — ٥٣٨) من كبار شيوخ الحافظ أبى الفرج ابن الجوزى ، فلعله هو الذى أخذ عنه ابن العربى فى بغداد والتبس الأمر على مترجميه المغاربة فظنوه من بنى الأنماطى المصريين (٢)

وفى بغداد لقى ابن العربى محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودى (المتوفى سنة ٥٢٤) الذى ادّعى بعد ذلك المهدوية والنسب العلوى وقام بالتوطئة لعبد المؤمن بن على (٤٩٠—٥٥٨) وكان المؤسسّ الأول لدولة الموحدين . ويقول مترجمو ابن العربى انه صحب ابن تومرت بالمشرق فأوصى عليه

---

(١) تأثر بالاعتزال من شيخيه أبى على محمد بن أحمد بن الوليد الكرخى ، وأبى القاسم بن التبان . ولكن شيوخه من أئمة الحنابلة استتابوه بعد ذلك وصرفوه عن كثير مما تأثر به . وأبو الوفا بن عقيل من كبار أئمة الاسلام . ومن مؤلفاته كتاب الفنون زاد على أربعمائة مجلد

(٢) الأنماطى : بائع الأنماط ، وهى المفروشات المنزلية ، وما يسمى الآن «الموبيليات»

عبد المؤمن (١) ، ولا بد أن تكون هـذه الوصاة بعد عودتهما إلى المغرب بزمن طويل ، ولا شك عنـــدنا أنه لم ينتفع بها ، ولم يكن لها أثر فى مجرى حياته ، ولعل ذلك من نعم الله عليه . وفى آخر حياة ابن العربى أوذى بجيئته من الأندلس إلى مراكش دار سلطنـــة عبد المؤمن كما سترى فى أواخر هذا الفصل

اتصاله بأبى حامد الغزالى

وقد لقى ابن العربى حجة الاسلام أبا حامد محمدا الغزالى (٤٥٠ — ٥٠٥) فى بغداد ، وفى صحارى الشام بعد ذلك . والذى يظهر لى أنه عند وصول ابن العربى إلى بغداد فى بداية رحلته ـ وكان الغزالى يدرّس فى النظامية وفى مجالسه العامة ـ اكتفى ابن العربى بالسماع منه فى غمار الناس . ثم حج الغزالى ورحل فى سنة ٤٨٨ إلى دمشق متزهداً وألف فيها كتابه الإحياء (٢) ، وعاد إلى بغداد فنزل برباط أبى سعد بإزاء النظامية ، وحينئذ اتصل به ابن العربى ولازمه . وبعد أن حج ابن العربى ـ كما سنذكره فى الفقرة التالية ـ وعاد من العراق إلى الشام فى طريقه إلى وطنه لقى الغزالى فى صحارى الشام وهو فى

---

(١) نفح الطيب ١ : ٣٣٥

(٢) نقل ابن العماد فى شذرات الذهب (٤ : ١١) قول الاسنوى فى طبقات الشافعية وهو يترجم الغزالى «وأقبل على العبادة والسياحة ، فخرج الى الحجاز سنة ٤٨٨ فحج ورجع الى دمشق واستوطنها عشر سنين بمنارة دمشق ؛ وصنف فيها كتباً يقال إن « الاحياء » منها . ثم سار الى القدس والاسكندرية ، ثم عاد الى وطنه طوس » . وقد أصاب الجمال الاسنوى في تحديد سنة مجىء الغزالى الى دمشق ؛ ويوافقــه فى ذلك ابن العماد فى الشذرات (٣ : ٣٨٣) ؛ غير أن الاسنوى وهم فى تقديره إقامة الغزالى بعشر سنين ، والغالب أنه أقام سنتين ثم حج وعاد الى بغداد فى المدة التى لازمه فيها ابن العربى فى رباط أبى سعد . ثم بدا له أن يكسر مغزله ويعود الى دمشق وبيت المقدس سائحاً فيما بينهما وبين الاسكندرية إن صح تردده إليها . وبعد هذا الطور انقلب الى طوس ودعى منها إلى نظامية نيسابور فلم يستقم له الحال فيها فرجع الى طوس ومات فيها سنة ٥٠٥

طور آخر . وعندنا النصوص التالية عن ابن العربى فيما يتعلق بالغزالى :

النص الأول نقله المقرى فى نفح الطيب (١ : ٣٣٨) وفى أزهار الرياض (٣ : ٩١) عن (قانون التأويل) لابن العربى قال : « ورد علينا دانشمند - يعنى الغزالى - فنزل برباط ابن سعد بإزاء المدرسة النظامية معرضاً عن الدنيا ، مقبلا على الله تعالى ، فمشينا إليه ، وعرضنا أمنيتنا عليه ، وقلت له : أنت ضالتنا التى كنا ننشد ، وإمامنا الذى به نسترشد . فلقينا لقاء المعرفة ، وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة ... الخ »

والنص الثانى فى نفح الطيب (١ : ٣٤٣) عن ابن العربى أنه قال « وكان يقرأ معنا برباط أبى سعد على الأمام دانشمند من بلاد المغرب خنثى له لحية وله ثديان وعنده جارية ، فربك أعلم به . ومع طول الصحبة عقلنى الحياء عن سؤاله ، وبودى اليوم لو كاشفته حاله »

والنص الثالث فى شذرات الذهب (٤ : ١٣) قال : وذكر الشيخ علاء الدين على بن الصيرفى فى كتابه زاد السالكين : ان القاضى أبا بكر بن العربى قال : « رأيت الغزالى فى البرية وبيده عكازة وعليه مرقعة وعلى عاتقه ركوة ، وقد كنت رأيته فى بغداد يحضر درسه أربعمائة عمامة من أكابر الناس وأفاضلهم يأخذون عنه العلم . فدنوت منه فسلمت عليه وقلت له : يا إمام ، أليس تدريس العلم ببغداد خيراً من هذا ؟ فنظر إلىّ شزراً وقال : لما طلع بدر السعادة فى فلك الارادة (أو قال : فى سماء الارادة) وجنحت شمس الوصـــول ، فى مغارب الأصول :

تركت هوى ليلى وسعدى بمنزل وعدت إلى تصحيح أول منزل
ونادت بى الأشواق : مهلا فهذه منازل من تهوى ، رويدك فانزل
غزلتُ لهم غزلا دقيقاً ، فلم أجد لغزلى نساجاً ، فكسرت مغزلى

ومن شيوخ ابن العربى فى بغداد دانشمند آخر كانوا يسمونه « دانشمند الأكبر » وهو اسماعيل الطوسى ، ويقولون للغزالى « دانشمند الأصغر » .

نقله المقرى فى أزهار الرياض (٣ : ٩١) عن أبى عبد الله محمد بن غازى من علماء المغرب . ومعنى دانشمند بالفارسية « العارف »

ذهابه الى الحج ، وعودته الى بغداد

وذهب ابن العربى مع أبيه من بغداد إلى الحرمين الشريفين فى موسم سنة ٤٨٩ فحج بيت الله الحرام ، وأخذ فى مكة عن محدثها ومفتيها أبى عبد الله الحسين بن على بن الحسين الطبرى الشافعى (٤١٨ — ٤٩٨) ومما تحدث به ابن العربى عن مكة قوله : « كنت بمكة مقيما فى ذى الحجة سنة ٤٨٩ ، وكنت أشرب من ماء زمزم كثيراً ، وكلما شربته نويت به العلم والايمان ، ففتح الله لى ببركته فى المقدار الذى يسره لى من العلم ، ونسيت أن أشربه للعمل ، ويا ليتنى شربته لهما حتى يفتح الله لى فيهما ، ولم يقدر ، فكان صغوى للعلم أكثر منه للعمل . وأسأل الله تعالى الحفظ والتوفيق برحمته »

وعاد ابن العربى إلى بغداد مع أبيه ، فلبث فيها قريباً من سنتين قضاهما فى صحبة الغزالى وهو فى طوره الأوسط ، بين حالة الظهور الأولى وحالة العزلة والسياحة فى النهاية

العودة بطريق دمشق وفلسطين والاسكندرية

وفى سنة ٤٩٢ كان والد ابن العربى قد أثرت فيه الشيخوخة ، فخرجا من بغداد متوجهين الى الشام وفلسطين ، فجدّد ابن العربى العهد فى دمشق وبيت المقدس وكثير من المدن الشامية مع من كان عرفهم وأخذ عنهم من شيوخ هذه البلاد ، وتعرف بآخرين غيرهم . ثم جاء الى الاسكندرية ، وكانت فيها منية أبيه فى أوائل سنة ٤٩٣ فدفن فى الثغر الاسكندرى . وكان الامام أبو بكر الطرطوشى فى تلك المدة قد نزل الاسكندرية واستوطنها وكثر فيها تلاميذه ومريدوه من أهل السنة حتى بلغوا المئات لما وجدوا فيه من العزم على إحياء طريقة أهل السنة بعد أن اعتراها الوهن وأصيبت بالاهمال تحت

حكم العبيديين ، فأقلق نشاط الطرطوشي ولاة الأمور العبيديين فى القاهرة ، وكانت رئاستهم قد آلت من سنة ٤٨٧ إلى المستعلى أحمد ابن المستنصر أبى تميم معدّ ، وأخذ نجمهم بالأفول فى الشام باستيلاء الأتراك على بعض البلاد والافرنج على البعض الآخر . ولم يكن للمستعلى حل ولا ربط مع وزيره الأفضل ، فاضطهد الأفضل أبا بكر الطرطوشي فيما بعد بسبب كثرة أتباعه مما لا محل لذكره هنا . فلما توفى والد ابن العربى بالاسكندرية رحل عنها عائداً إلى وطنه فى سنة ٤٩٣ ، ويقول الحافظ ابن عساكر ان ابن العربى ابتدأ بتأليف كتابه (عارضة الأحوذى) عند ما غرّب من الاسكندرية فكان أول مؤلفاته على ما نعلم

وصوله الى اشبيلية

ولما وصل ابن العربى إلى وطنه اشبيلية كان الحكم فيها لا يزال ليوسف ابن تاشفين ، واستمر على ذلك إلى أن مات سنة ٥٠٠ . فاستقبل العلماء ورجال الثقافة والأدب فى اشبيلية وما جاورها من عواصم الأندلس هذا الغائب القادم بعلوم المشرق استقبالا لا نظير له ، وقصده طلاب العلم وأذكياء الأندلس من كل حدب وصوب ، وتحوّل منزله إلى جامعة ، وعقدت له حلقات الدرس فى الجوامع ، وكان ممن أخذ عنه وتلقى عليه طائفة من كبار علماء الاسلام منهم قاضى المغرب وحافظه القاضى عياض بن موسى اليحصبى مؤلف (الشفا) و (مشارق الأنوار) ، وابنه القاضى محمد بن عياض ، والحافظ المؤرخ أبو القاسم خلف بن عبدالملك بن بشكوال، والإمام الزاهد العابد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مجاهد الاشبيلى، وأبو جعفر بن الباذش ، وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم الخزرجى ، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن خليل القيسى ، وأبو الحسن بن النعمة ، وأبو بكر محمد بن خير الأموى الاشبيلى ، وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن حبيش ، والامام عبد الرحمن ابن عبد الله السهيلى شارح السيرة ، وأبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الصقر

الانصاري ، وأبو الحسن على بن عتيق القرطبي ، وأبو القاسم أحمد بن محمد ابن خلف الحوفى ، وأبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الازدى الخراط ، وأبو بكر محمد بن محمد اللخمى البلنسى ، وأبو عبدالله محمد بن عبدالله بن الغاسل الغرناطي ، وأبو الحسن عبد الرحمن بن أحمد بن بقى ، وأبو العباس أحمد بن أبي الوليد بن رشد ، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن سعيد العبدرى شارح صحيح مسلم ، وأبوالمحاسن يوسف بن عبدالله بن عياد ، والحافظ أبوالحجاج يوسف بن ابراهيم العبدرى ، والقاضى أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء اللخمى وأبو اسحاق ابراهيم بن يوسف بن قرقول شارح مشارق الأنوار ، وعالم لا يحصى من نمط هؤلاء الأجلاء منهم من ذكر مترجمو ابن العربي أسماءهم ومنهم من لم يسموهم لكثرتهم أو لأنهم من تلاميذه المتأخرين فى الزمن عند ما بلغ هذا الامام سن الشيخوخة . ولعل من هؤلاء راوى كتابه (العواصم من القواصم) صالح بن عبد الملك بن سعيد الذى ذكر فى أول الكتاب أنه قرأه على ابن العربي . وقد قلنا إن أبا بكر بن العربى كان بعد عودته من المشرق إلى الأندلس جامعة يصدر عنها العلم إلى كل معاصر له ممن يستطيع لقاءه ، فهو مربي الجيل الذى عاش معه فى تلك الديار . قال مترجموه : بقى ابن العربي يفتى ويدرس أربعين سنة ، وقبل أن يتولى القضاء صدر له التقليد من السلطات الرسمية بأن يتولى منصب المشاور للقضاء ، وهو منصب رفيع يصدر به ما يسمى الآن فى الديار المصرية « مرسوماً » وما يسمى فى المغرب « ظهيراً » . ومن نماذج مرسوم هذا المنصب ما تراه فى هامش ص ٨٩ من كتاب (غابر الأندلس وحاضرها) للأستاذ محمد كرد على وفى هامش ١٦٢:١ من (شجرة النور الزكية) لمخلوف . وكان لا يباح للعالم فى الأندلس أن يفتى إلا إذا استظهر (الموطأ) و (المدونة) أو عشرة آلاف حديث ، ويتميز حينئذ بلبس القلنسوة ويقال له المقلس

ولما كانت حلقة ابن العربي تخرج علماء الجيل ، كانت مملكة على بن

يوسف بن تاشفين تزداد اتساعاً واستفحالا بما كان يستلحقه من بلاد ملوك الطوائف ، وبما استرده أو فتحه من الاسبانيين . وكان الوالى على شرق الأندلس وجنوبها لعلى بن يوسف بن تاشفين أخوه تميم بن يوسف ، وفى سنة ٥١٣ انتعش الاسبانيون وأخذوا فى إزعاج البلاد الاسلامية فجاز على ابن يوسف بن تاشفين من المغرب إلى الأندلس وقاتلهم وانتصر عليهم وعاد سنة ٥١٥ فاستمرت الحال على ذلك إلى أن توفى تميم بن يوسف سنة ٥٢٠ فولى على بن يوسف بن تاشفين على الأندلس ابنه تاشفين بن على . وفى هذا الدور كان ابن العربى قد بلغ القمة فى مكانته العلمية بما ظهر من مؤلفاته العظيمة ، وما انتشر فى ربوع الأندلس والمغرب من تلاميذه ومريديه ، فدعى فى رجب سنة ٥٢٨ لتولى القضاء فى اشبيلية ، وقد أجمعت كلمة الذين تحدثوا عنه كالقاضى عياض وابن بشكوال وابن سعيد وجميع مؤرخى الأندلس على أنه كان مثال العدل والاستقامة وحسن القيام بأمر القضاء ، قال القاضى عياض : فنفع الله به أهل اشبيلية لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه ، وكانت له فى الظالمين سورة مرهقة ، مع الرفق بالمساكين . والتزم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . واستمر فى هذه المدة على القاء دروسه مع القيام بأمر القضاء ومواصلة التأليف ، إلا أن وقته أصبح ضيقاً حتى اضطر تلميذه الامام الزاهد العابد أبو عبد الله الاشبيلى إلى أن ينقطع عن درسه . فقيل له فى ذلك ، فقال : « كان يدرس وبغلته عند الباب ينتظر الركوب إلى السلطان »

إن المكانة التى وصل إليها ابن العربى فى العلم وعزته وسيادته على القلوب - قبل ولايته القضاء - كانت مثار الحسد له والإحنة عليه من العلماء الرسميين الذين يتجرون بقشور العلم ليبنوا بها دنياهم ، فلما ازدادت مكانته رفعة بالقضاء ، مضى فيه مجاهداً فى سبيل العدل والاصلاح والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وكلها من سبيل الله ، يجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق ، مع حسن

المعاشرة ، ولين الكنف ، وكثرة الاحتمال ، وكرم النفس ، وحسن العهد ، وثبات الود . فازداد غيظ حاسديه ، واشتد ضغن صغار النفوس عليه ، ولاسيما أهل الجور والظلم والغصب الذين كان شديد الأحكام عليهم والآخذ منهم للمظلومين ، منضماً إليهم أهل المجون والفسقة الذين تناولهم ابن العربى بطريقة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وما كان أكثر أهل المجون يومئذ فى اشبيلية ، يدلك على ذلك حوار عن اشبيلية وقرطبة دار فى مجلس منصور بن عبد المؤمن بين أبى الوليد بن رشد وأبى بكر بن زهر ، فقال ابن رشد لابن زهر : ما أدرى ماتقول ، غير أنه إذا مات عالم فى اشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها ، وإذا مات مطرب بقرطبة فأريد بيع تركته حملت إلى اشبيلية

وشعر ابن العربى فى مدة قضائه بأن سور اشبيلية لا يقاوم أحداث الدهر إذا ألمت بالبلد ملمة ، فعزم على ترميمه ، وسد بعض الثلم الواقعة فيه . واتفق وقوع ذلك فى زمن انصرفت فيه الحكومة عن مثل هذا الأمر ، أو أن المال اللازم لذلك لم يكن متوفراً لديها ، فخرج ابن العربى عن كل ماتحت يده من ماله الخاص ورصده لتحقيق هذا الواجب الملى العام ، ودعا الأمة إلى البذل فيه ، وأقبلت فى خلال ذلك الأيام الأولى من شهر ذى الحجة ، فكان ابن العربى أول من خطر على باله الاستفادة من جلود الأضاحى فى المصالح العامة ، فحض الناس على أن يتبرعوا بجلود أضاحيهم لبناء هـــذا السور ، فكان فى ذلك موفقـــاً ، إلا أن أعداءه ومبغضى طريقته أثاروا العامة عليه بأساليبهم الخبيثة حتى نابه بداره فى أحد الأيام مثل الذى ناب أمير المؤمنين عثمان بن عفان لما تألب البغاة عليه وهاجوه فى داره . ولا شك أن هذه الحادثة وقعت له فى آخر ولايته للقضاء ، وقد أشار إليها فى كتابنا هذا (العواصم من القواصم) الذى ألفه فى سنة ٥٣٦ ، فهى إذن وقعت بعد سنة ٥٣٠ وقبل سنة ٥٣٦ وقد قال فى كتابنا هذا يصفها : « ولقد

حكمتُ بين الناس فألزمتهم الصلاة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى لم يك فى الأرض منكر . واشتد الخطب ، على أهل الغصب ، وعظم على الفسقة الكرب . فتألبوا وألبوا وثاروا إلىّ ، فاستسلمتُ لأمر الله ، وأمرت كل من حولى ألا يدفعوا عن دارى ، وخرجت على السطوح بنفسى فعاثوا علىّ ، ولولا ما سبق من حسن المقدار ، لكنت قتيل الدار . وكان الذى حملنى على ذلك ثلاثة أمور : أحدها وصاية النبى ﷺ (أى بالكف عن القتال فى الفتنة) . الثانى الاقتداء بعثمان . والثالث سوء الأحدوثة التى فر منها رسول الله ﷺ المؤيد بالوحى (١) » . فنكب ابن العربى فى هذه الثورة ونهبت كتبه كلها . وانصرف أو صرف عن القضاء ، وتحول مؤقتاً إلى قرطبة . وكان له فيها تلاميذ ومريدون ، فازداد بهذه الرحلة تلاميذه من أذكيائها ومريدوه

وكان من حكمة الله فى هذه النازلة أن تفرغ ابن العربى للعلم ، وواصل إكمال مؤلفاته الكبيرة ، وقد آن لنا أن نشير الى تراثه العلمى . فمن مؤلفاته :

١ — أنوار الفجر فى تفسير القرآن . ألفه فى عشرين سنة وبلغ ثمانين ألف ورقة (أى مائة ألف وستين ألف صفحة) ورآه يوسف الحزام المغربى فى القرن الثامن فى خزانة أمير المسلمين السلطان أبى عنان فارس بمدينة مراكش (وكان يخدم السلطان فى حزم كتبه ورفعها) فعد أسفاره فبلغت ثمانين سفراً ، وقال بعض مترجمى ابن العربى انه فى تسعين مجلداً ، وكان الناس يتداولون هذا التفسير أثناء تأليفه ، فكلما انتهى من تأليف مقدار منه تناسخه الناس وتناقلوه

---

(١) أى لما أراد عمر بن الخطاب أن يقتل ابن سلول عند عودة النبى صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق لقول ابن سلول « إذا رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » فمنع النبى صلى الله عليه وسلم عمر من قتله وقال « لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه

٢ ــ قانون التأويل فى تفسير القرآن. كتاب كبير. كان موجوداً ومنتشراً الى القرن الحادى عشر الهجرى ونقل عنه المقرى فى نفح الطيب ، ونقلنا عنه شيئا منه فى هذه الترجمة

٣ ــ أحكام القرآن. كتاب نفيس طبعه سلطان المغرب مولاى عبدالحفيظ فى إحدى المطابع المصرية

٤ ــ الناسخ والمنسوخ فى القرآن

٥ ــ كتاب المشكلين ، مشكل الكتاب ومشكل السنة

٦ ــ كتاب النيرين ، فى الصحيحين

٧ ــ القبس ، فى شرح موطأ مالك بن أنس . وهو من أواخر مؤلفاته . ذكر فيه تفسيره (أنوار الفجر)

٨ ــ ترتيب المسالك ، فى شرح موطأ مالك

٩ ــ عارضة الاحوذى ، فى شرح الترمذى . وهو من أول مؤلفاته ، ويقول الحافظ ابن عساكر انه بدأ بتأليفه فى منقلبه الى المغرب عائداً من رحلته الكبرى . وقد اطلعنا على مخطوطة منه فى مكتبة جمعية الهداية الاسلامية جاء بها من المغرب صديقنا العلامة الجليل السيد محمد الخضر حسين

١٠ ــ شرح حديث جابر فى الشفاعة

١١ ــ حديث الافك

١٢ ــ العواصم من القواصم

١٣ ــ شرح حديث أم زرع

١٤ ــ الكلام على مشكل حديث السبحات والحجاب

١٥ ــ السباعيات

١٦ ــ المسلسلات

١٧ ــ الأمد الأقصى باسماء الله الحسنى وصفاته العليا

١٨ ــ تفصيل التفضيل ، بين التحميد والتهليل

١٩ — التوسط فى معرفة صحـــة الاعتقاد ، والرد على من خالف السنة وذوى البدع والالحاد

٢٠ — المحصول فى علم الأصول

٢١ — الأنصاف ، فى مسائل الخلاف . عشرون مجلداً

٢٢ — شرح غريب الرسالة لابن أبى زيد القيروانى

٢٣ — كتاب ستر العورة

٢٤ — الخلافيات

٢٥ — مراقى الزُّلف

٢٦ — سراج المريدين (وهو ينقل عنه ويشير إليه فى العواصم من القواصم)

٢٧ — نواهى الدواهى

٢٨ — العقل الاكبر ، للقلب الأصغر

٢٩ — الكافى فى أن لا دليل على النافى

٣٠ — سراج المهتدين

٣١ — تبيين الصحيح ، فى تعيين الذبيح

٣٢ — ملجأة المتفقهين ، إلى معرفة غوامض النحويين

٣٣ — أعيان الأعيان

٣٤ — تخليص التلخيص

٣٥ — ترتيب الرحلة للترغيب فى الملة

وفى خلال اشتغال ابن العربى بالتدريس والتأليف فى العشر الأواخر من سنى حياته ، كان يتردد عليه الأدباء ، ويساجلهم الأدب والشعر بقريحة وقادة ، وبيان جزل . ولا يتسع هذا المقام لوصف مقامه الأدبى ، ونكتفى بإيراد المثل الآتى لهذه الناحية . دخل عليه الأديب ابن صارة الشنترينى وبين يدى القاضى أبى بكر نار علاها رماد ، فقال لابن صارة : قل فى هذه . فقال:

شابت نواصى النار بعد سوادها وتسترت عنـــا بثوب رماد

ثم قال لابن العربى : أجز . فقال :

شابت كما شبنا وزال شبابنا ... فكأنما كنا على ميعاد

ونختم هذه الترجمة قبل ذكر وفاته ، بفصل عقده وصاف أدب أدباء الأندلس الوزير أبو نصر الفتح بن خاقان القيسى فى كتابه (المطمح) ، فقال يصف الفقيه الأجل الحافظ أبا بكر بن العربى :

« علم الأعلام الطاهر الأثواب ، الباهر الألباب . الذى أنسى ذكاء إياس ، وترك التقليد للقياس . وانتجع الفرع من الأصل ، وغدا فى يد الإسلام أمضى من النصل . سقى الله به الاندلس بعدما أجدبت من المعارف ومد عليها منه الظل الوارف . فكساها رونق نبله ، وسقاها ريّق وَبله . وكان أبوه أبو محمد باشبيلية بدراً فى فلكها ، وصدراً فى مجلس ملكها . واصطفاه معتمد بنى عباد ، اصطفاء المأمون لابن أبى دُواد . وولاه الولايات الشريفة ، وبوّأه المراتب المنيفة . فلما أقفرت حمص من ملكهم وخلت (١) وألقتهم منها وتخلت . رحل به إلى المشرق ، وحل فيه محل الخائف الفرِق . فجال فى أكنافه ، وأجال قداح الرجاء فى استقبال العز واستئنافه . فلم يسترد ذاهباً ، ولم يجد كمعتمده باذلا له وواهباً . فعاد إلى الرواية والسماع ، وما استفاد من إجالة تلك الأطماع . وأبو بكر إذ ذاك فى ثرى الذكاء قضيبٌ ما دوّح ، ، وفى روض الشباب زهر ما صوّح ، فألزمه مجالس العلم رائحاً وغادياً ، ولازمه سائقاً إليها وحادياً . حتى استقرت به مجالسه ، واطردت له مقايسه ، فجدّ فى طلبه ، واستجد به أبوه منخرق أربه . ثم أدركه حِمامه

(١) كانت اشبيلية فى زمن الفتح الاسلامى منزل الفاتحين من أبناء «حمص» احدى المدن الشامية ؛ فسموا اشبيلية باسم بلدهم ؛ ولذلك يقول فيها ابن عبدون :

هل تذكر العهد الذى لم أنسه ... ومودتى مخدومة بصفاء
ومبيتنا فى أرض حمص والحجى ... قد حل عقد صباه بالصهباء
ودموع طل الليل يخلق أعينا ... ترنو الينا من عيون الماء

ووارته هناك رجامه . وبقي أبو بكر متفردا ، وللطلب متجردا . حتى أصبح في العلم وحيدا ، ولم تجد عنه الرياسة محيدا . فكرّ إلى الأندلس فحلها والنفوس إليه متطلعة ، ولأنبائه متسمعة . فناهيك من حظوة لقي، ومن عزة سقي ، ومن رفعة سما إليها ورقي . وحسبك من مفاخر قلدها ، ومن محاسن أنس أنبتها فيها وخلدها .

وفي السنوات الأخيرة من حياة ابن العربي مات علي بن يوسف بن تاشفين صاحب المغرب والأندلس ، فقام بعده (سنة ٥٣٧) ابنه تاشفين الذي كان واليا لأبيه على الأندلس . وفي زمنه استفحلت دعوة الموحدين التي كان دعا اليها ابن تومرت مدعي المهدوية فتولاها بعده صنيعته عبد المؤمن ابن علي ، وتغلب عبد المؤمن على المعز تاشفين وشرده الى وهران في غرب الجزائر ، ثم قتله في وهران في رمضان سنة ٥٣٩ ، وحاصر أخاه اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين في مراكش سنة ٥٤٠ مدة تسعة أشهر واستولى عليه وعليها في شوال سنة ٥٤١ ، فانقرضت دولة المرابطين او الملثمين بعد أن حكمت ١٤١ سنة . وهكذا شهد ابن العربي سقوط دولة آل عباد على يد يوسف بن تاشفين في أول شبابه ، ثم شاهد سقوط دولة بني تاشفين على يد عبدالمؤمن بن علي صاحب دولة الموحدين في أواخر شيخوخته . وعقب ذلك أخذت وفود مدائن الأندلس تفد على مراكش طالبة من عبد المؤمن الاستيلاء على بلادهم من بقايا المرابطين ، وحضر في سنة ٥٤٢ وفد (اشبيلية) برئاسة عظيمها وكبير علمائها الامام أبي بكر بن العربي . ولسبب غامض لانعرفه الى الآن حبس عبد المؤمن هذا الوفد في مراكش نحو عام ، ثم سُرّحوا ، فأدركته منيته منصرفه من مراكش في موضع يسمى (اغلان) على مسيرة يوم من فاس غرباً منها ، فاحتمل ميتا الى فاس في اليوم الثاني من موته ، وصلى عليه صاحبه أبو الحكم بن حجاج ، ودفن في يوم الاحد ٧ ربيع الاول سنة ٥٤٣ خارج باب المحروق أعلى مدينة فاس بتربة القائد مظفر رحمه الله وأعلى مقامه في دار الخلود

أصحاب رسول الله ﷺ عدول
بتعديل الله ورسوله لهم
ولا ينتقص أحدا منهم الا زنديق

عقد الامام الحافظ المحدث أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى (٣٩٢—٤٦٣) فصلا نفيساً فى كتابه (الكفاية) الذى طبعه صاحب السمو نظام حيدر أباد الدكن بالهند سنة ١٣٥٧ (ص ٤٦—٤٩) واعتمده شيخ الاسلام الامام الحافظ قاضى قضاة مصر شهاب الدين أحمد ابن حجر العسقلانى (٧٧٣ - ٨٥٢) فى مقدمة كتابه (الاصابة) الذى طبعه فى مصر سلطان المغرب مولاى عبد الحفيظ سنة ١٣٢٨ (ج١ ص١٠-١١) ونحن نقتطف منه ما يلى :

عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم ، وإخباره عن طهارتهم ، واختياره لهم فى نص القرآن

فمن ذلك قوله تعالى ﴿ كنتم خيرَ أمة أخرجت للناس ﴾

وقوله ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ، ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً ﴾

وقوله ﴿ لقد رضىَ الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينةَ عليهم وأثابهم فتحاً قريبا ﴾

وقوله تعالى ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾

وقوله ﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ﴾

وقوله ﴿ يا أيها النبىُّ حسبكَ اللهُ ومن اتبعك من المؤمنين ﴾

وقوله تعالى ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم

يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ، أولئـــك هم الصادقون * والذين تبوءوا الدارَ والإيمانَ من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يُوقَ شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾

ووصف رسول الله ﷺ الصحابة مثل ذلك ، وأطنب فى تعظيمهم ، وأحسن الثناء عليهم . فمن الأخبار المستفيضة عنه فى هذا المعنى :

حديث عبد الله بن مسعود أن النبى ﷺ قال : « خير أمتى قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم . ثم يجىء قوم تسبق أيمانهم شهادتهم ، ويشهدون قبل أن يستشهدوا » . ورواه أبو هريرة وعمران بن حصين أيضاً

وحديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا أصحابى ، فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبـاً ما أدرك مدّ أحدهم ولا نَصيفه »

وحديث ابن عباس عن رسول الله ﷺ : « مهما أوتيتم من كتاب الله فالعملُ به لاعذر لأحدكم فى تركه . فإن لم يكن فى كتاب الله فسنّـة منى ماضية . فإن لم يكن سنة منى ماضية فما قال أصحابى ، إن أصحابى بمنزلة النجوم فى السماء ، فأيما أخذتم به اهتديتم ، واختلاف أصحابى لكم رحمة »

وحديث سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : « سألت ربى فيما اختلف فيه أصحابى من بعدى فأوحى الله إلىّ : يا محمد ، إن أصحـابك عندى بمنزلة النجوم فى السماء : بعضها أضوأ من بعض ، فمن أخذ بشىء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندى على هدى »

وحديث الامام الشافعى بسنده إلى أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله اختارنى واختار أصحابى فجعلهم أصهارى وجعلهم

أنصارى . وانه سيجىء فى آخر الزمان قوم ينتقصونهم ، ألا فلا تناكحوهم ، ألا فلا تنكحوا إليهم ، ألا فلا تصلوا معهم ، ألا فلا تصلوا عليهم ، عليهم حلت اللعنة »

قال الحافظ الكبير أبو بكر بن الخطيب البغدادى : والأخبار فى هذا المعنى تتسع ، وكلها مطابقة لما فى نص القرآن ، وجميع ذلك يقتضى طهارة الصحابة ، والقطعَ على تعديلهم ونزاهتهم ، فلا يحتاج أحد منهم — مع تعديل الله تعالى لهم ، المطلع على بواطنهم — الى تعديل أحد من الخلق له ... على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شىء مما ذكرناه ، لأوجبت الحال التى كانوا عليها — من الهجرة ، والجهاد والنصرة ، وبذل المهج والأموال ، وقتل الآباء والأولاد ، والمناصحة فى الدين ، وقوة الإيمان واليقين — القطعَ على عدالتهم ، والاعتقاد لنزاهتهم ، وأنهم أفضل من جميع المعدَّلين والمزكين ، الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين

أخبرنا أبو منصور محمد بن عيسى الهمذانى ، حدثنا صالح بن أحمد الحافظ قال : سمعت أبا جعفر أحمد بن عبدل يقول : سمعت أحمد بن محمد ابن سليمان التسترى يقول : سمعتَ أبا زرعة يقول : « إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه **زنديق** ، لأن الرسول ﷺ عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدّى إلينا هذا القرآنَ والسننَ أصحابُ رسول الله ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولىٰ ، وهم « **زنادقة** »

وأبو زرعة الذى أعلن زندقة من ينتقص أحداً من الصحابة ، هو عبيد الله بن عبد الكريم الرازى ، من موالى بنى مخزوم ، كان أحد أعلام الأئمة . قال عنه الامام أحمد : ماجاز الجسر أحفظ من أبى زرعة وقال الامام أبو حاتم : ان أبا زرعة ما خلف بعده مثله . توفى سنة ٢٦٤



في تحقيق مواقف الصحابة

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم



وصلى الله على محمد وآله

قال صالح بن عبد الملك بن سعيد :

قرأتُ على الإمام محمد أبي بكر بن العربيّ رضي الله عنه قال :

الحمد لله رب العالمين . اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم . وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم . إنك حميد مجيد

اللهم إنا نستمدُّ بك المنحة ، كما نستدفع بك المحنة . ونسألك العصمة ، كما نستوهب منك الرحمة

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، ويسر لنا العمل كما علمتنا ، وأوزعنا شكرَ ما آتيتنا . وانهج لنا سبيلا يهدى إليك ، وافتح بيننا وبينك باباً نفد منه عليك ، لك مقاليد السماوات والأرض وأنت على كل شيء قدير

☆

بهذا التحميد ، والدعاء السديد ، افتتح الامام ابن العربى الجزء الأول من كتابه (العواصم من القواصم) . فافتتحنا به هذا القسم من جزئه الثانى (من ص ٩٨ الى ص ١٩٣ من مطبوعة الجزائر سنة ١٣٤٧) وهو ما اخترنا إفراده بهذا السفر خاصاً بتحقيق مواقف الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، كما أشرنا الى ذلك فى تصدير الكتاب

قاصمة الظهر

بعد أن استأثر اللهُ بنبيه ﷺ ـ وقد أكمل له ولنا دينه ، وأتمّ عليه وعلينا نعمته ، كما قال تعالى : ﴿ اليومَ أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ (المائدة : ٣) ؛ وما من شئ فى الدنيا يكمل إلا وجاءه النقصان ، ليكون الكمال الذى يراد به وجه الله خاصة ، وذلك العمل الصالح والدار الآخرة ، فهى دار الله الكاملة ـ قال أنس : « ما نفضنا أيدينا من تراب قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرْنا قلوبنا (١) »

واضطربت الحال ، ثم تدارك الله الاسلام ببيعة أبى بكر ، فكان موت النبى ﷺ (قاصمة الظهر) ومصيبة العمر :

فأما علىّ فاستخفى فى بيته مع فاطمة (٢)

---

(١) فى مطبوعة الجزائر « نفوسنا » ، والمروىُّ فى الحديث « قلوبنا » من وجوه متعددة أشار إليها الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٥ : ٢٧٣ — ٢٧٤) أحدها للامام أحمد عن أنس : « لما كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شىء ، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شىء . قال : وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدى حتى أنكرنا قلوبنا » . وهكذا رواه الترمذى ، وابن ماجه . وقال الترمذى : هذا حديث صحيح غريب . قال ابن كثير : وإسناده صحيح على شرط الصحيحين

(٢) لأن فاطمة وجدت على أبى بكر لما أصرّ على العمل بقول رسول الله ﷺ « لا نورث ما تركنا صدقة » وسيأتى تفصيل ذلك فى ص ٤٨ - ٥٠ ، فعاشت فاطمة بعد موت النبى ﷺ ستة أشهر معتزلة فى بيتها ومعها علىّ

وأما عثمان فسكت

وأما عمر فأهجر وقال: «ما مات رسول الله ﷺ، وإنما واعده الله كما واعد موسى [1]، وليرجعنّ رسول الله ﷺ فليقطعن أيدى ناس

= كرم الله وجهه. قال الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٦ : ٣٣٣): فلما مرضت جاءها الصديق فدخل عليها فجعل يترضاها فرضيت. رواه البيهقى من طريق اسماعيل بن أبى خالد عن الشعبى ثم قال: وهذا مرسل حسن باسناد صحيح. وقال البخارى (ك ٦٤ ب ٣٨ ج ٥ ص ٨٢ — ٨٣) من حديث عروة عن عائشة: «فلما توفيت دفنها زوجها علىّ ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها، وكان لعلى من الناس وجه فى حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر علىّ وجوهَ الناس، فالتمس مصالحة أبى بكر ومبايعته الخ». وبيعةُ على هذه هى الثانية بعد بيعته الأولى فى سقيفة بنى ساعدة. وأضاف الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٥ : ٢٤٩) أن علياً لم ينقطع عن صلاة من الصلوات خلف الصديق، وخرج معه إلى ذى القصة لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتال أهل الردّة

ويحتمل أن يكون مراد المؤلف باستخفاء علىّ ما كان منه ومن الزبير قبيل الاجتماع فى سقيفة بنى ساعدة، وقد أشار عمر بن الخطاب إلى ذلك فى خطبته الكبرى التى خطبها فى المدينة فى عقب ذى الحجة بعد آخر حجة حجها عمر، وهذه الخطبة فى مسند الإمام أحمد (١ : ٥٥ الطبعة الأولى — ج ١ رقم ٣٩١ الطبعة الثانية) من حديث ابن عباس

(١) إشارة الى قول الله عز وجل فى سورة البقرة: ٥١ ﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ﴾، وقوله سبحانه فى سورة الأعراف: ١٤٢ ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة ﴾

وأرجلهم (١)

وتعلق بالُ العباس وعليّ بأمر أنفسهما فى مرض النبي ﷺ ، فقال العباس لعلى : « إنى أرى الموت فى وجوه بنى عبد المطلب ، فتعال حتى

---

(١) فى مسند أحمد (٣ : ١٩٦ الطبعة الأولى) حديث أنس بن مالك عن يوم وفاة النبي ﷺ وفيه : « ثم أرخى الستر ، فقبض فى يومه ذاك . فقام عمر فقال : إن رسول الله ﷺ لم يمت ، ولكن ربه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى ، فمكث عن قومه أربعين ليلة . وإنى لأرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يقطع أيدى رجال من المنافقين وألسنتهم يزعمون (أو قال : يقولون) ان رسول الله ﷺ قد مات » . وفى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٥) عن عائشة : « ... فقام عمر يقول : والله ما مات رسول الله ﷺ . . والله ما كان يقع فى نفسى إلا ذاك ، وليبعثنه الله فليقطعنّ أيدى رجال وأرجلهم » . ونقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٥ : ٢٤٢) مارواه البيهقى من طريق ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة بن الزبير قال : قام عمر بن الخطاب يخطب الناس ويتوعد من قال « مات » بالقتل والقطع ، ويقول : إن رسول الله ﷺ فى غشية لو قد قام قتل وقطع . وفى (٥ : ٢٤١) من البداية والنهاية من حديث عائشة وهى تذكر الساعة التى توفى فيها رسول الله ﷺ : فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنا ، فأذنت لهما .. ثم قاما ، فلما دنوا من الباب قال المغيرة : يا عمر ، مات رسول الله ﷺ ، فقال عمر : كذبت ، بل أنت رجل تحوسك (أى تخالطك) فتنة ، إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفنى الله المنافقين . ثم جاء أبو بكر .. وخرج الى المسجد وعمر يخطب الناس ويقول : إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفنى الله المنافقين

ومعنى أهجر : خلط فى كلامه ، وهذى ، وأكثر الكلام فيما لا ينبغى . وذلك من هول ما وقع فى نفس عمر من هذا الحادث العظيم ، فهو لا يكاد يصدقه

نسأل رسول الله ﷺ ، فان كان هذا الأمر فينا علمناه (١)

وتعلق بال العباس وعلى بميراثهما فيما تركه النبي ﷺ من فدك وبنى النضير وخيبر (٢)

واضطرب أمر الأنصار يطلبون الأمر لأنفسهم ، أو الشركة فيه مع المهاجرين (٣)

---

(١) فأجابه على كرم الله وجهه : « إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده ، وإنى والله لا أسألها رسول الله ﷺ » . رواه البخارى فى كتاب المغازى من صحيحه (ك ٦٤ ب ٨٣ ج ٥ ص ١٤٠ - ١٤١) . ونقله ابن كثير فى البداية والنهاية (٥ : ٢٢٧ و ٢٥١) من حديث الزهرى عن عبد الله بن كعب بن مالك عن ابن عباس . ورواه الإمام أحمد فى مسنده (١ : ٢٦٣ و ٣٢٥ الطبعة الأولى و ج ٤ رقم ٢٣٧٤ و ج ٥ رقم ٢٩٩٩ الطبعة الثانية)

(٢) سيأتى تفصيله فى ص ٤٨ عند الكلام على حديث « لا نورث ما تركنا صدقة »

(٣) فاجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة ، وبين ظهرانيهم سعد بن عبادة ، وهم يرون أن الأمر لهم لأن البلد بلدهم وهم أنصار الله وكتيبة الاسلام ، أما قريش فان دافة منهم دفت ، فلا ينبغى أن تختزل الأمر من دون الأنصار . وقال خطيب منهم - وهو الحباب بن المنذر - « أنا جُذَيلها المحكَّك ، وعُذَيقها المرجَّب . منا أمير ومنكم أمير » . (وجذيلها المحكك : هو أصل شجرتها الذى تتحكك به الإبل . وعذيقها المرجب : نخلتها التى دعمت ببناء أو خشب لكثرة حملها) . ومع ذلك فقد كان رجل من الأنصار - وهو بشير ابن سعد الخزرجى والد النعمان بن بشير - يسابق عمر الى مبايعة أبى بكر . وقبيل ذلك كان فى السقيفة الرجلان الصالحان عويم بن ساعدة الأوسى ومعن ابن عدى حليف الأنصار ولم تعجبهما هذه النزعة من الأنصار فخرجا

وانقطعت قـــلوب الجيش الذى كان قد برز مع أسامة بن زيد بالجرف (١)

عاصمـــة

فتدارك الله الاسلام والأنام — وانجابت [الغمة] انجياب الغمام ، ونفذ وعدُ الله باستئثار رسول الله(٢) وإقامة دينه على التمام ، وإن كان قد أصاب ماأصاب من الرزية الاسلام ـ بأبى بكر الصديق رضى الله عنه (٣)

= وهما يريان أن يقضى المهاجرون أمرهم غير ملتفتين الى أحد ، لكن حكمة أبى بكر ونور الإيمان الذى ملأ قلبه كانا أبعد مدى وأحكم تدبيراً لهذه الملة فى أعظم نوازلها

(١) كان هـذا الجيش سبعمائة ، والأمير عليهم أسامة بن زيد ، وكان قد ندبهم رسول الله ﷺ للسير الى تخوم البلقاء (شرق الأردن) حيث قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وابن رواحة . ولمـــا انتقل ﷺ الى الرفيق الأعلى أشار كثير من الصحابة ـ ومنهم عمر ـ أن لا ينفذ الصديق هذا الجيش لما وقع من الاضطراب فى الناس ولاسيما فى القبائل .
فى البداية والنهاية (٦ : ٣٠٤-٣٠٥) حديث القاسم وعمرة عن عائشة قا لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة وأشربت النفاق ، ووالله لقد نزل بى ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى مطيرة فى حش فى ليلة مطيرة بأرض مسبعة . فوالله مااختلفوا فى نقطة إلا طار أبى بحظلها وعنانها وفصلها

(٢) استأثر الله فلاناً ، وبفلان : إذا مات

(٣) أى فتدارك الله الاسلام والأنام بأبى بكر

وكان إذ مات النبي ﷺ غائباً فى ماله بالسُّنح (١) ، فجاء إلى منزل ابنته عائشة رضى الله عنها ـ وفيه مات النبي ﷺ ـ فكشف عن وجهه ، وأكبّ عليه يقبّله وقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، طبتَ حياً وميتاً . والله لا يجمع الله عليك الموتتين ، أما الموتة التى كتب الله عليك فقد متها . ثم خرج الى المسجد ــ والناس فيه ، وعمر يأتى بهجر من القول كما قدمنا ــ فرقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حىّ لا يموت » . ثم قرأ : ﴿ وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلتْ من قبله الرسل ، أفإنْ مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على

---

(١) فى البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥ : ٢٤٤) : كان الصديق قد صلى بالمسلمين صلاة الصبح ، وكان إذ ذاك قد أفاق رسول الله ﷺ إفاقة من غمرة ما كان فيه من الوجع ، وكشف سترة الحجرة ونظر إلى المسلمين وهم صفوف فى الصلاة خلف أبى بكر ، فأعجبه ذلك وتبسم ﷺ حتى همّ المسلمون أن يتركوا ما هم فيه من الصلاة لفرحهم به ، وحتى أراد أبو بكر أن يتأخر ليصل الصف ، فأشار إليهم ﷺ أن يمكثوا كما هم ، وأرخى الستارة ، وكان آخر العهد به ﷺ . فلما انصرف أبو بكر من الصلاة دخل عليه وقال لعائشة : ما أرى رسول الله ﷺ إلا قد أقلع عنه الوجع ، وهذا يوم بنت خارجة ـ يعنى إحدى زوجتيه ، وكانت ساكنة بالسنح شرقى المدينة ـ فركب على فرس وذهب الى منزله ، وتوفى ﷺ حين اشتد الضحى . . . فذهب سالم بن عبيد وراء الصديق فأعلمه بموت النبي ﷺ ، فجاء الصديق حين بلغه الخبر ، وكان منه ما سيذكره المؤلف . والسنح منازل بنى الحارث بن الخزرج فى عوالى المدينة ، بينها وبين مسجد رسول الله ﷺ ميل واحد

عقبيه فلن يضرَّ اللهَ شيئاً ، وسيجزى الله الشاكرين ﴾ (آل عمران : ١٤٤)
فخرج الناس يتلونها فى سكك المدينة كأنها لم تنزل إلا ذلك اليوم[١]

واجتمعت الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة يتشاورون ، ولا يدرون ما يفعلون . [وبلغ ذلك المهاجرين] فقالوا : نرسل إليهم يأتوننا . فقال أبو بكر : بل نمشى إليهم . فسار إليهم المهاجرون ، منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، فتراجعوا الكلام ، فقال بعض الأنصار : منا أمير ومنكم أمير[٢] . فقال أبو بكر كلاماً كثيراً مصيباً ، يُكثر ويصيب . منه : نحن الأمراء وأنتم الوزراء . إن رسول الله ﷺ قال « الأئمة من قريش »[٣] وقال : « أوصيكم بالأنصار خيراً : أن تقبلوا من محسنهم ، وتتجاوزوا

---

(١) رواه البخارى فى كتاب فضائل الصحابة من صحيحه (ك ٦٢ ب ٥ - ج ٤ ص ١٩٤) من حديث عائشة . وفى البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥ : ٢٤٢) من حديث أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى أحد أعلام المسلمين ، عن أبيه أحد العشرة المبشرين بالجنة ، عن عائشة أم المؤمنين التى وقعت هذه الحوادث فى بيتها وفى المسجد النبوى الذى يطل بيتها عليه . وجميع دواوين السنّة سجلت هذا الموقف العظيم للصديق الأكبر بأصح الأحاديث . وألفاظها قريب بعضها من بعض

(٢) الذى قال ذلك من خطباء الأنصار الحباب بن المنذر ، وقد تقدم فى هامش ٣ ص ٤٠

(٣) الحديث فى مسند الطيالسى برقم ٩٢٦ عن أبى برزة ، وبرقم ٢١٣٣ منه عن أنس . وفى كتاب الأحكام من صحيح البخارى (ك ٩٣ ب ٢ — ج ٨ ص ١٠٤-١٠٥) عن معاوية أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين » . وعن ا عمر قال رسول الله ﷺ « لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان » . وفى مسند الإمام أحمد (٣ : ١٢٩ الطبعة الأولى) عن أنس بن مالك أن =

عن مسيئهم [١] » . إن الله سمانا (الصادقين[٢]) وسماكم (المفلحين[٣])

ـــ رسول الله ﷺ قام على باب البيت ونحن فيه فقال « الأئمة من قريش . إن لهم عليكم حقاً ... الخ » ورواه الامام أحمد أيضا فى المسند (٣ : ١٨٣ الطبعة الأولى) عن أنس قال : كنا فى بيت رجل من الأنصار فجاء النبى ﷺ حتى وقف فأخذ بعضادة الباب فقال : « الأئمة من قريش ، ولهم عليكم حق ، ولكم مثل ذلك .. الخ » ورواه الامام أحمد كذلك (٤ : ٤٢١ الطبعة الأولى) عن أبى برزة يرفعه الى النبى ﷺ قال : « الأئمة من قريش : إذا استرحموا رحموا ، وإذا عاهدوا وفوا ، وإذا حكموا عدلوا . فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين »

(١) فى كتاب مناقب الأنصار من صحيح البخارى (ك ٦٣ ب ١١) من حديث هشام بن زيد بن أنس قال : سمعت أنس بن مالك يقول : مرّ أبو بكر والعباس رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار يبكون (والظاهر أن ذلك كان فى مرض النبى ﷺ الذى مات به) فقال : مايبكيكم ؟ قالوا : ذكرنا مجلس النبى ﷺ منا . فدخل على النبى ﷺ فأخبره بذلك . قال : فخرج النبى ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد . قال فصعد المنبر ـ ولم يصعده بعد ذلك اليوم ـ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أوصيكم بالأنصار فانهم كرشى وعيبتى ، وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم ، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم » . وبعده فى صحيح البخارى حديث لعكرمة عن ابن عباس ، وحديث لقتادة عن أنس بمعنى ذلك . وقريب من ذلك فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى ، وفى سنن الترمذى عن ابن عباس

(٢ ــ ٣) فى سورة الحشر : ٨ - ٩ ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم (الصادقون) ۝ والذين تبوّأوا الدارَ والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوقَ شحَّ نفسه فأولئك هم (المفلحون) ﴾

وقد أمركم أن تكونوا معنا حيثما كنا فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ (التوبة : ١١٩) . إلى غير ذلك من الأقوال المصيبة والأدلة القوية . فتذكرت الأنصارُ ذلك وانقادت إليه ، وبايعوا أبا بكر الصديق رضى الله عنه [١]

وقال أبو بكر لأسامة : انفذ لأمر رسول الله ﷺ . فقال عمر : كيف ترسل هذا الجيش والعرب قد اضطربت عليك ؟! فقال : لو لعبت الكلاب بخلاخيل نساء المدينة ، مارددت جيشاً أنفذه رسول الله ﷺ [٢]

---

(١) نقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٥ : ٢٤٧) من حديث الإمام أحمد عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى (ابن اخت أمير المؤمنين عثمان) خطبة أبى بكر فى سقيفة بنى ساعدة ، ومنها قوله : لقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً سلكتُ وادى الأنصار » . ولقد علمت ياسعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد : « قريش ولاة هذا الأمر : فبرُّ الناس تبع لبرِّهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم » فقال له سعد : « صدقت ، نحن الوزراء وأنتم الأمراء » .

(٢) نقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٦ : ٣٠٥) عن الحافظ أبى بكر البيهقى حديث محمد بن يوسف الفريابى الحافظ (قال البخارى : كان أفضل أهل زمانه) ، عن عباد بن كثير الرملى أحد شيوخه (قال ابن المدينى : كان ثقة لابأس به) ، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (أحد التابعين ، توفى بالاسكندرية) عن أبى هريرة قال : «والله الذى لاإله إلا هو ، لولا أبوبكر استخلف ما عُبد الله » ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة . فقيل له : مه ياأباهريرة . فقال : إن رسول الله ﷺ وجه أسامة بن زيد فى سبعمائة إلى الشام ، فلما نزل بذى خشب قبض رسول الله ﷺ ، وارتدت العرب حول المدينة . فاجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : يا أبا بكر ، رد هؤلاء ، =

وقال له عمر وغيره : إذا منعك العربُ الزكاةَ فاصبر عليهم . فقال : « والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدّونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه . والله لأقاتلنّ من فرّق بين الزكاة والصلاة (١) » .

= توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة ؟! فقال : « والذى لا إله غيره ، لو جرّت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددتُ جيشاً وجه رسول الله ، ولا حللتُ لواء عقده رسول الله » . فوجه أسامة ، فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا : لولا أن لهؤلاء قوة ماخرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم . فلقوا الروم ، فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين ، فثبتوا على الاسلام

(١) لما مضى جيش أسامة فى طريقه إلى شرق الأردن جعلت وفود القبائل تقدم المدينة ، يقرّون بالصلاة ويمتنعون عن أداء الزكاة . قال ابن كثير (٦ : ٣١١) ومنهم من احتج بقوله تعالى ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم ﴾ (التوبة : ١٠٣) . قالوا : فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا . وقد تكلم الصحابة مع الصديق فى أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان فى قلوبهم ثم هم بعد ذلك يزكون ، فامتنع الصديق من ذلك وأباه . وقد روى الجماعة فى كتبهم - سوى ابن ماجه - عن أبى هريرة أن عمر بن الخطاب قال لأبى بكر : علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » فقال أبو بكر : « والله لو منعونى عناقا (وفى رواية : عقالا) كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها . إن الزكاة حق المال . والله لأقاتلنّ من فرق بين الصلاة والزكاة » قال عمر : فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق . وهذا الحديث =

قيل : ومع من تقاتلهم ؟ قال : « وحدى ، حتى تنفرد سالفتى (١) »

وقدّم الأمراء على الأجناد والعمال فى البلاد مختاراً لهم ، مرتئياً فيهم، فكان ذلك من أسدّ عمله ، وأفضل ما قدّمه للاسلام (٢)

= فى مسند أحمد (١ : ١١ و١٩ و٣٥-٣٦ الطبعة الأولى - ج ١ رقم ٦٧ و١١٧ و ٢٣٩ الطبعة الثانية) من حديث عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبى هريرة . وفى البداية والنهاية (٦ : ٣١٢) : قال القاسم بن محمد [ابن أبى بكر الصديق ، وهو أحد الفقهاء السبعة] : اجتمعت أسد وغطفان وطيء على طليحة الأسدى ، وبعثوا وفوداً الى المدينة فنزلوا على وجوه الناس ، فأنزلوهم إلا العباس ، فحملوهم إلى أبى بكر على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة . فعزم الله لأبى بكر على الحق وقال « لو منعونى عقالا لجاهدتهم »

(١) السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه ، ولا تنفرد إحداهما عما يليها إلا بالموت

(٢) وفى طليعة هؤلاء القواد : أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهرى ، وعمرو بن العاص السهمى ، وخالد بن الوليد المخزومى ، وخالد بن سعيد بن العاص الأموى ، ويزيد بن أبى سفيان ، وعكرمة بن أبى جهل ، والمهاجر بن أبى أميـة شقيق أم المؤمنين أم سلمة ، وشرحبيل بن حسنة ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وسهيل بن عمرو العامرى خطيب قريش ، والقعقاع ابن عمرو التميمى، وعرفجة بن هرثمة البارق ، والعلاء بن الحضرمى حليف بنى أمية ، والمثنى بن حارثة الشيبانى ، وحذيفة بن محصن الغطفانى . وفى طليعة ولاته : عتاب بن أسيد الأموى ، وعثمان بن العاص الثقفى ، وزياد بن لبيد الانصارى، وأبو موسى الأشعرى ، ومعاذ بن جبل، ويعلى بن منية، وجرير ابن عبد الله البجلى، وعياض بن غنم، والوليد بن عقبة بن أبى معيط، وعبدالله ابن ثور أحد بنى غوث ، وسويد بن مقرن المزنى

وقال لفاطمة وعلى والعباس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لانُورَث ، ما تركنا صدقة » . فذكر الصحابة ذلك (١)

---

(١) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (٦٢ ب ١٢ — ج ٤ ص ٢٠٩ - ٢١٠) حديث الزهرى عن عروة بن الزبير عن عائشة أن فاطمة أرسلت إلى أبى بكر تسأله ميراثها من النبي ﷺ فيما أفاء الله على رسوله ﷺ تطلب صدقة النبي ﷺ التى بالمدينـــة وفدَك وما بقى من خمس خيبر ، فقال أبو بكر : إن رسول الله ﷺ قال « لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة . إنما يأكل آل محمد من هذا المال - يعنى مال الله - ليس لهم أن يزيدوا على المأكل » وإنى والله لا أغير شيئاً من صدقات النبي ﷺ التى كانت عليها فى عهد النبي ﷺ ، ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ . فتشهد علىٌّ ثم قال : إنا عرفنا يا أبا بكر فضيلتك (وذكر قرابتهم من رسول الله ﷺ وحقهم) . فتكلم أبو بكر فقال : والذى نفسى بيده ، لقرابة رسول الله ﷺ أحبُّ إلىَّ أن أصل من قرابتى . وأوسع منه فى كتاب المغازى بباب غزوة خيبر من صحيح البخارى (ك ٦٤ ب ٣٨ - ج ٥ ص ٨٢)

وفى كتاب الوصايا من صحيح البخارى (ك ٥٥ ب ٣٢ - ج ٣ ص١٩٧) وكتاب فرض الخمس منه (ك ٥٧ ب ٣ - ج ٤ ص ٤٥) حديث أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا يقتسم ورثتى ديناراً ، ما تركت - بعدَ نفقة نسائى ومؤونة عاملى فهو صدقة » . قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنّة (٢ : ١٥٨) : قول النبي ﷺ « لانورث ، ماتركنا صدقة» رواه عنه أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبدالرحمن بن عوف ، والعباس بن عبدالمطلب ، وأزواج النبي ﷺ ، وأبو هريرة ، والرواية عن هؤلاء ثابتة فى الصحاح والمسانيد . وقال قبل ذلك (٢ : ١٥٧) : ان الله تعالى صان الأنبياء أن يورثوا دنيا لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح فى نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا وورثوها لورثتهم . ثم ان =

= من ورثة النبى ﷺ أزواجه ومنهم عائشة بنت أبى بكر وقد حرمت نصيبها بهذا الحديث النبوى ، ولو جرى أبو بكر مع ميله الفطرى لأحب أن ترث ابنته

وفى كتاب فرض الخمس من صحيح البخارى (ك٥٧ ب١ - ج ٤ ص٤٢) حديث ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن عائشة أم المؤمنين أخبرت أن فاطمة ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها ماترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه ، فقال لها أبو بكر: ان رسول الله ﷺ قال « لا نورث ، ما تركنا صدقة » . . فأبى أبو بكر عليها ذلك وقال : « لست تاركا شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به ، فانى أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ »

وفى الباب نفسه من صحيح البخارى (ج ٤ ص ٤٢ — ٤٤) من حديث الإمام مالك بن أنس عن ابن شهاب عن مالك بن أوس بن الحدثان النصرى أنه قال : بينا أنا جالس فى أهلى حين متع النهار إذا رسول عمر بن الخطاب فقال : أجب أمير المؤمنين . فانطلقت معه . فبينا أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ فقال : هل لك فى عثمان وعبدالرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبى وقاص يستأذنون ؟ قال : نعم . فأذن لهم . . ثم جلس يرفأ يسيراً ثم قال : هل لك فى على وعباس ؟ قال : نعم . فأذن لهما ، فدخلا فسلما فجلسا . فقال عباس : يا أمير المؤمنين اقض بينى وبين هذا - وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله ﷺ من بنى النضير - فقال الرهط ، عثمان وأصحابه : يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر . قال عمر: تَيدَكم . أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » يريد رسول الله ﷺ نفسه ؟ قال الرهط : قد قال ذلك . فأقبل عمر على علىّ وعباس فقال : أنشدكما الله ، أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك ؟ قالا : قد قال ذلك . (وبعد أن ذكر أنه ﷺ كان ينفق على أهله سنتهم من هذا المال ثم يجعل ما بقى مجعل مال الله ، واستشهدهم على ذلك فشهدوا ، قال) : ثم توفى الله نبيه ﷺ ، فقال أبو بكر : أنا ولى رسول =

= الله ﷺ ، فقبضها ، فعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ ، والله يعلم أنه فيها لصادق بارّ راشد تابع للحق . ثم توفى الله أبا بكر، فكنت أنا ولى أبى بكر، فقبضتها سنتين من إمارتى . أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ ، وما عمل فيها أبو بكر ، والله يعلم انى فيها لصادق بار راشد تابع للحق . ثم جئتمانى تكلمانى وكلمتكما واحدة وأمركما واحد ، جئتنى ياعباس تسألنى نصيبك من ابن أخيك، وجاءنى هذا - يريد علياً - يريد نصيب امرأته من أبيها ، فقلت لكما : إن رسول الله ﷺ قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » . فلما بدا لى أن أدفعه إليكما قلت : إن شئتما دفعتها إليكما على أنّ عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ ، وبما عمل فيها أبو بكر ، وبما عملت فيها منذ وليتها . فقلتما : ادفعها إلينا . فبذلك دفعتها إليكما . فأنشدكم بالله ، هل دفعتها إليهما بذلك ؟ قال الرهط : نعم . ثم أقبل على على وعباس فقال : أنشدكما بالله ، هل دفعتها إليكما بذلك ؟ قالا : نعم . قال : أفتلتمسان منى قضاء غير ذلك ! فوالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض ، لا أقضى فيها قضاء غير ذلك ، فان عجزتما عنها فادفعاها إلىّ فانى أكفيكماها

وأورد البخارى حديث مالك بن أوس هذا فى كتاب المغازى من صحيحه (ك ٦٤ ب ١٤ - ج ٥ ص ٢٣ - ٢٤) من حديث شعيب عن الزهرى عن مالك بن أوس ، وفى كتاب النفقات من صحيحه (ك ٦٩ ب ٣ - ج ٦ ص ١٩٠-١٩٢) ، وفى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيحه (ك ٩٦ ب ٥ - ج ٨ ص ١٤٦ - ١٤٧) . وانظر كتاب الفرائض من صحيح البخارى (ك ٨٥ ب ٣ - ج ٨ ص ٣ - ٥) . ومسند الإمام أحمد (١ : ١٣ الطبعة الأولى - ورقم ٧٧ و٧٨ الطبعة الثانية)

وقد نبه شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣ : ٢٣٠) الى أن أبا بكر وعمر أعطيا من مال الله أضعاف هذا الميراث للذين كانوا سيرثونه قال : وإنما أخذ منهم قرية ليست كبيرة ، لم يأخذ منهم مدينة ولا قرية عظيمة ثم قال (٣ : ٢٣١) وقد تولى علىّ بعد ذلك ، وصارت فدك وغيرها تحت =

وقال : سمعته ﷺ يقول : « لا يدفن نبي إلا حيث يموت[1] » وهو فى ذلك كله رابط الجأش ، ثابت العلم والقدم فى الدين

ثم استخلف عمرَ ، فظهرت بركةُ الاسلام ، ونفـذ الوعد الصادق فى الخليفتين[2]

= حكمه ، ولم يعط لأولاد فاطمة ولا زوجات النبي ﷺ ولا ولد العباس شيئاً من ميراثه ... الخ

(١) فى كتاب الجنائز من موطأ مالك (ك ١٦ح ٢٧ - ص٢٣١) أن مالكا بلغه أن رسول الله ﷺ توفى يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء وصلى الناس عليه أفذاذاً لا يؤمهم أحد . فقال ناس : يدفن عند المنبر . وقال آخرون : يدفن بالبقيع . فجاء أبو بكر الصديق فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما دفن نبي قط إلا فى مكانه الذى توفى فيـه » . قال الحافظ ابن عبد البر : صحيح من وجوه مختلفة وأحاديث شتى جمعها مالك . وفى كتاب الجنائز من جامع الترمذى (ك ٨ ب ٣٣) حديث عائشة : لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا فى دفنه ، فقال أبو بكر : سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيته ، قال : « ما قبض الله نبياً إلا فى الموضع الذى يحب أن يدفن فيه » ادفنوه فى موضع فراشه . وفى كتاب الجنائز من سنن ابن ماجه (ك ٦ ب ٦٥) عن ابن عباس : لقد اختلف المسلمون فى المكان الذى يحفر له ، فقال قائلون : يدفن فى مسجده ، وقال قائلون : يدفن مع أصحابه ، فقال أبو بكر : انى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض » . ورواه ابن اسحاق (فى السيرة لابن هشام ٣ : ١٠٣ بولاق) من حديث عكرمة عن ابن عباس . وانظر البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥ : ٢٦٦ - ٢٦٨)

(٢) وهو وعد الله عز وجل فى سورة النور : ٥٥ ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم =

ثم جعلها عمر شورى ، فاخرج عبدُ الرحمن بن عوف نفسه من الأمر حتى ينظر ويتحرّى فيمن يقدّم (١) ، فقدّم عثمانَ ، فكان عند

= وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾.
ولقد كان المجتمع الاسلامى ـ بتوجيه هذين الخليفتين ـ أسعد مجتمع إنسانى عرفه التاريخ ، لأن الناس ـ من ولاة ورعية ـ كانوا يتعاملون بالإيثار ، وكان الواحد منهم يكتفى بما يفى بحاجته ، ويبذل من ذات نفسه أقصى ما يستطيع أن يستخرج منها من جهد لاقامة الحق فى الأرض وتعميم الخير بين الناس . ويلقى الرجل الخيرُ منهم رجــلا لا تزال تنزع به نزعات الشر ، فلا يزال به حتى يخدر عناصر الشر المتوثبة فى نفسه ، ويوقظ ما كمن فيها من عناصر الخير الى أن يكون من أهل الخير . وفى المنتسبين إلى الاسلام حتى يومنا هذا طوائف امتلأت قلوبهم بالضغن حتى على أبى بكر وعمر ، فضلا عمن استعان بهم أبو بكر وعمر من أهل الفضل والاحسان ، فصنعوا لهم من الأخبار الكاذبة شخصيات أخرى غير شخصياتهم التى كانوا عليها فى نفس الأمر ، ليقنعوا أنفسهم بأنهم إنما أبغضوا أناســاً يستحقون منهم هـذه البغضاء . ولهذا امتلأ التاريخ الاسلامى بالأكاذيب ، ولن تتجدد للمسلمين نهضة إلا إذا عرفوا سلفهم على حقيقته واتخذوا منه قدوة لهم ، ولن يعرفوا سلفهم على حقيقته إلا بتطهير التاريخ الاسلامى مما ألصق به

(١) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٨ - ج ٤ ص ٢٠٤ - ٢٠٧) حديث عمرو بن ميمون أحد تلاميـذ معاذ وابن مسعود ومن شيوخ الشعبى وسعيد بن جبير وطبقتهما ، وقد اشتمل هذا الحديث على خبر مقتل أمير المؤمنــين عمر ، وكيف جعل عمر الخلافة شورى بين الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، وكيف أخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه منها . ثم انتهى إلى تقديم عثمان . وهـذا الحديث من أصح =

الظن به : ما خالف له عهداً ، ولا نكث عقداً ، ولا اقتحم مكروها ، ولا خالف سنة (١)

= ماثبت فى هذا الموضوع وأجوده . واقرأ بعد ذلك ما كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية عن موقف عمر فى جعله الأمر شورى فى كتاب منهاج السنة (٣ : ١٦٨ - ١٧٢) ، وفيه إرشاد دقيق إلى ما كان عليه بنو هاشم وبنو أمية من الاتفاق والمحبة والتعاون فى أيام النبى ﷺ وأبى بكر وعمر ، وأن عثمان وعلياً كان أحدهما أقرب إلى صاحبه من سائر الأربعة إليهما . ونقل ابن تيمية فى (٣ : ٢٣٣ - ٢٣٤) قول الإمام أحمد : لم يتفق الناس على بيعة كما اتفقوا على بيعة عثمان : ولاه المسلمون بعد تشاورهم ثلاثة أيام ، وهم مؤتلفون متفقون متحابون متوادون معتصمون بحبل الله جميعاً . وقد أظهرهم الله ، وأظهر بهم ما بعث به نبيه من الهدى ودين الحق ، ونصرهم على الكفار ففتح بهم بلاد الشام والعراق وبعض خراسان .. الخ

(١) وكيف لا يكون عثمان عند الظن به وقد شهد له بطهارة السيرة وحسن الخاتمة رسول الله الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى . قال الحافظ ابن حجر فى ترجمة عثمان من (الاصابة) : جاء من أوجه « متواترة » أن رسول الله ﷺ بشر عثمان بالجنة ، وعده من أهل الجنة ، وشهد له بالشهادة . والحديث الذى يتواتر بذلك عن رسول الله ﷺ لا يرتاب فيه ولا يجنح إلى غير مدلوله إلا الذى يرضى لنفسه بأن يقتحم أبواب الجحيم . وروى الترمذى من طريق الحارث بن عبد الرحمن عن طلحة أحد العشرة المبشرين بالجنة أن رسول الله ﷺ قال : « لكل نبى رفيق ، ورفيقى فى الجنة عثمان » . وقال الحافظ ابن عبد البر فى ترجمة عثمان من كتاب (الاستيعاب) : ثبت عن النبى ﷺ أنه قال « سألت ربى عز وجل أن لا يدخل النار أحداً صاهر إلىّ أو صاهرت إليه » . وشهادة أخرى من رسول الله ﷺ لهذا =

= الانسان الأفضل يتمنى مثلها أبو بكر وعمر ، فقد روى الإمام مسلم فى كتاب فضائل الصحابة من صحيحه (ك ٤٤ ح ٢٦ - ج ٧ ص ١١٦ - ١١٧) عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال فى عثمان : « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟ » . وفى صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٧ - ج ٤ ص ٢٠٣) عن نافع عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : كنا فى زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبى بكر أحداً ، ثم عمر ، ثم عثمان . ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم . وقيل للمهلب بن أبى صفرة : لم قيل لعثمان ذا النورين ؟ قال : لأنه لم يعلم أن أحداً أرسل ستراً على ابنتى نبى غيره . وروى خيثمة فى فضائل الصحابة عن النزال بن سبرة العامرى (أحد الذين أخذوا عن أبى بكر وعثمان وعلى ، وهو من شيوخ الشعبي والضحاك وطبقتهما) قال : قلنا لعلى حدثنا عن عثمان ، فقال « ذاك امرؤ يدعى فى الملأ الأعلى ذا النورين » . وقال ابن مسعود حين بويع عثمان بالخلافة « بايعنا خيرنا ، ولم نألُ » . ووصفه على بن أبى طالب بعد انقضاء أجله فقال « كان عثمان أوصلنا للرحم ، وكان من الذين آمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين » . وروى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أن أباه قال « لقد عتبوا على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما عتبوا عليه » . وعبد الله بن عمر كان شاهد عيان لخلافة عثمان من أولها إلى آخرها ، وكان أشد الناس فى التزام السنة المحمدية ، ومع ذلك فانه يشهد لعثمان بأن كل ما عتبوا به عليه كان يحتمل أن يكون من عمر - وهو أبوه - ولو كان ذلك من عمر لما عتب أحد به عليه . وقال مبارك بن فضالة مولى زيد بن الخطاب : سمعت عثمان يخطب وهو يقول « يا أيها الناس ما تنقمون عليّ » ، وما من يوم إلا وأنتم تقسمون فيه خيراً » . وقال الحسن البصرى : شهدتُ منادى عثمان ينادى : يا أيها الناس اغدوا على أعطياتكم ، فيغدون ويأخذونها وافية . يا أيها الناس اغدوا على أرزاقكم ، فيغدون ويأخذونها وافية . حتى - والله - سمعته أذناى يقول اغدوا على كسوتكم . فيأخذون الحلل . واغدوا على =

وقد كان النبي ﷺ أخبر بأن عمر شهيد ، وبأن عثمان شهيد ، وبأن له الجنة على بلوى تصيبه [١]

= السمن والعسل . قال الحسن : أرزاق دارّة ، وخير كثير ، وذات بين حسن . ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمناً ، إلا يوده وينصره ويألفه . فلو صبر الأنصار على الأثرة لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق ، ولكنهم لم يصبروا ، وسلوا السيف مع من سل ، فصار عن الكفار مغمداً ، وعلى المسلمين مسلولا (روى ذلك عنه الحافظ ابن عبد البر) . وقال ابن سيرين صنو الحسن البصري وزميله وهو أيضاً كان معاصرا لعثمان : « كثُر المال فى زمن عثمان حتى بيعت جارية بوزنها ، وفرس بمائة الف درهم ، ونخلة بألف درهم » . وسئل عبد الله بن عمر بن الخطاب عن على وعثمان ، فقال للسائل : « قبحك الله ، تسألني عن رجلين ـ كلاهما خير مني ـ تريد أن أغض من أحدهما وأرفع من الآخر ؟! »

(١) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٧ - ج ٤ ص ٢٠٢) حديث أبى موسى الاشعرى قال : إن النبى ﷺ دخل حائطا (أى بستاناً) وأمرنى بحفظ باب الحائط ، فجاء رجل يستأذن ، فقال ﷺ : « ائذن له وبشره بالجنة » فاذا أبو بكر . ثم جاء آخر يستأذن ، فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » فاذا عمر . ثم جاء آخر يستأذن ، فسكت هنيهة ثم قال : « ائذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه » فاذا عثمان بن عفان . (وانظر صحيح البخارى ك ٦٢ ب ٥ و ٦- ج ٤ ص ١٩٥-١٩٧ و ٢٠١-٢٠٢) . ومثله فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح مسلم (ك ٤٤ ح ٢٨ و ٢٩-ج ٧ ص ١١٧-١١٩) من حديث أبى موسى الأشعرى أيضا .وروى ابن ماجه فى الباب ١١ من مقدمة السنن (ج ١ ص ٢٨ طبعة مصر سنة ١٣١٣) عن محمد بن سيرين من أئمة التابعين ، عن كعب بن عجرة البلوى حليف الانصار =

وهو وزوجه رُقيّة ابنة رسول الله ﷺ أول مهاجر بعد ابراهيم الخليل ﷺ، دخل به في باب «أوّلُ مَن ...»[١]، وهو علم كبير جمعه الناس ولما صحت إمامته قتل مظلوما[٢]، ليقضي الله أمراً كان مفعولا .

= وأحد الذين شهدوا عمرة الحديبية مع رسول الله ﷺ ونزلت فيه آية الفدية ١٩٥ من سورة البقرة ، قال كعب بن عجرة : ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها فمر رجل مقنع رأسه ، فقال رسول الله ﷺ : «هذا يومئذ على الهدى» فوثبت فأخذت بضبعي عثمان ، ثم استقبلت رسول الله ﷺ فقلت : هذا؟ قال : هذا . وفي مسند أحمد (١: ٥٨ الطبعة الأولى- رقم ٤٠٧ الطبعة الثانية) عن أبي سهلة مولى عثمان - وهو تابعي ثقة - أن عثمان قال يوم الدار حين حصر . «إن رسول الله ﷺ عهد الى عهداً ، فأنا صابر عليه» والحديث عند الترمذي (٤ : ٣٢٤) من طريق وكيع ، وقال : حديث حسن صحيح . وعند ابن ماجه (١ : ٢٨) حديثان أحدهما لابي سهلة مولى عثمان والآخر لعائشة . وأوردهما الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣ : ٩٩) عن عائشة

(١) للجلال السيوطي وغيره من العلماء قبله وبعده كتب ألفوها في تسمية الأشخاص الذين سبقوا غيرهم الى شيء من الأعمال المحمودة وغيرها ، فيقولون (مثلا) : كان عثمان أول من هاجر في سبيل الله الهجرة الأولى الى الحبشة

(٢) روى الامام أحمد في مسنده (٢ : ١١٥ الطبعة الاولى - ج ٨ رقم ٥٩٥٣ الطبعة الثانية) عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : ذكر رسول الله ﷺ فتنة ، فمرّ رجل ، فقال ﷺ : «يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوما» قال [عبد الله بن عمر] : فنظرته ، فاذا هو عثمان بن عفان . قال الشيخ أحمد شاكر : والحديث رواه الترمذي (٤ : ٣٢٣) ونقل شارحه عن الحافظ ابن حجر أنه قال : اسناده صحيح . وروى الحاكم في المستدرك (٣ : ١٠٢) نحوه من حديث مرة بن كعب وصححه على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي

ما نصب حربا (١) ولا جيش عسكراً (٢) ، ولا سعى إلى فتنة (٣) ولا دعا الى بيعة (٤) ، ولا حاربه ولا نازعه من هو من أضرابه ولا أشكاله (٥) ، ولا كان يرجوها لنفسه . ولا خلاف أنه ليس لأحد أن

---

(١) أى لقتال أهل القبلة . أما حروبه لاعلاء كلمة الله ونشر دعوة الحق فكانت من أنشط ما عرفه التاريخ الاسلامى

(٢) أى للدفاع عن نفسه . وكبح جماح البغاة عليه

(٣) بل كان أشد خلق الله كرها لها وحرصاً على تضييق دائرتها ، حقنا لدماء المسلمين ، ولو أدّى ذلك به إلى أن يكون هو ضحية لغيره

(٤) وإنما أتته منقادة على غير تشوّف منه اليها ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣ : ١٦٤) : « ان الصحابة اجتمعوا على عثمان رضى الله عنه لان ولايته كانت أعظم مصلحة وأقل مفسدة من ولاية غيره . ثم قال فى الصفحة التالية : ولا ريب أن الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ـ أى الذين عينهم عمر ـ لا يوجد أفضل منهم ، وإن كان فى كل منهم ما كرهه فان غيرهم يكون فيه من المكروه أعظم ، ولهذا لم يتول بعد عثمان خير منه ولا أحسن سيرة

(٥) أضراب أمير المؤمنين عثمان وأشكاله هم إخوانه الذين أشركهم أمير المؤمنين عمر فى الشورى ، أما الذين استطاع عبد الله بن سبأ وتلاميذه أن يوقعوهم فى حبائل الفتنة فبينهم وبين مستوى أهل الشورى أبعد مما بين الحضيض والقمة ، بل أبعد مما بين الشر والخير . وإن الشر الذى أقحموه على تاريخ الاسلام بحماقاتهم وقصر انظارهم لو لم يكن من نتائجه إلا وقوف حركة الجهاد الاسلامى فيما وراء حدود الاسلام سنين طويلة لكفى إثما وجناية . قال شيخ الاسلام ابن تيمة فى منهاج السنة (٢ : ١٨٦) : إنّ =

يفعل ذلك فى غير عثمان ، فكيف بعثمان رضى الله عنه

وقد سموا من قام عليه ، فوجدناهم أهلَ أغراض سوء حِيل بينهم وبينها (١) ، فوعظوا وزجروا (٢) ، وأقاموا عند عبد الرحمن بن خالد

= خيار المسلمين لم يدخل واحد منهم فى دم عثمان . لا قتل ، ولا أمر بقتله ، وإنما قتله طائفة من المفسدين فى الأرض من أوباش القبائل وأهل الفتن . وكان علىّ رضى الله عنه يقول « اللهم العن قتلة عثمان فى البر والبحر والسهل والجبل »

(١) الذين شاركوا فى الجناية على الاسلام يوم الدار طوائف على مراتب : فيهم الذين غلب عليهم الغلو فى الدين فأكبروا الهنات وارتكبوا فى إنكارها الموبقات. وفيهم الذين ينزعون إلى عصبية يمنية على شيوخ الصحابة من قريش، ولم تكن لهم فى الاسلام سابقة . فحسدوا أهل السابقة من قريش على ما أصابوا من مغانم شرعية جزاء جهادهم وفتوحهم ، فارادوا أن يكون لهم مثلها بلا سابقة ولا جهاد . وفيهم الموتورون من حدود شرعية أقيمت على بعض ذويهم ، فاضطغنوا فى قلوبهم الإحنة والغل لأجلها . وفيهم الحمقى الذين استغلّ السبأيون ضعف عقولهم فدفعوهم إلى الفتنة والفساد والعقائد الضالة . وفيهم من أثقل كاهله خير عثمان ومعروفه نحوه ، فكفر معروف عثمان عندما طمع منه بما لا يستحقه من الرئاسة والتقدم بسبب نشأته فى أحضانه . وفيهم من أصابهم من عثمان شىء من التعزير لبوادر بدرت منهم تخالف أدب الاسلام، فأغضبهم التعزير الشرعى من عثمان ، ولو أنهم قد نالهم من عمر أشدّ منه لرضوا به طائعين . وفيهم المتعجلون بالرياسة قبل أن يتأهلوا لها اغترارا بما لهم من ذكاء خلاب أو فصاحة لا تغذيها الحكمة ، فثاروا متعجلين بالأمر قبل إبانه . وبالاجمال ، فان الرحمة التى جبل عليها عثمان وامتلأ بها قلبه أطمعت الكثيرين فيه ، وأرادوا أن يتخذوا من رحمته مطية لأهوائهم . ولعلى إذا اتسع لى الوقت أتفرغ لدراسة نفسيات هؤلاء الخوارج على عثمان ، وتنظيم المعلومات الصحيحة التى بقيت لنا عنهم ، ليكون من ذلك درس عبرة لطلاب التاريخ الاسلامى

(٢) وقد وعظهم وزجرهم أهل العافية والحكمة والرضا من أعيان =

ابن الوليد(١) ، وتوعدهم حتى تابوا (٢)، فأرسل بهم إلى عثمان فتابوا (٣) وخيرهم فاختاروا التفرق فى البلاد ، فأرسلهم . فلما سار كل إلى ما اختار أنشأوا الفتنة ، وألبوا الجماعة، وجاءوا إليه (٤) بجملتهم ، فاطلع عليهم من حائط داره ووعظهم ، وذكرهم ، وورّعهم عن دمه (٥) ، وخرج طلحة يبكى ويورع الناس ، وأرسل علىّ ولديه (٦) ، وقال الناس لهم(٧) : إنكم أرسلتم إلينا ، أقبلوا إلى من غيّر سنة الله (٨)، ، فلما جئنا قعد هذا فى بيته

= أمصارهم وعلمائها فى الكوفة والبصرة والفسطاط ، ثم وعظهم وزجرهم معاوية فى مجالس له معهم عند ما سيرهم عثمان الى الشام كما سيجىء عند كلام المؤلف على سطوهم على المدينة - بحجة الحج - فحولوا حجهم الكاذب إلى البغى على خليفتهم وسفك دمه الحرام فى جوار قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام

(١) وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد والياً لمعاوية على حمص وما يليها من شمال الشام إلى أطراف جزيرة ابن عمر ، وسيأتى الحديث عن احوالهم عند ما قبض عليهم هذا الشبل المخزومى بمثل مخالب أبيه

(٢) بل تظاهروا بأنهم تابوا . ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم﴾

(٣) خيرهم عبد الرحمن بن خالد فى أن يذهبوا الى عثمان ، فذهب كبيرهم الاشتر النخعى ، وله قصة نذكرها فى موضعها من هذا الكتاب

(٤) أى الى أمير المؤمنين عثمان

(٥) ورعهم عن الشىء : كفهم ومنعهم بالحجة والحق المنير

(٦) ليكونا فى حراسة أمير المؤمنين عثمان ، ويدافعا عنه بالسلاح إذا شاء

(٧) أى قال البغاة يخاطبون علياً وطلحة والزبير

(٨) زعم البغاة أنهم تلقوا من على وطلحة والزبير رسائل يدعونهم بها للثورة على عثمان بدعوى أنه غير سنة الله . وسيأتى انكار على وطلحة والزبير أنهم كتبوا بذلك ، والظاهر أن الفريقين صادقان ، وأن منظمى الفتنة من السبأيين زوروا الرسائل التى ذكرها البغاة الثائرون

ـ يعنون علياً ـ وخرجت أنت (١) تفيض عينيك . والله لا برحنا حتى نريق دمه

وهذا قهر عظيم ، وافتئات على الصحابة ، وكذب فى وجوههم وبهت لهم . ولو أراد عثمان لكان مستنصراً بالصحابة ، ولنصروه فى لحظة (٢). وإنما جاء القوم مستجيرين متظلمين (٣) . فوعظهم ، فاستشاطوا . فأراد الصحابة ألّهم (٤) ، فأوعز إليهم عثمان ألا يقاتل أحد بسببه أبداً فاستسلم ، وأسلموه برضاه

وهى مسألة من الفقه كبيرة : هل يجوز للرجل أن يستسلم ، أم يجب عليه أن يدافع عن نفسه ؟

وإذا استسلم وحرّم على أحد أن يدافع عنه بالقتل ، هل يجوز لغيره أن يدافع عنه ولا يلتفت إلى رضاه ؟ اختلف العلماء فيها

فلم يأت عثمان منكراً لا فى أول الأمر ، ولا فى آخره ، ولا جاء الصحابة بمنكَر . وكل ماسمعت من خبر باطل إياك أن تلتفت اليه (٥)

---

(١) الخطاب لطلحة بن عبيد الله

(٢) ولقد راودوه فى ذلك مراراً ، وعرض عليه معاوية أن ينقل دار الخلافة إلى الشام، أو يمدّه بجند من الشام لا يعرف له التاريخ إلا التقدم والظفر

(٣) أى أن البغاة ظهروا بمظهر المتظلم وهو يدعى أموراً يشكوها ، فكان عثمان يرى لهم حقاً عليه أن يبين لهم وللناس حجته فيما ادعوا ، ووجهة نظره فى الأمور التى زعموا أنهم جاءوا يتظلمون منها

(٤) ألّه : طعنه بالألّة ، وهى الحربة العريضة النصل

(٥) ومعيار الأخبار فى تاريخ كل أمة الوثوق من مصادرها ، والنظر فى ملاءمتها لسجايا الأشخاص المنسوبة إليهم . وأخبار التاريخ الاسلامى نقلت =

قاصمة

قالوا متعدّين ، متعلقين برواية كذابين : جاء عثمان فى ولايته بمظالم ومناكير ، منها :

١ ـ ضَربه لعمار حتى فتق أمعاءه

٢ ـ ولا بن مسعود حتى كسر أضلاعه ، ومنعه عطاءه

٣ ـ وابتدع فى جمع القرآن وتأليفه ، وفى حرق المصاحف

٤ ـ وحمى[1] الحمى[1]

٥ ـ وأجلى[1] أباذر[2] الى الرّبذة

= عن شهود عيان ذكروها لمن جاءوا بعدهم ، وهؤلاء رووها لمن بعدهم . وقد اندس فى هؤلاء الرواة أناس من أصحاب الأغراض زوّروا أخباراً على لسان آخرين وروجوها فى الكتب إما تقرباً لبعض أهل الدنيا ، أو تعصباً لنزعة يحسبونها من الدين . ومن مزايا التاريخ الاسلامى ـ تبعاً لما جرى عليه علماء الحديث ـ أنه قد تخصص فريق من العلماء فى نقد الرواية والرواة ، وتمييز الصادقين منهم عن الكذبة ، حتى صار ذلك علماً محترماً له قواعد ، وألفت فيه الكتب ، ونظمت للرواة معاجم حافلة بالتراجم ، فيها التنبيه على مبلغ كل راو من الصدق والتثبت والأمانة فى النقل ، وإذا كان لبعضهم نزعات حزبية أو مذهبية قد يجنح معها إلى الهوى ذكروا ذلك فى ترجمته ليكون دارس أخبارهم ملماً بنواحى القوة والضعف من هذه الأخبار . والذين يتهجمون على الكتابة فى تاريخ الاسلام وتصنيف الكتب فيه قبل أن يستكملوا العدة لذلك ـ ولا سيما فى نقد الرواة ومعرفة ما حققه العلماء فى عدالتهم أو تجريحهم ـ يقعون فى أخطاء كان فى إمكانهم أن لا يقعوا فيها لو أنهم استكملوا وسائل العلم بهذه النواحى

٦ ـ وأخرج من الشام أبا الدَّرداء

٧ ـ وردَّ الحكم بعد أن نفاه رسول الله ﷺ

٨ ـ وأبطل سنّة القصر فى الصلوات فى السفر

٩-١٢ ـ وولى معاوية ، [وعبد الله بن عامر بن كريز (١)] ، ومروان وولى الوليد بن عقبة وهو فاسق ليس من أهل الولاية

١٣ ـ واعطى مروان خُمس إفريقية

١٤ ـ وكان عمر يضرب بالدّرة وضرب هو بالعصا (٢)

١٥ ـ وعلا على درجة رسول الله ﷺ وقد انحطّ عنها أبو بكر وعمر

١٦ ـ ولم يحضر بدراً ، وانهزم يوم أحد ، وغاب عن بيعة الرضوان

١٧ ـ ولم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان (الذى أعطى السكين إلى أبى لؤلؤة ، وحرضه على عمر حتى قتله)

١٨ ـ وكتب مع عبده على جمله كتابا الى ابن أبى سرح فى قتل من ذكر فيه

---

(١) سقط اسم ابن كريز من الأصل سهواً من الناسخ أو من الطابع فى مطبوعة الجزائر ، مع أنه ذكر فى الدفاع الآتى بعد . ومطبوعة الجزائر طبعت على أصل سقيم بخط ناسخ غير متمكن . وقد وقع تقديم وتأخير فى ترتيب التهم وأجوبتها ، ويلوح لنا أن مجلد الأصل المخطوط الذى طبعت عليه مطبوعة الجزائر وضع بعض الورق فى غير مواضعه عند التجليد ، فأعدنا ترتيب التهم وأجوبتها على نسق ، ولم نزد على الأصل كلمة ولم ننقص منه كلمة . وبذلك تلافينا الاضطراب الذى كان بادياً للقارىء فى المطبوعة الجزائرية

(٢) الدرة عصا صغيرة يحملها السلطان يزع بها

عاصمة

هذا كله باطل سنداً ومتنا . أما قولهم « جاء عثمان بمظالم ومنا كير » فباطل (١)

١ - ٢ وأما ضربه لابن مسعود ومنعه عطاءه فزور (٢) ، وضربه

(١) كما ترى من الأدلة التي سيوردها المؤلف في نقض هذه التهم واحدة بعد واحدة حتى يأتي على آخرها

(٢) تقدم في هامش ص ٥٤ قول عبد الله بن مسعود لما بويع عثمان : « بايعنا خيرنا ولم نألُ » ، ويروى « ولينا أعلانا ذا فوق ولم نال » . وعند ولاية عثمان كان ابن مسعود واليا لعمر على أموال الكوفة ، وسعد بن أبي وقاص والياً على صلاتها وحربها ، فاختلف سعد وابن مسعود على قرض استقرضه سعد - كما سيأتي - فعزل عثمان سعداً وأبقى ابن مسعود . والى هنا لا يوجد بين ابن مسعود وخليفته إلا الصفو . فلما عزم عثمان على تعميم مصحف واحد في العالم الاسلامي يُجمع أصحاب رسول الله ﷺ على أنه هو المصحف الكامل الموافق لآخر عرضة عرض بها كتاب الله عز وجل على رسوله ﷺ قبل وفاته ، كان ابن مسعود يود لو أن كتابة المصحف نيطت به ، وكان يود أيضا لو يبقى مصحفه الذي كان يكتبه لنفسه فيما مضى . فجاء عمل عثمان على خلاف ما كان يوده ابن مسعود في الحالتين : أما في اختيار عثمان زيد بن ثابت لكتابة المصحف الموحد فلأن أبا بكر وعمر اختاراه قبل ذلك لهذا العمل في خلافة أبي بكر ، بل ان أبا بكر وعمر اختارا زيد بن ثابت في البداية لأنه هو الذي حفظ العرضة الأخيرة لكتاب الله على الرسول صلوات الله عليه قبيل وفاته ، فكان عثمان على حق في هذا ، وهو يعلم كما يعلم سائر الصحابة مكانة ابن مسعود وعلمه وصدق إيمانه . ثم ان عثمان كان ═

لعمار إفك مثله ، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبداً (١)

= على حق أيضاً فى غسل المصاحف الأخرى كلها ومنها مصحف ابن مسعود ، لأن توحيد كتابة المصحف على أكمل ما كان فى استطاعة البشر هو من أعظم أعمال عثمان باجماع الصحابة ، وكان جمهور الصحابة فى كل ذلك مع عثمان على ابن مسعود (انظر منهاج السنة لشيخ الاسلام ابن تيمية ٣ : ١٩١ - ١٩٢) . وعلى كل حال فان عثمان لم يضرب ابن مسعود ولم يمنعه عطاءه ، وبقى يعرف له قدره كما بقى ابن مسعود على طاعته لإمامه الذى بايع له وهو يعتقد أنه خير المسلمين وقت البيعة

(١) روى الطبرى (٥ : ٩٩) عن سعيد بن المسيب أنه كان بين عمار وعباس بن عتبة بن أبى لهب خلاف حمل عثمان على أن يؤدبهما عليه بالضرب . قلت وهذا مما يفعله ولى الأمر فى مثل هذه الأحوال قبل عثمان وبعده ، وكم فعل عمر مثل ذلك بأمثال عمار ومن هم خير من عمار بما له من حق الولاية على المسلمين . ولما نظم السبأيون حركة الاشاعات ، وصاروا يرسلون الكتب من كل مصر إلى الأمصار الأخرى بالأخبار الكاذبة فأشار الصحابة على عثمان بأن يبعث رجالا ممن يثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليه بحقيقة الحال ، تناسى عثمان ما كان من عمار وأرسله إلى مصر ليكون موضع ثقته فى كشف حالها ، فأبطأ عمار فى مصر ، والتف به السبأيون ليستميلوه إليهم ، فتدارك عثمان وعامله على مصر هذا الأمر وجىء بعمار إلى المدينة مكرماً . وعاتبه عثمان لما قدم عليه فقال له على ما رواه الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق (٧ : ٤٢٩) : « يا أبا اليقظان قذفتَ ابن أبى لهب أن قذفك .. وغضبتَ على أن أخذتُ لك بحقك وله بحقه . اللهم قد وهبت ما بينى وبين أمتى من مظلمة ، اللهم إنى متقرب إليك بإقامة حدودك فى كل أحد ولا أبالى . أخرج عنى يا عمار » فخرج ، فكان إذا لقى العوام نضح عن نفسه وانتفى من ذلك ، وإذا لقى من يأمنه أقر بذلك وأظهر الندم . فلامه الناس وهجروه وكرهوه . قال شيخ الاسلام ابن تيمية =

وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغي أن تشتغل بها لأنها مبنية

= في منهاج السنة (٣ : ١٩٢-١٩٣) : وعثمان أفضل من كل من تكلم فيه ، هو أفضل من ابن مسعود ، وعمار ، وأبي ذر ، ومن غيرهم من وجوه كثيرة كما ثبت ذلك بالدلائل ، فليس جعلُ كلام المفضول قادحا في الفاضل بأولى من العكس . وكذلك ما نقل من تكلم عمار في عثمان ، وقول الحسن فيه (أي في عمار) . نقل أن عماراً قال : لقد كفر عثمان كفرة صلعاء . فأنكر الحسن ابن علي ذلك عليه ، وكذلك عليٌّ وقال له : يا عمار ، أتكفر برب آمن به عثمان ؟ قال ابن تيمية : وقد تبين من ذلك أن الرجل المؤمن الذي هو ولي لله قد يعتقد كفر الرجل المؤمن الذي هو ولي لله ، ويكون مخطئاً في هذا الاعتقاد ولا يقدح هذا في إيمان واحد منهما وولايته . كما ثبت في الصحيح أن أسيد ابن حضير قال لسعد بن عبادة بحضرة النبي ﷺ : انك منافق تجادل عن المنافقين . وكما قال عمر بن الخطاب لحاطب بن أبي بلتعة : دعني يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق . فقال ﷺ : « انه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فعمر أفضل من عمار ، وعثمان أفضل من حاطب بن أبي بلتعة بدرجات كثيرة ، وحجة عمر فيما قال لحاطب أظهر من حجة عمار ، ومع هذا فكلاهما من أهل الجنة ، فكيف لا يكون عثمان وعمار من أهل الجنة وإن قال أحدهما للآخر ما قال . مع أن طائفة من العلماء أنكروا أن يكون عمار قال ذلك ... ثم قال شيخ الاسلام : وفي الجملة ، فاذا قيل ان عثمان ضرب ابن مسعود أو عماراً فهذا لا يقدح في أحد منهم . فانا نشهد أن الثلاثة في الجنة ، وأنهم من أكابر أولياء الله المتقين . وان ولي الله قد يصدر عنه ما يستحق عليه العقوبة الشرعية ، فكيف بالتعزير . وقد ضرب عمر بن الخطاب أُبيَّ بن كعب بالدرة لما رأى الناس يمشون خلفه وقال : « هذا ذلة للتابع وفتنة للمتبوع » . فان كان عثمان أدب هؤلاء ، فاما أن يكون عثمان مصيباً في تعزيرهم لاستحقاقهم ذلك ، ويكون ذلك الذي عزروا عليه تابوا منه وكفر عنهم بالتعزير وغيره من المصائب —

على باطل (١) ، ولا يبنى حق على باطل . ولا تذهب الزمان فى مماشاة الجهال ، فان ذلك لا آخر له

٣ — وأما جمع القرآن ، فتلك حسنته العظمى ، وخصلته الكبرى ، وإن كان وجدها كاملة . لكنه أظهرها وردّ الناس إليها ، وحسم مادة الخلاف فيها . وكان نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه حسبما بيناه فى كتب القرآن وغيرها (٢)

روى الأئمة بأجمعهم (٣) أن زيد بن ثابت قال : أرسل إلىّ أبو بكر

= أو بحسناتهم العظيمة أو بغير ذلك . وإما أن يقال كانوا مظلومين مطلقاً . فالقول فى عثمان كالقول فيهم وزيادة ، فانه أفضل منهم ، وأحق بالمغفرة والرحمة ... الخ

(١) أى على ادعاء الكاذبين أعداء أصحاب رسول الله ﷺ أن أمير المؤمنين عثمان ضرب عماراً حتى فتق أمعاءه ، وضرب ابن مسعود حتى كسر أضلاعه ومنعه عطاءه

(٢) أى فى مؤلفات ابن العربى المتعلقة بعلوم القرآن ، وقد ذكرنا فى ترجمته (ص ٢٧-٢٨) أن منها (أنوار الفجر) فى ثمانين أو تسعين مجلداً ، و (قانون التأويل) من مؤلفاته الكبرى ، و (أحكام القرآن) المطبوع فى مصر ، و (كتاب المشكلين) و (الناسخ والمنسوخ)

(٣) وفى مقدمتهم الامام أحمد فى مسنده (١ : ١٣ الطبعة الأولى - رقم ٧٦ الطبعة الثانية . و ٥ : ١٨٨ - ١٨٩ الطبعة الأولى) . والامام البخارى فى صحيحه (كتاب التفسير ك ٦٥ السورة ٩ ب ٢٠ ج ٥ ص ٢١٠ - ٢١١ . وكتاب فضائل القرآن ك ٦٦ ب ٣ و ٤ ج ٦ ص ٩٨-٩٩ . وكتاب الأحكام ك ٩٣ ب ٣٧ ج ٨ ص ١١٨ - ١١٩ . وكتاب التوحيد ك ٩٧ ب ٢٢ ج ٨ ص ١٧٦ - ١٧٧)

مقتل أهـل اليمامة (١) ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : « إن عمر أتانا فقال : إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن ، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تجمع القرآن . قلتُ لعمر : كيف نفعل شـيئاً لم يفعله

(١) وذلك لما ارتدت بنو حنيفة برئاسة مسيلمة الكذاب وبتحريض عدو الله الرّجال بن عنفوة بن نهشل الحنفى . وكانت قيادة المسلمين لسيف الله خالد ابن الوليد ، واستشهد فى هذه الملحمة زيد بن الخطاب أخو عمر . وكان حفظة القرآن من الصحابة يتواصون بينهم ويقولون : يا أصحاب سورة البقرة بطل السحر اليوم . وتحنط خطيب الأنصار وحامل لوائهم ثابت بن قيس ولبس كفنه وحفر لقدميه فى الأرض إلى أنصاف ساقيه ولم يزل يقاتل وهو ثابت بالراية فى موضعه حتى استشهد . وقال المهاجرون لسالم مولى أبى حذيفـة : أتخشى أن نؤتىَ من قبلك ؟ فأجاب: بئس حامل القرآن أنا إذن ! وقاتل حتى استشهد . وقال أبو حذيفـة : زينوا القرآن بالفعال ، وما زال يقـاتل حتى أصيب . وممن استشهد يومئذ حزن بن أبى وهب المخزومى جد سعيد بن المسيب وكان شعار الصحابة يومئذ : وامحمداه ! وصبروا يومئذ صبراً لم يعهد مثله حتى ألجأوا المرتدين إلى حديقة الموت فاعتصم فيها مسيلمة ورجاله . فقال البراء ابن مالك : يامعشر المسلمين ألقونى عليهم فى داخل الحديقة أفتح لكم بابها . فاحتملوه فوق الجحف ورفعوه بالرماح وألقوه فى الحديقة من فوق سورها . فما زال يقاتل المرتدين دون بابهـا حتى فتحه ودخل المسلمون وكان النصر . وممن اقتحم الحديقة أبو دجانة من مجاهدى بدر حتى وصل إلى مسيلمة وعلاه بالسيف فقتله ، وكسرت رجله رضى الله عنه فى تلك الوقعة ثم نال الشهادة . وفى البداية والنهاية (٦ : ٣٢٤ - ٣٤٠) أسماء كثيرين من شهداء هـذا اليوم العظيم فى الاسلام ، ومنهم حفظة كتاب الله

رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر » . قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شابّ عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ . فتتبع القرآن فاجمعه » . فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علىّ مما أمرونى به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : « هذا والله خير » . فلم يزل يراجعنى حتى شرح اللهُ صدرى للذى شرح له صدرَ أبى بكر وعمر . فتتبعتُ القرآنَ أجمعه من العُسُب واللخاف وصدور الرجال (١) ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحدغيره ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ حتى خاتمة براءة

فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر . حتى قدم حذيفة بن اليمان على عثمان (٢) ، وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فحدثه حذيفة عن اختلافهم فى القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ، ثم نردها إليك . فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر

---

(١) العسب (جمع عسيب) أى جريدة النخل ، وهى السعفة التى لا ينبت عليها الخوص واللخاف (جمع لخفة) وهى حجارة بيض رقاق كانوا يكتبون عليهما إذا تعذر الورق

(٢) وحديثه عن ذلك فى صحيح البخارى (ك ٦٦ ب ٣ - ج ٦ ص ٩٩) عن ابن شهاب الزهرى عن أنس بن مالك

زيدَ بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف (١)

(١) العناية التى بذلها عظيما الاسلام أبو بكر وعمر ، وأتمها أخوهما وصنوهما ذو النورين عثمان فى جمع القرآن وتثبيته وتوحيد رسمه ، كان لهم بها أعظم المنة على المسلمين ، وبها حقق الله وعده فى قوله سبحانه ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون ﴾ . وقد تولى الخلافة بعد هؤلاء الشيوخ الثلاثة أميرُ المؤمنين علىّ فأمضى عملهم وأقر مصحف عثمان برسمه وتلاوته ، فى جميع أمصار ولايته . وبذلك انعقد إجماع المسلمين فى الصدر الأول على أن ما قام به أبو بكر وعمر وعثمان هو أعظم حسناتهم . بل نقل بعض علماء الشيعة هذا الاجماع على لسان أمير المؤمنين على بن أبى طالب . جاء فى كتاب تاريخ القرآن لأبى عبد الله الزنجانى (ص ٤٦) أن على بن موسى المعروف بابن طاوس (٥٨٩ - ٦٦٤) وهو من علمائهم نقل فى كتابه (سعد السعود) عن الشهرستانى فى مقدمة تفسيره عن سويد بن علقمة قال : سمعت على بن أبى طالب عليه السلام يقول : « أيها الناس ، الله ، الله ، إياكم والغلو فى أمر عثمان وقولكم حراق المصاحف ، فوالله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ ، جمعنا وقال : ما تقولون فى هذه القراءة التى اختلف الناس فيها ، يلقى الرجل الرجل فيقول قراءتى خير من قراءتك ، وهذا يجر إلى الكفر؟ فقلنا : ما الرأى ؟ قال : أريد أن أجمع الناس على مصحف واحد ، فانكم إن اختلفتم اليوم كان مَن بعدكم أشد اختلافا . فقلنا : نعمَ ما رأيت » . ومما لا ريب فيه أن البغاة أنفسهم كانوا فى خلافة على رضى الله عنه يقرأون فى مصاحف عثمان التى أجمع عليها الصحابة وعلىّ فيهم . لكن نجم لهم أذناب فى العصور التالية فضحوا أنفسهم بسخفهم وكفرهم ، كشيطان الطاق محمد بن جعفر الرافضى فيما رواه الإمام ابن حزم فى (الفِصَل) ٤ : ١٨١ عن الجاحظ قال : أخبرنى أبو اسحاق ابراهيم النظام وبشر بن خالد =

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : « إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم » ففعلوا

حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة ومصحف أن يحرق

= أنهما قالا لمحمد بن جعفر الرافضي المعروف بشيطان الطاق : ويحك ، أما استحييت من الله أن تقول فى كتابك فى الامامة : ان الله تعالى لم يقل قط فى القرآن ﴿ ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ ؟ قالا : فضحك والله شيطان الطاق ضحكا طويلا حتى كأنا نحن الذين أذنبنا . وشيطان الطاق هذا أكبر دعاة الشيعة فى زمن الامامين زيد وابن أخيه جعفر الصادق ، وهو الذى ابتدع أكذوبة أن الامامة معهود بها إلى أشخاص بأعيانهم ، ولم يكن أحد يقول بذلك قبل شيطان الطاق هذا . وأنكرها عليه الإمام زيد فى مجلس جعفر

ودعوى الرافضة بتبديل القرآن ، مع تصريح علىّ باجماع الصحابة على ماقام به عثمان، صارت مادة دسمة لدعاة النصارى يحتجون بها ،فقال لهم الامام ابن حزم فى الفصل (٢ : ٧٨) : « ان الروافض ليسوا من المسلمين . . . وهى طائفة تجرى مجرى اليهود والنصارى فى الكذب والكفر » . قلت : وآخر من افتضح منهم بهذا الأمر وفضح به الشيعة جميعا حسين بن محمد تقى النورى الطبرسى بكتابه الذى اقترفه فى المشهد المنسوب لأمير المؤمنين على فى النجف سنة ١٢٩٢ وطبع فى ايران سنة ١٢٩٨ وعندى نسخة منه . وإن من طبيعة التحزب والتعصب والتشيع أن يذهب بعقول أصحابه وأخلاقهم ، ثم يذهب بحيائهم ودينهم ، كما برهن على ذلك علماء علم النفس الاجتماعى وفى مقدمتهم الدكتور غوستاف لبون

قال ابن شهاب (١) : وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت أنه سمع زيد ابن ثابت قال : «فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة الانصارى ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ فألحقناها فى سورتها فى المصحف»

وأما ما روى أنه حرقها أو خرقها ـ بالحاء المهملة أو الخاء المعجمة ، وكلاهما جائز ـ إذا كان فى بقائها فساد ، أو كان فيها ماليس من القرآن ، أو ما نسخ منه ، أو على غير نظمه ، فقد سلم فى ذلك الصحابة كلهم . إلا أنه روى عن ابن مسعود أنه خطب بالكوفة فقال : «أما بعد فان الله قال ﴿ ومن يغلل يأتِ بما غلّ يوم القيامة ﴾ وإنى غالٌّ مصحفى ، فمن استطاع منكم أن يغل مصحفه فليفعل» . وأراد ابن مسعود أن يؤخذ بمصحفه ، وأن يثبت ما يعلم فيه . فلما لم يُفعل ذلك له قال ما قال ، فأكرهه عثمان على رفع مصحفه ، ومحا رسومه فلم تثبت له قراءة أبداً ، ونصر الله عثمان والحق بمحوها من الأرض(٢)

---

(١) فيما رواه عنه الامام البخارى فى صحيحه (ك ٥٦ ب ١٢ ج ٣ ص ٢٠٥ - ٢٠٦ ، و ك ٦٤ ب ١٧ ج ٥ ص ٣١ ، و ك ٦٥ السورة ٩ ب ٢٠ والسورة ٣٣ ب ٣ ، و ك ٦٦ ب ٣ و ٤ ، و ك ٩٣ ب ٢٧ ، و ك ٩٧ ب ٢٢)

(٢) عبد الله بن مسعود من كبار علماء الصحابة ومن أجودهم قراءة لكتاب الله . وقد أثنى رسول الله ﷺ مرة على حسن تلاوة ابن مسعود للقرآن ، فتسارع أبو بكر وعمر ليوصلا إليه البشرى بهذا الثناء النبوى . (انظر مسند أحمد ١ : ٢٥-٢٦ الطبعة الأولى ـ رقم ١٧٥ الطبعة الثانية) . إلا أن ابن مسعود كان يكتب ما يوحى من القرآن فى مصحفه كلما بلغه نزول آيات =

٤ — وأما الحمى ، فكان قديماً (١) ، فيقال إن عثمان زاد فيه لما

== منه ، فهو يختلف فى ترتيب هذه الآيات عما امتازت به مصاحف عثمان من الترتيب بحسب العرض الأخير على رسول الله ﷺ بقدر ما أدى إليه اجتهاد الصحابة المؤيد باجماعهم. ويحتمل أن يكون ابن مسعود فاته فى مصحفه بعض ما استقصاه زيد بن ثابت وزملاؤه من الآيات التى كانت عند آخرين من قراء الصحابة . زد على ذلك أن ابن مسعود كانت تغلب عليه لهجة قومه من هذيل ، والنبى ﷺ رخص لمثل ابن مسعود أن يقرأوا بلهجتهم ، ولكن ليس لابن مسعود أن يحمل الأمة فى زمنه والأزمان بعده على لهجته الخاصة ، فكان من الخير توحيد الأمة على قراءة كتاب ربها باللهجة المضرية التى كان عليها رسول الله ﷺ

(١) كان الشريف فى الجاهلية إذا نزل أرضاً فى حيه استعوى كلباً ، فحمى لخيله وإبله وسوائمه مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره . فلما جاء الاسلام نهى النبى ﷺ عن ذلك ، واختص الحمى بإبل الزكاة المرصدة للجهاد والمصالح العامة ، فقال ﷺ « لا حمى إلا لله ورسوله » رواه البخارى من حديث الصعب بن جثامة فى كتاب المساقاة (ك ٤٢ ب ١١) وكتاب الجهاد (ك ٥٦ ب ١٤٦) من صحيحه . ورواه الامام أحمد فى مسنده (٤ : ٧١ و ٧٣ الطبعة الأولى) من حديث الصعب بن جثامة أيضا. وقد حمى رسول الله ﷺ مكاناً يسمى (النقيع) وهو « نقيع الخضمات » كما فى مسند الامام أحمد (٢ : ٩١ و ١٥٥ و ١٥٧ الطبعة الأولى - رقم ٥٦٥٥ و ٦٤٣٨ و ٦٤٦٤ الطبعة الثانية) من حديث أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر أن النبى ﷺ حمى النقيع للخيل . قال حماد بن خالد راوى هذا الحديث عن عبد الله بن عمر العمرى : يا أبا عبد الرحمن خيله ؟ قال : خيل المسلمين (أى المرصودة للجهاد ، أو ما يملكه بيت المال) . والنقيع هذا فى المدينة على عشرين فرسخاً منها ومساحته ميل فى ثمانية أميال كما فى موطأ مالك برواية ==

زادت الراعية . وإذا جاز أصله للحاجة إليه جازت الزيادة لزيادة الحاجة

٥ — وأما نفيه أبا ذر إلى الربذة فلم يفعل[1] ، كان أبو ذر زاهدا ، وكان يقرّع عمال عثمان ، ويتلو عليهم ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة

= ابن وهب . ومعلوم أن الحال استمر فى خلافة أبى بكر على ما كان عليه فى زمن النبى ﷺ ، لأن أبا بكر لم يخرج عن شىء كان عليه الحال فى زمن النبى ﷺ ، لاسيما وأن حاجة الجهاد الى الخيل والإبل زادت عن قبل . وفى زمن عمر اتسع الحمى فشمل (سرف) و (الربذة) ، وكان لعمر عامل على الحمى هو مولى له يدعى هنياً ، وفى كتاب الجهاد من صحيح البخارى (ك ٥٦ ب ١٨٠) من حديث زيد بن أسلم عن أبيه نص وصية أمير المؤمنين عمر لعامله هذا على الحمى بأن يمنع نعم الأثرياء كعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان ، وأن يتسامح مع رب الغنيمة ورب الصريمة لئلا تهلك ماشيتهما . وكما اتسع عمر فى الحمى عما كان عليه فى زمن النبى ﷺ وأبى بكر لزيادة سوائم بيت المال فى زمنــه ، اتسع عثمان بعد ذلك لاتساع الدولة وازدياد الفتوح . فالذى أجازه النبى ﷺ لسوائم بيت المال ، ومضى على مثله أبو بكر وعمر ، يجوز مثله لبيت المال فى زمن عثمان ، ويكون الاعتراض عليه اعتراضاً على أمر داخل فى التشريع الاسلامى . ولما أجاب عثمان على مسألة الحمى عند ما دافع عن نفسه على ملأ من الصحابة أعلن أن الذين يلون له الحمى اقتصروا فيه على صدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع ، وأنهم ما منعوا ولا نحوا منها أحداً . وذكر عن نفسه أنه قبل أن يلى الخلافة كان أكثر العرب بعيراً وشاء ، ثم أمسى وليس له غير بعيرين لحجه . وسأل من يعرف ذلك من الصحابة : أكذلك ؟ قالوا : اللهم نعم

(١) وإنما اختار أبو ذر أن يعتزل فى الربذة ، فوافقه عثمان على ذلك كما سيأتى فى ص ٧٦ ، وأكرمه وجهزه بما فيه راحته

ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ (التوبة : ٣٤) ، ويراهم يتسعون فى المراكب والملابس حين وَجدوا ، فينكر ذلك عليهم ، ويريد تفريق جميع ذلك من بين أيديهم ، وهو غير لازم . قال ابن عمر وغيره من الصحابة : إن ما أديت زكاته فليس بكنز (١) . فوقع بين أبي ذر ومعاوية كلام بالشام (٢) ، فخرج الى المدينة ، فاجتمع إليه الناس ، فجعل يسلك تلك الطرق ، فقال له عثمان : « لو اعتزلت » . معناه : إنك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس ، فان للخلطة شروطاً وللعزلة مثلها . ومن كان على طريقة أبي ذر فحاله يقتضى أن ينفرد بنفسه ، أو يخالط ويسلم لكل أحد حاله مما ليس بحرام فى الشريعة . فخرج إلى الربذة زاهداً فاضلا ، وترك جلة فضلاء ، وكلٌّ على خير وبركة وفضل ، وحال

---

(١) انظر البيان الفقهى والتفصيل الشرعى لهذه المسألة فى منهاج السنة لشيخ الاسلام ابن تيمية (٣ : ١٩٨ - ١٩٩)

(٢) نقل الطبرى (٥ : ٦٦) وأكثر المصادر الاسلامية أنه لما ورد ابن السوداء (عبد الله بن سبأ) الشام لقى أبا ذر فقال : ياأبا ذر ألا تعجب إلى معاوية يقول « المال مال الله ، ألا ان كل شيء لله » كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ، ويمحو اسم المسلمين . فأتاه أبو ذر فقال : ما يدعوك الى أن تسمى مال المسلمين « مال الله » ؟ قال معاوية : يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه والأمر أمره ؟ قال أبو ذر : فلا تقله . قال معاوية : فانى لا أقول إنه ليس لله ، ولكن سأقول « مال المسلمين » . وأتى ابنُ السوداء (عبد الله بن سبأ) أبا الدرداء ، فقال له (أبو الدرداء) : من أنت أظنك والله يهوديا . فأتى (ابن سبأ) عبد الله بن الصامت ، فتعلق به (ابن الصامت) فأتى به معاوية فقال : هذا والله الذى بعث عليك أبا ذر

أبي ذر أفضل ، ولا تمكن لجميع الخلق ، فلو كانوا عليها لهلكوا (١) فسبحان مرتب المنازل

ومن العجب أن يؤخذ عليه فى أمر فعله عمر ، فقد روى أن عمر

---

(١) الذى تحصل عندى من تتبع نصوص الشريعة فى أمر المال ، ومراقبتى لتطبيق هذه النصوص فى سيرة السلف وعملهم بها ، أن المسلم له فى نفسه وذويه من المال الذى يملكه ما يكفيه ويكفيهم بالمعروف كأمثاله وأمثالهم من أهل العفة والقناعة والدين ، وما زاد عن ذلك فعليه أولا أن يؤدى زكاته الشرعية مباشرة بحسب اجتهاده إن لم يكن أداها للحكومة الاسلامية العاملة بأحكام الشرع . وبعد أداء زكاته يكون صاحب المال فى امتحان من الله كيف يحسن التصرف فيه بما يرضى الله ويزيد المسلمين قوة وسعادة وعزاً ، فان كان تاجراً فمن طريق التجارة ، أو مزارعا فمن طريق الزراعة . او صاحب مصنع فمن طريق الصناعة . والاسلام فى دور قيامه استفاد من ثروة اغنياء الصحابة عوناً ويسراً وقوة . وتجارة التاجر المسلم إذا أغنت المسلمين عن متاجر أعدائهم تعتبر قوة لهم بقدر ما يصدق صاحبها فى هذه النية ، وكذلك مصنع الصانع المسلم ، وزراعة الزارع المسلم . والنية فى هذه الأمور أمرها عظيم ، وميزانها العمل عند ما تمس الحاجة إليه . وبالجملة فان للمسلم أن يكون غنياً بلا تحديد ، بشرط أن يكون ذلك من حله ، وأن يكتفى منه بما يكفيه بالمعروف ، محاولا دائماً أن يحرر نفسه من العبودية والانقياد للكماليات فضلا عن توافه الحضارة وسفاسفها . وبعد أن يؤدى زكاة ما يملك يعتبر ما زاد عن حاجته كالأمانة لله تحت يده ، فيتصرف فيه بما يزيد المسلمين ثروة وقوة ويسراً وعزاً وسعادة . أما طريقة أبى ذر فى أن لا يبيت المسلم وعنده مال فليست الآن من مصلحة المسلمين . وطريقة أغنياء المسلمين الآن — فى أن يعيشوا لأنفسهم ومتعهم غير مبالين بعزة الاسلام وقوة دولته وحاجة أهله — فليست من الاسلام ، والاسلام لا يعرف الذين لا يعرفونه

ابن الخطاب رضى الله عنه سجن ابن مسعود فى نفر من الصحابة سنة بالمدينة حتى استشهد ، فأطلقهم عثمان ، وكان سجنهم لأن القوم أكثروا الحديث عن رسول الله ﷺ (١)

ووقع بين أبى ذر ومعاوية كلام ، وكان أبو ذر يطلق من الكلام ما لم يكن يقوله فى زمان عمر ، فأعلم معاويةُ بذلك عثمان ، وخشى من العامة أن تثور منهم فتنة ، فان أبا ذر كان يحملهم على التزهد وأمور لا يحتملها الناس كلهم ، وإنما هى مخصوصة ببعضهم ، فكتب إليه عثمان ـ كما قدمنا ـ أن يقدم المدينة ، فلما قدم اجتمع إليه الناس ، فقال لعثمان: أريد الربذة . فقال له : افعل . فاعتزل . ولم يكن يصلح له إلا ذلك لطريقته(٢)

---

(١) فى كتاب الإحكام فى أصول الأحكام لابن حزم (٢ : ١٣٩) خبر مرسل رواه شعبة عن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه (ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف) قال : قال عمر لابن مسعود ولأبى الدرداء ولأبى ذر « ما هذا الحديث عن رسول الله ﷺ » . قال : وأحسبه لم يدعهم أن يخرجوا من المدينة حتى مات . وقد نبه ابن حزم على أن هذا الخبر مرسل ولا يجوز الاحتجاج به ، وعلق عليه الشيخ أحمد شاكر بأن البيهقى وافق ابن حزم على أن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف (المتوفى سنة ٦٦ أو ٦٥ عن ٧٥ سنة) لم يسمع من عمر . ولست أدرى هل اعتمد ابن العربى فى هذه الفقرة على هذا الخبر المرسل أم على خبر آخر لم نطلع عليه

(٢) ذكر القاضى أبو ولى الدين بن خلدون فى العبر (بقية ٢ : ١٣٩) أن أبا ذر استأذن عثمان فى الخروج من المدينة وقال : «إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعاً » فأذن له ، ونزل الربذة وبنى بها مسجداً ، وأقطعه عثمان صرمة من الإبل ، وأعطاه مملوكين ، وأجرى عليه رزقاً . وكان يتعاهد المدينة . وبين المدينة والربذة ثلاثة أميال ، قال ياقوت : وكانت من أحسن منزل فى طريق مكة

٦ — ووقع بين أبي الدرداء ومعاوية كلام. وكان أبو الدرداء زاهداً فاضلا قاضياً لهم (١) فلما اشتد فى الحق، وأخرج طريقة عمر فى قوم لم يحتملوها عزلوه (٢)، فخرج إلى المدينة

وهذه كلها مصالح لا تقدح فى الدين، ولا تؤثر فى منزلة أحد من المسلمين بحال. وأبو الدرداء وأبو ذر بريئان من عاب، وعثمان برىء أعظم براءة وأكثر نزاهة، فمن روى انه نفى وروى سبباً فهو كله باطل

٧ — وأما رد الحكم فلم يصح (٣)

وقال علماؤنا فى جوابه: قد كان أذن له فيه رسول الله ﷺ. وقال [اى عثمان] لأبي بكر وعمر، فقالا له: إن كان معك شهيد رددناه. فلما ولى قضى بعلمه فى رده. وما كان عثمان ليصل مهجور رسول الله ﷺ ولو كان أباه ولا لينقض حكمه (٤)

---

(١) أى فى دمشق

(٢) بل ان معاوية نفسه حاول السير على طريقة عمر، كما نقل ذلك الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٨ : ١٣١) عن محمد بن سعد قال: حدثنا عارم، حدثنا حماد بن يزيد، عن معمر، عن الزهرى «ان معاوية عمل سنتين عمل عمر ما يخرم فيه. ثم انه بعُد عن ذلك». وقد يظن من لا نظر له فى حياة الشعوب وسياستها أن الحاكم يستطيع أن يكون كما يريد أن يكون حينما يكون. وهذا خطأ، فللبيئة من التأثير فى الحاكم وفى نظام الحكم أكثر مما للحاكم ونظام الحكم من التأثير على البيئة، وهذا من معانى قول الله عز وجل: ﴿ لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾

(٣) أى لم يصح زعم البغاة على عثمان أن عثمان خالف فى ذلك ما يقتضيه الشرع

(٤) قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣ : ١٩٦): وقد =

٨ — وأما ترك القصر فاجتهاد ، إذ سمع أن الناس افتتنوا بالقصر ،

═ طعن كثير من أهل العلم فى نفيه (أى فى نفى النبى ﷺ الحكم) وقالوا ذهب باختياره . وقصة نفى الحكم ليست فى الصحاح ، ولا لها إسناد يعرف به أمرها » ثم قال « لم تكن الطلقاء تسكن بالمدينة ، فان كان طرده فانما طرده من مكة لا من المدينة ، ولو طرده من المدينة لكان يرسله إلى مكة . وقد طعن كثير من أهل العلم فى نفيه كما تقدم وقالوا : هو ذهب باختياره .. وإذا كان النبى ﷺ قد عزر رجلا بالنفى لم يلزم أن يبقى منفياً طول الزمان فان هذا لا يعرف فى شىء من الذنوب ، ولم تأت الشريعة بذنب يبقى صاحبه منفياً دائماً ... وقد كان عثمان شفع فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح فقبل ﷺ شفاعته فيه وبايعه ، فكيف لا يقبل شفاعته فى الحكم ، وقد رووا أن عثمان سأله أن يرده فأذن له فى ذلك . ونحن نعلم أن ذنبه دون ذنب عبدالله ابن سعد بن أبى سرح . وقصة عبد الله ثابتة معروفة بالاسناد ، وأما قصة الحكم فانما ذكرت مرسلة ، وقد ذكرها المؤرخون الذين يكثر الكذب فيما يروونه ، فلم يكن هناك نقل ثابت يوجب القدح فيمن هو دون عثمان . والمعلوم من فضائل عثمان ومحبة النبى ﷺ له وثنائه عليه وتخصيصه بابنتيه وشهادته له بالجنة وإرساله إلى مكة ومبايعته له عنه وتقديم الصحابة له فى الخلافة وشهادة عمر وغيره له بأن رسول الله ﷺ مات وهو عنه راض وأمثال ذلك مما يوجب العلم القطعى بأنه من كبار أولياء الله المتقين الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه . فلا يدفع هذا بنقل لا يثبت إسناده ولا يعرف كيف وقع ويجعل لعثمان ذنب بأمر لا تعرف حقيقته ... الخ» وانظر أيضاً ٣ : ٢٣٥-٢٣٦ من منهاج السنة . ونقل الإمام أبو محمد بن حزم فى كتاب (الامامة والمفاضلة) المدرج فى الجزء الرابع من كتابه «الفِصَل» ص ١٥٤ قول من احتج لعثمان على من أنكروا ذلك عليه : « ونفيُ رسول الله ﷺ لم يكن حداً واجبا ، ولا شريعة على التأبيد ، وإنما كان عقوبة على ذنب ═

وفعلوا ذلك فى منازلهم ، فرأى أن السنة ربما أدت إلى إسقاط الفريضة ، فتركها خوف الذريعة (١) . مع أن جماعة من العلماء قالوا : إن المسافر

= استحق به النفى ، والتوبة مبسوطة ، فاذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من أحد من أهل الاسلام ، وصارت الأرض كلها مباحة » . ونقل مجتهد الزيدية السيد محمد بن ابراهيم الوزير اليمنى (المتوفى سنة ٨٤٠) فى كتابه الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم (١ : ١٤١ - ١٤٢) قول الحاكم المحسن بن كرامة المعتزلى المتشيع فى كتابه سرح العيون ان رسول الله ﷺ أذن فى ذلك لعثمان . قال ابن الوزير : ان المعتزلة والشيعة من الزيدية يلزمهم قبول هذا الحديث وترك الاعتراض على عثمان بذلك ، لأن راوى الحديث عندهم من المشاهير بالثقة والعلم وصحة العقيدة . ثم بسط ابن الوزير الكلام على هذا الموضوع بحجج واستدلالات استغرقت ثلاث صفحات دفاعاً عن أمير المؤمنين عثمان فى رده الحكم ، وهذه الحجج من أحد أئمة الزيدية ومجتهديهم - بعد روايته ذلك الحديث عن الامام المعتزلى المتشيع - لها دلالتها الخاصة ، بعد الذى سمعته من إمامى أهل السنة شيخ الاسلام ابن تيمية والقاضى ابن العربى ، ومن إمام أهل الظاهر أبى محمد بن حزم

(١) كان ذلك فى منى فى موسم الحج سنة ٢٩ . وقد عاتب عبدُ الرحمن ابن عوف عثمانَ فى إتمامه الصلاة وهم فى منى ، فاعتذر له عثمان بأن بعض من حج من أهل اليمن وجفاة الناس قالوا فى العام الماضى : ان الصلاة للمقيم ركعتان ، وهذا إمامكم عثمان يصلى ركعتين . ثم قال عثمان لعبد الرحمن بن عوف : وقد اتخذتُ بمكة أهلا (أى انه صار فى حكم المقيم ، لا المسافر) ، فرأيت أن أصلى أربعا لخوف ما أخاف على الناس . ثم خرج عبد الرحمن ابن عوف من عند عثمان فلقى عبد الله بن مسعود وخاطبه فى ذلك فقال ابن مسعود : «الخلاف شر ، قد بلغنى أنه صلى أربعاً فصليت بأصحابى أربعاً» . =

مخير بين القصر والاتمام ، واختلف فى ذلك الصحابة (١)

٩ — وأما معاوية فعمر ولاه ، وجمع له الشامات كلها ، وأقرّه عثمان .

—— فقال عبد الرحمن بن عوف : « قد بلغنى أنه صلى أربعاً فصليت بأصحابى ركعتين . وأما الآن فسوف يكون الذى تقول » يعنى : نصلى معه أربعاً (الطبرى ٥ : ٥٦ - ٥٧)

(١) نقل محمد بن يحيى الأشعرى المالكى المعروف بابن بكر (٦٧٤ - ٧٤١) فى كتابه (التمهيد والبيان فى مقتل الشهيد عثمان) وهو من مخطوطات دار الكتب المصرية (برقم ٢٣ تاريخ) أنه روى عن جماعة من الصحابة إتمام الصلاة فى السفر ، منهم عائشة وسلمان وأربعة عشر من الصحابة .وفى أبواب التقصير من صحيح البخارى (ك ١٨ ب ٥ - ج ٢ ص ٣٦) حديث الزهرى عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت : « الصلاة أول ما فرضت ركعتان ، فأقرّت صلاة السفر ، وأتمت صلاة الحضر » قال الزهرى فقلت لعروة : ما بال عائشة تتم ؟ قال : تأولت ما تأول عثمان . وفى مسند أحمد (٤ : ٩٤) عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال : لما قدم علينا معاوية حاجاً قدمنا معه مكة ، فصلى بنا الظهر ركعتين ، ثم انصرف إلى دار الندوة . وكان عثمان حين أتم الصلاة إذا قدم مكة صلى بها الظهر والعصر والعشاء الآخرة أربعا أربعا ، فاذا خرج الى منى وعرفات قصر الصلاة ، فاذا فرغ من الحج وأقام بمنى أتم الصلاة حتى يخرج من مكة . فلما صلى بنا (أى معاوية) الظهر ركعتين نهض اليه مروان وعمرو بن عثمان فقالا له : ما عاب أحد ابن عمك بأقبح مما عبته . قال لهما : وماذاك ؟ فقالا له : ألم تعلم أنه أتم الصلاة بمكة (فذكر لهما أنه صلاهما مع النبى ﷺ وأبى بكر وعمر) قالا : فان ابن عمك كان أتمها (والظاهر أن معاوية رأى أن القصر رخصة ، وأن المسافر على التخيير ، فصلى العصر أربعا)

بل إنما ولاه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، لأنه ولى أخاه يزيد ، واستخلفه يزيد ، فأقره عمر لتعلقه بولاية أبى بكر لأجل استخلاف واليه له ، فتعلق عثمان بعمر وأقره . فانظروا إلى هذه السلسلة ما أوثق عراها [1]... ولن يأتى أحد مثلها أبداً بعدها [2]

---

(١) هنا فى الأصل كلمة « وأقدر » وبياض لكلمة أخرى ، ولا يختل المعنى بسقوطهما

(٢) إنما بلغت دولة الاسلام فى خلافة أبى بكر وعمر الذروة فى العزة ، وكانت مضرب الأمثال فى الفلاح الانسانى وسعادة المجتمع ، لأن أبا بكر وعمر كانا يكتشفان بنور الله عز وجل كوامن السجايا فى أهلها وعناصر الرجولة فى الرجال ، فيوليانهم القيادة ، ويبوّئانهم مقاعد السيادة ، ويأتمنانهم على أمة محمد ﷺ وهما يعلمان أنهما مسئولان عن ذلك بين يدى الله عز وجل . وقد رأيت فى هامش ص ٤٧ أن يزيد بن أبى سفيان وأخاه معاوية كانا من رجال دولة أبى بكر الصديق الذين اختارهم لحمل أعباء الأمة فى حربها وسلمها فأحسن بذلك كل الاحسان . ولما ولى يزيد قيادة أحد جيوشه خرج معه أبو بكر يشيعه ماشياً (الطبرى ٤ : ٣٠) . ومعاوية مذكور فى التاريخ بعد أخيه يزيد لأنه أصغر منه سنا ، لا لأنه أقل منه فى استكمال صفات القيادة والسيادة . وقبل أن يكون معاوية من رجال الدولتين البكرية والعمرية كان أحد الذين استعملهم رسول الله ﷺ واستعان بهم ، وكان يدعوه لذلك فى بعض الأحيان - ومعاوية يأكل - ويلح فى دعوته ويرسل إليه المرة بعد المرة يستعجله فى المجىء اليه . فالنبى ﷺ ولى معاوية شيئاً من عمله قبل أن يوليه أبو بكر وعمر ، وولى يزيد بن أبى سفيان أيضاً كما فى فتوح البلدان للبلاذرى (ص ٤٨ طبع مصر سنة ١٣٥٠) . والذين يضطغنون البغضاء والحقد لأصحاب رسول الله ﷺ ولا سيما بنى أمية منهم لم يستطيعوا أن ينكروا =

= أن النبي ﷺ استعمل معاوية فى الكتابة له فقالوا انه كان يكتب له ولكنه لم يكن يكتب الوحى . وهم يقولون هذا بوحى أوحى إليهم من الشيطان ، وليس فى يدهم نص تاريخى أو دليل شرعى يرجعون إليه ، فميزوا بين أمور لا حجة لهم فى التمييز بينها والنبى ﷺ لو كان يميز بين كتبته فى أمور دون أمور لتواتر ذلك عنه ولنقله الناقلون كما وقع فيما هو أقل من هذا شأناً . سألنى مرة أحد شباب المسلمين ممن يحسن الظن برأيى فى الرجال : ما تقول فى معاوية ؟ فقلت له : ومن أنا حتى أسأل عن عظيم من عظماء هذه الأمة وصاحب من خيرة أصحاب محمد ﷺ ؟ انه مصباح من مصابيح الاسلام ، لكن هذا المصباح سطع إلى جانب أربع شموس ملأت الدنيا بأنوارها فغلبت أنوارها على نوره . نقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٨ : ١٣٣) عن الليث بن سعد (وهو إمام مصر وعالمها ورئيسها المتوفى سنة ١٧٥) قال حدثنا بكير (وهو ابن عبد الله الأشج المدنى ثم المصرى المتوفى سنة ١٢٧ قال عنه الامام النسائى : ثقة ثبت) عن بسر بن سعيد المدنى (المتوفى سنة ١٠٠ قال عنه ابن معين : ثقة . وقال عنه الليث بن سعد : كان من العباد المنقطعين أهل الزهد فى الدنيا والورع) أن سعد بن أبى وقاص (أحد العشرة المبشرين بالجنة) قال : « مارأيت أحداً بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب » يعنى معاوية . وروى ابن كثير أيضاً (٨ : ١٣٥) عن عبد الرزاق بن همام الصنعانى أحد الأئمة الأعلام الحفاظ (وكان ينسب إلى التشيع) ، عن معمر ابن راشد أبى عروة البصرى ثم اليمنى وكان أحد الأعلام ، عن همام بن منبه الصنعانى وكان ثقة قال : سمعت ابن عباس يقول : « ما رأيت رجلا أخلق بالملك من معاوية » . وهل يكون الرجل أخلق الناس بالملك إلا أن يكون عادلا حكيما حليما ، يحسن الدفاع عن ملكه ، ويستعين الله فى نشر دعوة الله فى الممالك الأخرى ، ويقوم بالأمانة فى الأمة التى ائتمنه الله عليها ؟ والذى يكون أخلق الناس بالملك هل يلام عثمان على توليته ؟ ويا عجباً كيف يلام =

١٠ — وأما عبد الله بن [عامر بن] كريز فولاه - كما قال - لأنه كريم

= عثمان على توليته وقد ولاه من قبله عمر ، وتولى لأبى بكر من قبل عمر ، وتولى بعض عمل رسول الله ﷺ قبل أن تصير الخلافة إلى أبى بكر وعمر وعثمان . إن المخ الذى يعبث به الشيطان فيسوّل له مثل هذه الوساوس لاشك أنه مخ فاسد ، يفسد على الناس عقولهم ومنطقهم قبل أن يفسد عليهم دينهم وتاريخهم ، فمن الواجب على محبى الحق والخير أن يتحاموا كل من يحمل فى رأسه مثل هـذا المخ كما يتحامون المجذوم . روى الإمام الترمذى عن أبى ادريس الخولانى من كبار علماء التابعين وأعلم أهل الشام بعد أبى الدرداء أن عمر بن الخطاب لما عزل عمير بن سعد الانصارى الأوسى عن حمص وولى معاوية ، قال الناس : عزل عميراً وولى معاوية (قال البغوى فى معجم الصحابة : وكان عمير يقال له « نسيج وحده » . قال ابن سيرين : ان عمر كان يسميه بذلك لإعجابه به . وكان عمير من الزهاد) فقال عمير : لا تذكروا معاوية إلا بخير ، فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول « اللهم اهد به » . ويروى أن الذى شهد هذه الشهادة لمعاوية أمير المؤمنين عمر ، فان كان هو الذى شهدها له وروى دعاء رسول الله ﷺ لمعاوية بأن يهدى الله به فذلك أمر عظيم لعظم مكانة عمر . وإن كان الذى شهد بذلك عمير بن سعد الانصارى مع أنه هو المعزول بمعاوية عن ولاية حمص فان ذلك لايقل عظمة عما لو كانت الشهادة لمعاوية من عمر . وقد علمت أن عميرا من أصحاب رسول الله ﷺ وأنه من زهاد الأنصار . قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣ : ١٨٩) : وكانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سير الولاة ، وكان رعيته يحبونه ، وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم . وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » . ولم يتسع المقام هنا لأكثر من هذا ، وسنكمل الصورة الحقيقية لمعاوية عند ذكر خلافته لتعلم إلى أى حد كنا مخدوعين بأكاذيب أعداء الصدر الأول للاسلام

العمات والخالات (١)

---

(١) هو عبشمى الآباء ، هاشمى الخئولة . فان أم أبيه أروى بنت كريز أمها البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم عمة النبى ﷺ . ولما ولد أتى به إلى النبى ﷺ فقال لبنى عبد شمس : « هـــذا أشبه بنا منه بكم » ثم تفل فى فيه فازدرده ، فقال ﷺ : « أرجو أن يكون مسقياً » ، فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر منها الماء . ونشأ سخياً كريماً شجاعاً ميمون النقيبة كثير المناقب : افتتح خراسان كلها ، وأطراف فارس ، وسجستان ، وكرمان حتى بلغ أعمال غزنة، وقضى على يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس .ويعتقد الايرانيون أن سلسلة ملوكهم بدأت بآدمهم الذى يسمونه (جيومرت) فلم يزل ملك أولاده منتظما على سياق إلى أن كان القضاء الأخير عليه بسلطان الاسلام فى خلافة أمير المؤمنين عثمان بجهاد هذا العبشمى الآباء الهاشمى الخئولة عبد الله بن عامر ابن كريز . وهى حرقة فى قلوب أهل النزعة المجوسية على الاسلام ، وعلى عثمان وابن كريز ، فهم يحقدون على هؤلاء ويحاربونهم الى اليوم بسلاح الكذب ، والبغض ، والدسائس ، وسيستمر ذلك إلى يوم القيامة . أما صادقو الاسلام ممن أنجبت إيران أيام كانت شافعية المذهب ، ولما كان ينبغ منها علماء السنة المحمدية قبل ذلك ، وفيهم كبار الأئمة والمحدثون والفقهاء ، فقد نزهوا قلوبهم عن أن يكون فيها غل للذين آمنوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم حتى فتح الله الأقطار على أيديهم ، وهدى الأمم بسببهم ، فهم يحبونهم ويجلونهم على أقدارهم . ونحن لا ندعى العصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ ، ونتوقع الخطأ من كل إنسان صحابياً كان أو من التابعين أو الذين يتبعونهم بإحسان. ولكن الذين ملأوا الدنيا بالحسنات كأنها الجبال ، فان الذى يعمى عنها ، ويدس أنفه فى مرمى القاذورات ليستخرج منها مايذم العظماء به ، وإن لم يجد يختلق ويكذب ، فان من كرامة المسلم على نفسه أن يترفع عن الإصغاء لأمثال =

١١ — وأما تولية الوليد بن عقبة فان الناس ـ على فساد النيات ـ أسرعوا إلى السيئات قبل الحسنات . فذكر الافترائيون أنه إنما ولاه للمعنى الذى تُكلم به . قال عثمان : ما وليت الوليد لأنه أخى [١] ، وإنما وليته لأنه ابن أم حكيم البيضاء عمة رسول الله ﷺ وتوأمة أبيـــه . وسيأتى بيانه إن شاء الله [٢]

= هؤلاء والانخداع لهم . ودع عنك فتوح عبد الله بن عامر بن كريز التى وصلت إلى أقصى المشارق ، وتقويضه آخر أمل للامبراطورية المجوسية ، فان حسناته الانسانية أيضاً جديرة بالتسجيل . قال ابن كثير فى البداية والنهاية (٨ : ٨٨) : انه « أول من اتخـــذ الحياض بعرفة لحجاج بيت الله الحرام وأجرى اليها الماء المعين » . وقال عنه شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣ : ١٨٩-١٩٠) : «ان له من الحسنات والمحبة فى قلوب الناس ما لا ينكر » . ومثل هؤلاء الرجال لو كانوا من سلف الانكليز أو الفرنسيين لخلدوا عظمتهم فى كتب الدراسة والثقافة والتهذيب ، فتهافتت وزارات معارفنا على نقل ذلك إلى كتبنا المدرسية ، ليؤمن جيلنا بعظمة أسلاف المستعمرين . أما عظمـــة أسلافنا نحن فقد سلط الشيطان عليها قلوباً فاسدة تفيض بالسوء ، وصدّق أكاذيبها الأكثرون منا ، فأمسينا كالأمة التى لا مجد لها ، بينما هى نائمة على تراث من المجد لا تحلم الانسانية بمثله

(١) هو أخوه لأمه أروى بنت كريز ، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب ابن هاشم

(٢) قد يظن من لا يعرف صدر هذه الأمة أن أمير المؤمنين عثمان جاء بالوليد بن عقبة من عرض الطريق فولاه الكوفة . أما الذين أنعم الله عليهم بنعمة الأنس بأحوال ذلك العصر وأهله فيعلمون أن دولة الاسلام الأولى فى خلافة أبى بكر تلقفت هذا الشابّ الماضى العزيمة الرضىّ الخلق الصادق =

= الايمان فاستعملت مواهبه فى سبيل الله إلى أن توفى أبو بكر ، وأول عمل له فى خلافة أبى بكر أنه كان موضع السر فى الرسائل الحربية التى دارت بين الخليفة وقائده خالد بن الوليد فى وقعة المذار مع الفرس سنة ١٢ (الطبرى ٤ : ٧) ، ثم وجهه مدداً الى قائده عياض بن غنم الفهرى (الطبرى ٤ : ٢٢) ، وفى سنة ١٣ كان الوليد يلى لأبى بكر صدقات قضاعة ، ثم لما عزم الصديق على فتح الشام كان الوليد عنده بمنزلة عمرو بن العاص فى الحرمة والثقة والكرامة ، فكتب إلى عمرو بن العاص وإلى الوليد بن عقبة يدعوهما لقيادة فيالق الجهاد ، فسار ابن العاص بلواء الاسلام نحو فلسطين وسار الوليد بن عقبة قائداً إلى شرق الاردن (الطبرى ٤ : ٢٩ - ٣٠) . ثم رأينا الوليد فى سنة ١٥ أميراً على بلاد بنى تغلب وعرب الجزيره (الطبرى ٤ : ١٥٥) يحمى ظهور المجاهدين فى شمال الشام لئلا يؤتوا من خلفهم ، فكانت تحت قيادته ربيعة وتنوخ مسلمهم وكافرهم . وانتهز الوليد بن عقبة فرصة ولايته وقيادته على هذه الجهة التى كانت لا تزال مليئة بنصارى القبائل العربية فكان - مع جهاده الحربى وعمله الادارى - داعياً إلى الله يستعمل جميع أساليب الحكمة والموعظة الحسنة لحمل نصارى إياد وتغلب على أن يكونوا مسلمين كسائر العرب . وهربت منه إياد إلى الأنضول وهو تحت حكم البيزنطيين ، فحمل الوليدُ خليفته عمرَ على كتابة كتاب تهديد إلى قيصر القسطنطينية بأن يردهم إلى حدود الدولة الاسلامية . وحاولت تغلب أن تتمرد على الوليد فى نشره الدعوة الاسلامية بين شبانها وأطفالها ، فغضب غضبته المضرية المؤيدة بالايمان الاسلامى ، وقال فيهم كلمته المشهورة :

إذا ما عصبتُ الرأسَ منى بمشوذ   فغيّكِ منى تغلب ابنة وائل

وبلغت هذه الكلمة عمر ، فخاف أن يبطش قائده الشاب بنصارى تغلب فيفلت من يده زمامهم فى الوقت الذى يحاربون فيه مع المسلمين حمية للعروبة ، فكف عنهم يد الوليد ونحاه عن منطقتهم . وبهذا الماضى المجيد جاء الوليد =

والولاية اجتهاد (١) ، وقد عزل عمر سعد بن أبي وقاص وقدّم

= ن خلافة عثمان فتولى الكوفة له ، وكان من خير ولاتها عدلا ورفقاً وإحساناً ، وكانت جيوشه مدة ولايته على الكوفة تسير في آفاق الشرق فاتحة ظافرة موفقة على ما سنذكره فيما بعد

(١) للمؤلف في أواخر هذا الكتاب فصل عنوانه (نكتة) أشار فيه إلى المعاني والحقائق التي يلاحظها ولي الأمر عند « اجتهاده » في تولية الولاة وعزلهم ، وذلك لفقه عظيم ومعارف بديعة بينهما أئمة الاسلام وعداوه في الفصول التي عقدوها للامامة وسياسة الدولة في كتبهم المصنفة في أصول الدين. وقد زعم طاغية الشيعة ومدلسهم الحسن بن المطهر الحلي في كتابه منهاج الكرامة أن عثمان ولى أمور المسلمين من لا يصلح للولاية ، فأجابه شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٣ : ١٧٣ - ١٧٦) أن علياً رضي الله عنه ولى زياد ابن أبي سفيان وولى الأشتر النخعي وولى محمد بن أبي بكر وأمثال هؤلاء ، ولا يشك عاقل أن معاوية بن أبي سفيان كان خيراً من هؤلاء كلهم . قال : ومن العجب أن الشيعة ينكرون على عثمان أنه ولى أقاربه من بني أمية ، ومعلوم أن علياً ولى أقاربه من قبل أبيه وأمه فولى عبد الله بن عباس على اليمن ، وولى على مكة والطائف قثم بن العباس ، وأما المدينة فقيل انه ولى عليها سهل بن حنيف وقيل ثمامة بن العباس ، وأما البصرة فولى عليها عبدالله ابن عباس ، وولى على مصر ربيبه محمد بن أبي بكر الذي رباه في حجره (لأنه تزوج أمه بعد وفاة أبي بكر وكان محمد صغيرا) . ثم ان الامامية تدعى أن علياً نص على أولاده في الخلافة — أو على ولده ، وولده على ولده الآخر وهلم جرا — ومن المعلوم إن كان تولية الأقربين منكراً ، فتولية الخلافة العظمى أعظم من إمارة بعض الأعمال ... وإذا قال القائل : لعلي حجة فيما فعله ، قيل له : وحجة عثمان فيما فعله أعظم . وإذا ادّعى لعلي العصمة ونحوها مما يقطع عنه ألسنة الطاعنين ، كان ما يُدّعى لعثمان من « الاجتهاد » الذي =

أقل منه درجة (١)

١٢ — وأما قول القائلين فى مروان والوليد فشديد عليهم ، وحكمهم

= يقطع ألسنة الطاعنين أقرب إلى المعقول والمنقول ... ثم قال : إن بنى أمية كان رسول الله ﷺ يستعملهم فى حياته ، واستعملهم بعده من لا يتهم بقرابة فيهم : أبو بكر وعمر ، ولا تعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عمال لرسول الله ﷺ أكثر من بنى عبد شمس ، لأنهم كانوا كثيرين . وكان فيهم شرف وسؤدد ، فاستعمل النبى ﷺ فى عزة الاسلام على أفضل الأرض مكة عتاب بن أسيد بن أبى العاص بن أمية ، واستعمل على نجران أبا سفيان ابن حرب بن أمية ، واستعمل خالد بن سعيد بن العاص على صدقات بنى مذحج وعلى صنعاء واليمن حتى مات رسول الله ﷺ واستعمل عثمان بن سعيد بن العاص على تيماء وخيبر وقرى عرينة ، واستعمل أبان بن سعيد بن العاص على بعض السرايا ثم استعمله على البحرين فلم يزل عليها بعد العلاء بن الحضرمى (حليف بنى أمية) حتى توفى النبى صلى الله عليه وسلم . فيقول عثمان : أنا لم أستعمل إلا من استعمله النبى ﷺ ومن جنسهم ومن قبيلتهم ، وكذلك أبو بكر وعمر بعده . . . فكان الاحتجاج على جواز الاستعمال من بنى أمية بالنص الثابت عن النبى ﷺ أظهر عند كل عاقل من دعوى كون الخلافة فى واحد معين من بنى هاشم بالنص ، لأن هذا كذب باتفاق أهل العلم بالنقل ، وذلك صدق باتفاق أهل العلم بالنقل (وانظر أيضاً منهاج السنة ٣ : ٢٣٦ - ٢٣٧) . والذى يستعرض حياة عمال عثمان وجهادهم وفضائلهم يراهم فى الذروة العليا من رجال الدولة ، ولا يتردد فى أنهم من بناة الأساس الأقوم فى مجد الاسلام الادارى والعسكرى ، ولهم ثواب نتائجه فى الفتوح وانتشار دعوة الاسلام بما يعده التاريخ من معجزاته الخارقة للعادات

(١) كان ذلك سنة ٢١ ، والذين تولوا بعد سعد : عبد الله بن عبد الله بن عتبان (وفى زمانه كانت وقعة نهاوند) ثم زياد بن حنظلة (وألح فى الاستعفاء فأعفى) وولى بعدهما عمار بن ياسر (الطبرى ٤ : ٢٤٦ وما قبلها)

عليهما بالفسق فسق منهم

مروان رجل عدل من كبار الأمة عنـــد الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين . أما الصحابة فان سهل بن سعد الساعدى روى عنـه [١] . وأما التابعون فأصحابه فى السن ، وإن جازهم باسم الصحبة فى أحد القولين [٢]

(١) وروايته عنه فى صحيح البخارى وغيره

(٢) وفى طليعة من روى عنه من كبار التابعين زين العابدين على بن الحسين السبط ، نص على ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢ : ١٢٣) ، والحافظ ابن حجر فى الاصابة ، وترى تفصيله فى طبقات الشافعية الكبرى للتاج السبكى فى ترجمـــة اللغوى الشهير أبى منصور محمد بن أحمد بن الأزهر صاحب تهـــذيب اللغة (٢٨٢ - ٣٧٠) . وممن نص الحافظ ابن حجر على روايتهم عن مروان : سعيد بن المسيب رأس علماء التابعين ، وإخوانه من الفقهاء السبعة أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى ، وعبيدالله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وعروة بن الزبير ، وأضرابهم كعراك بن مالك الغفارى المدنى فقيـه أهل دهلك وكان يصوم الدهر ، وكعبد الله بن شداد بن الهاد أحد الرواة عن عمر وعلى ومعاذ . وان رواية عروة بن الزبير عن مروان فى كتاب الوكالة من صحيح البخارى (ك ٤٠ ب ٧ ج ٣ ص ٦٢) وفى مسند الامام أحمد (الطبعة الأولى ٤ : ٣٢١ و ٣٢٣ و ٣٢٦ و ٣٢٨ و ٥ : ١٨٩) . ورواية عراك عن مروان نقلها إمام أهل مصر الليث ابن سعد عن يزيد بن حبيبة فى مسند أحمد (٤ : ٣٢٨) ورواية عبد الله بن شداد بن الهاد عن مروان فى مسند أحمد (٦ : ٣١٧ و ٣٢٣) . والذى يتأمل فى الأحاديث المروية عن مروان يجد حملتها من الأئمة الثقات تتسلسل روايتهم عنه مدة جيلين وأكثر وكلهم أعلى مرتبة فى الاسلام من الذين يبرّدون الغل الذى فى قلوبهم بالطعن فى مروان ومن هو خير من مروان ، بل فى رواة أحاديث مروان عبد الرزاق إمام أهل اليمن وكانت فيه نزعة تشيع . وفى

وأما فقهاء الأمصار فكلهم على تعظيمه ، واعتبار خلافته ، والتلفت إلى فتواه ، والانقياد إلى روايتـه . وأما السفهــاء من المؤرخين والأدباء فيقولون على أقدارهم

وأما الوليد فقد روى بعض المفسرين أن الله سماه فاسقاً فى قوله ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة﴾ (الحجرات : ٦) فانها ـ فى قولهم ـ نزلت فيه ، أرسله النبى ﷺ الى بنى المصطلق ، فاخبر عنهم أنهم ارتدّوا ، فأرسل رسول الله ﷺ إليهم خالد بن الوليـد فتثبت فى أمرهم فبين بطلان قوله . وقد اختلف فيه ، فقيل : نزلت فى ذلك (١) ، وقيل : فى علىّ والوليد فى قصة أخرى . وقيل : إن الوليـد

ـــــــــــــــ

= مسند أحمد (٦ : ٣١٢) حديث عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أنه كان رسول مروان إلى أم المؤمنين أم سلمة فى تحقيق بعض الأحكام الشرعيـة ، وفى ٦ : ٢٩٩ من مسند أحمـد نموذج لعظيم عنـاية مروان بسنة رسول الله ﷺ بأقصى ما يمكن أن يصدر عن أئمة المسلمين وأمرائهم

(١) كنت فيما مضى أعجب كيف تكون هذه الآية نزلت فى الوليـد بن عقبة ، ويسميه الله فاسقاً ، ثم تبقى له فى نفس خليفتى رسول الله ﷺ أبى بكر وعمر المكانة التى سجلها له التاريخ وأوردنا الأمثلة عليها فى هامش ص ٨٦ عند استعراضنا ماضيه فى بضعة عشر عاماً قبل أن يوليـه عثمان الكوفة . إن هذا التناقض ـ بين ثقة أبى بكر وعمر بالوليد بن عقبة ، وبين ما كان ينبغى أن يعامل به لو أن الله سماه فاسقا ـ حملنى على الشك فى أن تكون الآية نزلت فيه ، لا استبعاداً لوقوع أمر من الوليد يعدُّ به فاسقاً ، ولكن استبعاداً لأن يكون الموصوم بالفسق فى صريح القرآن محل الثقـة من رجلين لا نعرف فى أولياء الله عز وجل بعد رسوله ﷺ من هو أقرب إلى الله منهما . وبعد أن ساورنى هذا الشك أعدتُ النظر فى الأخبار التى وردت عن سبب =

سبق يوم الفتح فى جملة الصبيان إلى رسول الله ﷺ فمسح رءوسهم وبرّك عليهم، إلا هو فقال: إنه كان على رأسى خلوق، فامتنع ﷺ

= نزول الآية ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ ... ﴾، فلما عكفت على دراستها وجدتها موقوفة على مجاهد، أو قتادة، أو ابن أبى ليلى، أو يزيد بن رومان، ولم يذكر أحد منهم أسماء رواة هذه الأخبار فى مدة مائة سنة أو أكثر مرت بين أيامهم وزمن الحادث، وهذه المائة من السنين حافلة بالرواة من مشارب مختلفة، وإن الذين لهم هوى فى تسوىء سمعة مثل الوليد ومن هم أعظم مقاماً من الوليد قد ملأوا الدنيا أخباراً مريبة ليس لها قيمة علمية. وما دام رواة تلك الأخبار فى سبب نزول الاية مجهولين من علماء الجرح والتعديل بعد الرجال الموقوفة هذه الأخبار عليهم، وعلماء الجرح والتعديل لا يعرفون من أمرهم حتى ولا أسماءهم، فمن غير الجائز شرعاً وتاريخاً الحكم بصحة هذه الأخبار المنقطعة التى لا نسب لها. وهنالك خبران موصولان أحدهما عن أم سلمة زعم موسى بن عبيدة أنه سمعه من ثابت مولى أم سلمة. وموسى بن عبيدة ضعفه النسائى وابن المدينى وابن عدىّ وجماعة. وثابت المزعوم أنه مولى أم سلمة ليس له ذكر فى كل مارجعت إليه من كتب العلم، فلم يذكر فى تهذيب التهذيب ولا فى تقريب التهذيب ولا فى خلاصة تذهيب الكمال، بل لم اجده ولا فى قفصى الاتهام أعنى (ميزان الاعتدال) و (لسان الميزان). وذهبتُ إلى مجموعة أحاديث أم سلمة فى مسند الإمام أحمد فقرأتها واحداً واحداً فلم أجد فيها هذا الخبر، بل لم أجد لأم سلمة أى خبر ذكر فيه اسم مولى لها يدعى ثابت. زد على كل هذا أن أم سلمة لم تقل فى هذا الخبر - إن صح عنها، ولا سبيل إلى ان يصح عنها - إن الآية نزلت فى الوليد، بل قالت - اى قيل على لسانها - « بعث رسول الله ﷺ (رجلا) فى صدقات بنى المصطلق ». والخبر الثانى الموصول رواه الطبرى فى التفسير عن ابن سعد عن أبيه عن عمه عن =

من مسه . فمن يكون فى مثل هـذه السن يُرسَل مصدِّقاً ؟ ! (١) وبهـذا

= أبيه عن أبيه عن ابن عباس . والطبرى لم يلق ابن سعد ولم يأخذ عنه ، لأن ابن سعد لما توفى ببغداد سنة ٢٣٠ كان الطبرى طفلا فى نحو السادسة من عمر ولم يخرج إلى ذلك الحين من بلده آمل فى طبرستان لا إلى بغداد ولا لغيرها . وابن سعد وإن كان فى نفسه من أهل العدالة فى الدين والجلالة فى العلم ، إلا أن هذه السلسلة من سلفه يجهل علماء الجرح والتعديل أسماء أكثرهم فضلا عن أن يعرفوا شيئاً من أحوالهم ، فكل هذه الأخبار من أولها إلى آخرها لا يجوز أن يؤاخذ بها مجاهد كان موضع ثقة أبى بكر وعمر ، وقام بخدمات للاسلام يرجى له بها أعظم المثوبة إن شاء الله . أضف إلى كل ما تقدم أنه فى الوقت الذى حدثت فيه لبنى المصطلق الحادثة التى نزلت فيها الآية كان الوليد صغير السن كما سيأتى فى الفقرة التالية

(١) هذا الحديث عن سن الوليد بن عقبة يوم فتح مكة رواه الامام أحمد فى مسنده (٤ : ٣٢ الطبعة الأولى) عن شيخ له هو فياض بن محمد الرقى عن جعفر بن برقان الرقى عن ثابت بن الحجاج الكلابى الرقى عن عبدالله الهمدانى وهو (عبد الله بن مالك بن الحارث) عن الوليد بن عقبة ، والظاهر أن الوليد بن عقبة تحدث بهذا الحديث عند ما اعتزل الناس فى السنين الأخيرة من حياته واختار الإقامة فى قرية له من أعمال الرقة ، فتسلسلت رواية الخبر فى الرواة الرقيين وأخذه الامام أحمد عن شيخ له منهم . وعبد الله الهمدانى ثقة ، لكن التبس اسمه فى غير هذه الرواية بهمدانى آخر يكنى أبا موسى واسمه مالك بن الحارث (أى على اسم والد عبد الله الهمدانى) وهو مجهول عند أهل الجرح والتعديل ، اما عبد الله الهمدانى الذى ينتهى إليه الخبر فى رواية الامام احمد فمعروف وموثوق به ، وعلى روايته وامثالها اعتمد القاضى ابن العربى فى الحكم على سن الوليد بن عقبة بأنه كان صبياً عند فتح مكة وان الذى نزلت فيه آية ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ ﴾ هو شخص آخر . ومن عجيب =

الاختلاف يُسقط العلماء الأحاديث القوية. وكيف يفسق رجل بمثل هذا الكلام؟ فكيف برجل من أصحاب محمد ﷺ؟!

وأما حدُّه فى الخمر، فقد حدَّ عمرُ قدامة بن مظعون على الخمر وهو أمير وعزله، وقيل إنه صالحه (١)

= أمر الذين كان لهم هوى فى تشويه سمعة هـذا الصحابى الشاب المجاهد الطيب النفس الحسن السيرة فى الناس أنهم حاولوا إدحاض حجة صغر سنه فى ذلك الوقت بخبر آخر روى عن قدومه مع أخيه عمارة إلى المدينة فى السنة السابعة للهجرة ليطلبا من النبى ﷺ ردّ أختهما أم كلثوم إلى مكة. وأصل هذا الخبر - إن صح - مقدَّم فيه اسم عمارة على اسم الوليد، وهذا مما يستأنس به فى أن عمارة هو الأصل فى هذه الرحلة وأن الوليد جاء فى صحبته، وأى مانع يمنع قدوم الوليد صبياً بصحبة أخيه الكبير كما يقع مثل ذلك فى كل زمان ومكان؟ فقول الوليد انه كان فى سنة الفتح صبياً ليس فى خبر قدومه مع أخيه الكبير إلى المدينه فى السنة السابعة ما يمنعه أو ينقضه. فاذا تقرر عندك أن جميع الأخبار الواردة بشأن الوليد بن عقبة فى سبب نزول آية ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ ﴾ لايجوز علمياً أن يبنى عليها حكم شرعى او تاريخى، وإذا أضفت إلى ذلك حديث مسند الامام أحمد عن سن الوليد فى سنة الفتح، يتبين لك بعد ذلك حكمة استعمال أبى بكر وعمر للوليد وثقتهما به واعتمادهما عليه مع أنه كان لا يزال فى صدر شبابه

(١) قدامة بن مظعون الجمحى أحد السابقين الأولين، هاجر الهجرتين وشهد بدراً، وكان صهر أمير المؤمنين عمر على أخته، وقيل بل هو خال أم المؤمنين حفصة بنت عمر وأخيها عبيد الله. وفى إمارة قدامة على البحرين فى خلافة عمر قدم الجارود سيد بنى عبد القيس على عمر من البحرين وادعى أن قدامة شرب فسكر. فقال له عمر: من يشهد معـك؟ قال: أبو هريرة. فاستشهد أبا هريرة فقال: لم أره شرب، ولكنى رأيته سكران يقىء. =

وليست الذنوب مسقطة للعدالة إذا وقعت منها التوبة (١)

= فقال له عمر : لقد تنطعت في الشهادة . واستقدم قدامة من البحرين ، فقال الجارود لعمر : أقم على هذا كتاب الله . فقال له عمر : أخصم أنت أم شهيد ؟ فقال : شهيد . فقال عمر : قد أديت شهادتك . فصمت الجارود . ثم غدا على عمر فقال : أقم على هذا حد الله . فقال عمر : لتمسكن لسانك أو لأسوأنك . فقال : ياعمر ، ماذلك بالحق أن يشرب ابن عمك الخمر وتسوؤنى . ثم جيء بزوجة لقدامة فقامت الشهادة على زوجها . وأراد عمر أن يقيم عليه الحد ، فقال له الصحابة : لا نرى أن تحده ما دام مريضاً . ثم عاوده فقالوا له كما قالوا من قبل . فقال عمر : لأن يلقى الله تحت السياط أحب إلى من أن ألقاه وهو فى عنقى . وجلده . فغاضبه قدامة . وعند قفولهما من الحج جيء به إلى عمر ، فكلمه عمر واستغفر له . ومن حسن حظ قدامة بن مظعون أنه قرشى من بنى جمح ، ولو أنه كان قرشيـاً من بنى عبد شمس لانطلقت ألسنة السوء بالبذاءة عليه واختراع الأكاذيب فيه مادام فى الدنيا كذب

(١) هذا حق ، ولكن فى مثل ما تقدم عن قدامة بن مظعون ، وفى مثل ما هو مشهور عند الناس عن أبى محجن الثقفى الشاعر الفارس الذى كان له يوم أغر فى حرب القادسية . أما الوليد بن عقبة المجاهد الفاتح العادل المظلوم (الذى كان منه لأمته كل ما استطاعه من عمل طيب ، ثم رأى بعينيه كيف يبغى المبطلون على الصالحين وينفذ باطلهم فيهم ، فاعتزل الناس بعد مقتل عثمان فى ضيعة له منقطعة عن صخب المجتمع ، وهى تبعد خمسة عشر ميلا عن بلدة الرقة من أرض الجزيرة التى كان يجاهد فيها ويدعو نصاراها الى الاسلام فى خلافة عمر) فقد آن لدسائس الكذابين فيه أن ينكشف عنها عوارها . ولا يضير هذا الرجل أن يتأخر انكشاف الحق فيه ثلاثة عشر قرناً ، فان الحق قديم ولا يؤثر فى قدمه احتجابه . أراد الوليد بن عقبة ـ منذ ولى الكوفة لأمير المؤمنين عثمان ـ أن يكون الحاكم المثالى فى العدل والنبل والسيرة الطيبة =

مع الناس ، كما كان المحارب المثالى فى جهـــاده وقيامه للاسلام بما يليق بالذائدين عن دعوته ، الحاملين لرايته ،الناشرين لرسالته . وقد لبث فى إمارته على الكوفة خمس سنوات وداره إلى اليوم الذى زايل فيه الكوفة ليس لها باب يحول بينه وبين الناس ممن يعرف أو لا يعرف ، فكان يغشاها كل من شاء متى شاء من ليل أو نهار . ولم يكن بالوليد حاجة لأن يستتر عن الناس ؛

فالستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر

وكان ينبغى أن يكون الناس كلهم محبين لأميرهم الطيب لأنه أقام لغربائهم دور الضيافة ، وأدخل على الناس خيراً حتى جعل يقسم المال للولائد والعبيد ورد على كل مملوك من فضول الأموال فى كل شهر ما يتسعون به من غير أن ينقص مواليهم من أرزاقهم . وبالفعل كانت جماهير الشعب متعلقة بحب هذا الأمير المثالى طول مدة حكمه . إلا أن فريقـــاً من الأشرار وأهل الفساد أصاب بنيهم سوط الشريعة بالعقاب على يد الوليد ، فوقفوا حياتهم على ترصد الأذى له . ومن هؤلاء رجال يسمى أحدهم أبا زينب بن عوف الأزدى وآخر يسمى أبا مورع وثالث اسمه جندب أبو زهير قبضت السلطات على أبنائهم فى ليلة نقبوا بهـا على ابن الحيسمان داره وقتلوه ، وكان نازلا بجواره رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أهل السابقة فى الاسـلام وهو أبو شريح الخزاعى حامل راية رسول الله ﷺ على جيش خزاعة يوم فتح مكة فجاء هو وابنه من المدينة إلى الكوفة ليسيرا مع أحد جيوش الوليد بن عقبة التى كان يواصل توجيهها نحو الشرق للفتوح ونشر دعوة الاسلام ، فشهد هذا الصحابى وابنه فى تلك الليـلة سطو هؤلاء الأشرار على منزل ابن الحيسمان ، وأدى شهادته هو وابنه على هؤلاء القتلة السفاحين ، فأنفذ الوليد فيهم حكم الشريعة على باب القصر فى الرحبة ، فكتب آباؤهم العهد على أنفسهم للشيطان بأن يكيدوا لهذا الأمير الطيب الرحيم ، وبثوا عليه العيون والجواسيس ليترقبوا حركاته ، وكان بيته مفتوحا دائماً . وبينما كان عنده ذات يوم ضيف له من

شعراء الشمال كان نصرانياً فى أخواله من تغلب بأرض الجزيرة وأسلم على يد الوليد ، فظن جواسيس الموتورين أن هذا الشاعر الذى كان نصرانياً لابد أن يكون ممن يشرب الخمر ولعل الوليد أن يكرمه بذلك ، فنادوا أبا زينب وأبا المورع وأصحابهما ، فاقتحموا الدار على الوليد من ناحية المسجد ، ولم يكن لداره باب ، فلما فوجىء بهم نحى شيئاً أدخله تحت السرير ، فأدخل بعضهم يده فأخرجه بلا إذن من صاحب الدار ، فلما أخرج ذلك الشيء من تحت السرير إذا هو طبق عليه تفاريق عنب ، وإنما نحاه الوليد استحياء ان يروا طبقه ليس عليه إلا تفاريق عنب ، فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون من الخجل ، وسمع الناس بالحكاية فأقبلوا يسبونهم ويلعنونهم . وقد ستر الوليد عليهم ذلك وطواه عن عثمان وسكت عن ذلك وصبر . ثم تكررت مكايد جندب وأبى زينب وأبى المورع، وكانوا يغتنمون كل حادث فيسيئون تأويله ويفترون الكذب . وذهب بعض الذين كانوا عمالا فى الحكومة ونحاهم الوليد عن أعمالهم لسوء سيرتهم فقصدوا المدينة وجعلوا يشكون الوليد لأمير المؤمنين عثمان ويطلبون منه عزله عن الكوفة . وفيما كان هؤلاء فى المدينة دخل أبو زينب وأبو المورع دار الامارة بالكوفة مع من يدخلها من غمار الناس وبقيا فيها إلى أن تنحى الوليد ليستريح ، فخرج بقية القوم ، وثبت أبو زينب وأبو المورع إلى أن تمكنا من سرقة خاتم الوليد من داره وخرجا . فلما استيقظ الوليد لم يجد خاتمه ، فسأل عنه زوجتيه ـ وكانتا فى مخدع تريان منه زوار الوليد من وراء ستر ـ فقالتا إن آخر من بقى فى الدار رجلان، وذكرتا صفتهما وحليتهما للوليد ، فعرف أنهما أبو زينب وأبو المورع ، وأدرك أنهما لم يسرقا الخاتم إلا لمكيدة بيّتاها ، فأرسل فى طلبهما فلم يوجدا فى الكوفة ، وكانا قد سافرا تواً إلى المدينة ، وتقدما شاهدين على الوليد بشرب الخمر (وأكبر ظنى أنهما استلهما شهادتهما المزورة من تفاصيل الحادث الذى سبق وقوعه لقدامة بن مظعون فى خلافة عمر) فقال لهما عثمان : كيف رأيتما ؟ قالا :

وقد قيل لعثمان : إنك وليت الوليد لأنه أخوك لأمك أروى بنت

= كنا من غاشيته ، فدخلنا عليه وهو يقيء الخمر . فقال عثمان : ما يقيء الخمر إلا شاربها . فجيء بالوليد من الكوفة فحلف لعثمان وأخبره خبرهم ، فقال عثمان: « نقيم الحدود ، ويبوء شاهد الزور بالنار »

هذه قصة اتهام الوليد بالخمر كما فى حوادث سنة ٣٠ من تاريخ الطبرى ، وليس فيها - على تعدد مصادرها القديمة - شيء غير ذلك . وعناصر الخبر عند الطبرى أن الشهود على الوليد اثنان من الموتورين الذين تعددت شواهد غلهم عليه ، ولم يرد فى الشهادة ذكر الصلاة من اصلها فضلا عن أن تكون اثنتين أو أربعاً . وزيادة ذكر الصلاة هى الأخرى أمرها عجيب . فقد نقل خبرها عن الحضين بن المنذر (أحد أتباع على) أنه كان مع على عند عثمان ساعة أقيم الحد على الوليد ، وتناقل عنه هذا الخبر فسجله مسلم فى صحيحه (كتاب الحدود ب ٨ ح ٣٨ - ج ٥ ص ١٢٦) بلفظ شهدتُ عثمان بن عفان وأتى بالوليد قد صلى الصبح (ركعتين) ثم قال : أزيدكم ؟ فشهد عليه رجلان أحدهما حمران أنه شرب الخمر ، وشهد آخر أنه رآه يتقيأ » . فالشاهدان لم يشهدا بأن الوليد صلى الصبح ركعتين وقال أزيدكم ، بل شهد أحدهما بأنه شرب الخمر وشهد الآخر بأنه تقيأ . أما صلاة الصبح ركعتين وكلمة أزيدكم فهى من كلام حضين ، ولم يكن حضين من الشهود ، ولا كان فى الكوفة فى وقت الحادث المزعوم ، ثم انه لم يسند هذا العنصر من عناصر الاتهام إلى إنسان معروف . ومن العجيب أن نفس الخبر الذى فى صحيح مسلم وارد فى ثلاثة مواضع من مسند أحمد مروياً عن حضين ، والذى سمعه من حضين فى صحيح مسلم هو الذى سمعه منه فى مسند أحمد بمواضعه الثلاثة ، فالموضعان الأول والثانى (ج ١ ص ٨٢ و ١٤٠ الطبعة الأولى - ج ٢ رقم ٦٢٤ و ١١٨٤ الطبعة الثانية) ليس فيهما ذكر للصلاة عن لسان حضين فضلا عن غيره ، فلعل أحد الرواة من بعده أدرك أن الكلام عن الصلاة ليس من كلام الشهود فاقتصر على ذكر =

كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، فقال : بل لأنه ابن عمة رسول الله ﷺ أم حكيم البيضاء جدة عثمان وجدة الوليد لأمهما أروى المذكورة

═ الحد . وأما فى الموضع الثالث من مسند أحمد (ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٥ الطبعة الأولى - ج ٢ رقم ١٢٢٩) فقد جاء فيه على لسان حضين « ان الوليد صلى بالناس الصبح أربعاً » وهو يعارض ما جاء على لسان حضين نفسه فى صحيح مسلم ، فنى إحدى الروايتين تحريف الله أعلم بسببه . وفى الحالتين لا يخرج ذكر الصلاة عن أنه من كلام حضين وحضين ليس بشاهد ، ولم يرو عن شاهد ، فلا عبرة بهذا الجزء من كلامه . وبعد أن علمت بأمر الموتورين فيما نقله الطبرى عن شيوخه ، أزيدك علماً بأمر حمران . وهو عبد من عبيد عثمان كان قد عصى الله قبل شهادته على الوليد فتزوج فى مدينة الرسول امرأة مطلقة ودخل بها وهى فى عدتها من زوجها الأول ، فغضب عليه عثمان لهذا ولأمور أخرى قبله فطرده من رحابه وأخرجه من المدينة ، فجاء الكوفة يعيث فيها فساداً ، ودخل على العابد الصالح عامر بن عبد القيس فافترى عليه الكذب عند رجال الدولة وكان سبب تسييره إلى الشام . وأنا أترك أمر هذا الشاهد والشاهدين الآخرين قبله إلى ضمير القارىء يحكم به عليهم بما يشاء ، وفى اجتهادى أن مثل هؤلاء الشهود لا يقام بهم حد الله على ظنين من السوقة والرعاع فكيف بصحابى مجاهد وضع الخليفة فى يده أمانة قطر وقيادة جيوش فكان عند الظن به من حسن السيرة فى الناس وصدق الرعاية لأمانات الله ، وكان موضع الثقة عند ثلاثة من أكمل خلفاء الاسلام أبى بكر وعمر وعثمان . وان قرابة الوليد من عثمان التى يزعم الكذبة أنها سبب المحاباة منه لهم انما كانت سبب التسامح من عثمان فى عزلهم والقسوة عليهم لئلا يقال ان له هوى فى ذوى قرابته . ورأينا الذين يتسلون بأعراض الناس يتفكهون بأبيات ستة منسوبة إلى ماجن خسيس النفس وردت فى ص ٨٥ من ديوانه ، ولا تحملهم سليقة النقد على الشعور بما فى هذه الأبيات من التضارب والتعارض ، ═

أم حكيم توأمة عبد الله أبى رسول الله ﷺ . وأى حرج على المرء أن يولى أخاه أو قريبه (١) ؟

ـــ فأين مدحه فيها للوليد بقوله :

ورأوا شمائل ماجــد أنف يعطى على الميســور والعسر

فنزعت مكذوبا عليــك ولم تردد إلى عوز ولا فقـــر

من بقية الأبيات التى فيها :

نادى وقد تمت صلاتهم أأزيدكم ثملا وما يدرى

فالذى يقول البيت الأخير لا يعقل أن يقول معه البيتين الأولين فيكون مادحاً وذاماً فى قطعة واحدة لا تزيد على ستة أبيات . وقد كانت لىَ مقالة مطولة عن (التخليط فى الشعر) ضربت فيها الأمثلة على دس أبيات غريبة فى قصائد من وزنها ورويها لغير ناظمها . وعلى كل حال فالشهود الذين شهدوا بين يدى عثمان لم يدّعوا حكاية الصلاة ، مع أنهم لم يكونوا ممن يخاف الله واليوم الآخر . والآن أقولها لوجه الله صريحة مدوية : إن الوليد لو كان من رجال التاريخ الأوربى كالقديس لويس الذى أسرناه فى دار ابن لقمان بالمنصورة لعدّوه قديساً ، لأن لويس التاسع لم يحسن إلى فرنسا كاحسان الوليد بن عقبة إلى أمته ، ولم يفتح للنصرانية كفتح الوليد للاسلام ، والعجب لأمة تسىء إلى أبطالها ، وتشوه جمال تاريخها ، وتهدم أمجادها كما يفعل الأشرار منا ، ثم ينتشر كيد هؤلاء الأشرار حتى يظن الأخيار أنه هو الحق

(١) وقد تقدم فى هامش ص ٨٧ أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب جعل الأمراء فى مدة خلافته على أكثر أمصار حكمه من ذوى قرابته . وأن رسول الله ﷺ ولى رجال بنى أمية وشبابهم . وكذلك فعل أبو بكر وعمر ، فلم يفعل عثمان إلا الذى سبقه إليه النبى ﷺ وصاحباه . بل إن عثمان لما أقام الحد على أخيه لأمه فعل ما لا نظن أحداً يفعله بشهادة الشهود المغرضين ـــ

١٣ — وأما إعطاؤه خُمس افريقية لواحد فلم يصح (١) . على أنه

= الذين لم يريدوا الله بشهادتهم . وإذا كان الشهود على الوليد من هذه الطبقة المغرضة ، فقد شهد له بظهر الغيب قاض من أعظم قضاة الاسلام فى التاريخ علماً وفضلا وإنصافاً وهو الامام عامر بن شراحيل الشعبي . روى الطبرى (٥ : ٦٠) أن الشعبي سمع فى أوائل بطولة مسلمة بن عبد الملك حفيداً للوليد بن عقبة يتحدث عن جهاد مسلمة ، فقال الشعبي : « كيف لو أدركتم الوليد غزوه وإمارته ؟ إنْ كان ليغزو فينتهى إلى كذا وكذا . . . ماقصر ، ولا انتقض عليه أحد . حتى عزل عن عمله وعلى الباب (أى الدربند ، وراء بحر الخزر فى روسيا ، وكان من أمنع معاقل الدنيا) عبد الرحمن الباهلى (وهو من أعظم قواد الوليد) . وإن كان مما زاد عثمانُ الناس على يده (أى على يد الوليد) أن رد على كل مملوك بالكوفة من فضول الأموال ثلاثة فى كل شهر يتسعون بها من غير أن ينقص مواليهم من أرزاقهم » . فهذه الشهادة من الامام الشعبي للوليد فى جهاده الحربى الظافر ، وفى إحسانه لرعيته فى معايشهم ، تفقأ عيون المبطلين ، وتقرُّ أعين الصالحين ، وصدق أمير المؤمنين عثمان يوم طيب قلب أخيه المظلوم بقوله « نقيم الحدود ، ويبوء شاهد الزور بالنار » . ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك غفور رحيم ﴾

(١) والذى صح هو إعطاؤه خمس الخمس لعبد الله بن أبى سرح جزاء جهاده المشكور ، ثم عاد فاستردَّه منه . جاء فى حوادث سنة ٢٧ من تاريخ الطبرى (٥ : ٤٩ مصر ، ١ : ٢٨١٤ - ٢٨١٥ طبع أوربا) أن عثمان لما أمر عبد الله ابن سعد بن أبى سرح بالزحف من مصر على تونس لفتحها قال له : « إن فتح الله عليك غدا إفريقية فلك مما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نفلا » . فخرج بجيشه حتى قطعوا أرض مصر وأوغلوا فى أرض إفريقية وفتحوها سهلها وجبلها ، وقسم عبد الله على الجند ما أفاء الله عليهم وأخذ =

قد ذهب مالك وجماعة إلى أن الإمام يرى رأيه فى الخمس ، وينفذ فيه ما أداه إليه اجتهاده . وأن إعطاءه لواحد جائز ، وقد بينا ذلك فى مواضعه (١)

= خمس الخمس وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان مع وثيمة النصرى . فشكا وفد ممن معه إلى عثمان ما أخذه عبد الله بن سعد ، فقال لهم عثمان : أنا أمرت له بذلك ، فان سخطتم فهو رد . قالوا : إنا نسخطه . فأمر عثمان عبد الله بن سعد بأن يرده فرده . ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر وقد فتح إفريقية

(١) أى فى مؤلفاته الأخرى عند بسطه هذه المسألة من أحكام الفقه الاسلامى . قال الامام عامر بن شراحيل الشعبى : « إنما القطائع على وجه النفل من خمس ما أفاء الله » . قال : « وأقطع عمرُ طلحة وجرير بن عبد الله والرِّبِّيل بن عمرو . وأقطع (أى عمر) أبا مفزِّر دارَ الفيل» . وممن أقطعهم عمر بن الخطاب نافع أخو زياد وأبى بكرة لأمهما ، أقطعه أرضاً فى البصرة لخيله وإبله مساحتها عشرة أجربة (انظر ترجمة نافع فى الاصابة) قال القاضى أبو يوسف فى كتاب الخراج (ص ٦١) وقد أقطع رسول الله ﷺ وتألف على الاسلام أقواماً ، وأقطع الخلفاء من بعده من رأوا أن فى إقطاعه صلاحاً (وضرب أبو يوسف الأمثلة على ذلك) . وانظر باب القطائع فى ص ٧٧ - ٧٨ من كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشى طبع السلفية . وذكر الامام الشعبى بعض الذين أقطعهم عثمان فقال : « وأقطع الزبير ، وخباب ، وعبد الله بن مسعود ، وعمار بن ياسر ، وابن هبّار أزمان عثمان ، فان يكن عثمان أخطأ فالذين قبلوا منه الخطأ أخطأوا ، وهم الذين أخذنا عنهم ديننا » (الطبرى ٤ : ١٤٨) . وأقطع على بن أبى طالب كردوس بن هانىء الكردوسية ، وأقطع سويداً بن غفلة أرضاً لداذويه . فكيف ينكرون على عثمان ويسكتون عن عمر وعلى . وللقاضى أبى يوسف كلام سديد فى هذا الموضوع فى =

١٤ — وأما قولهم إنه ضرب بالعصا ، فما سمعته ممن أطاع أو عصى ،

= كتاب الخراج (ص ٦٠ - ٦٢ طبعة السلفية سنة ١٣٥٢) . وما زعمه الزاعمون من أن عثمان كان يود ذوى قرابته ويعطيهم ، فودته ذوى قرابته من فضائله ، وعلىّ أثنى على عثمان بأنه أوصلُ الصحابة للرحم ، وعثمان أجاب عن موقفه هذا بقوله : « وقالوا : إنى أحب أهل بيتى وأعطيهم . فأما حبى لهم فانه لم يمل معهم على جور ، بل أحمل الحقوق عليهم . وأما إعطاؤهم فانى إنما أعطيهم من مالى ، ولا أستحل أموال المسلمين لنفسى ، ولا لأحد من الناس . وقد كنت أعطى العطية الكبيرة الرغيبة من صلب مالى أزمان رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر ، وأنا يومئذ شحيح حريص . أفحين أتت علىّ أسنان أهل بيتى وفنى عمرى وودعت الذى لى فى أهلى قال الملحدون ما قالوا ؟ » . قال الطبرى (٥ : ١٠٣) : وكان عثمان قد قسم ماله وأرضه فى بنى أمية ، وجعل ولده كبعض من يعطى ، فبدأ ببنى أبى العاص فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف فأخذوا مائة ألف ، وأعطى بنى عثمان مثل ذلك ، وقسم فى بنى العاص وبنى العيص وفى بنى حرب . بل تمادى شيخ الاسلام ابن تيمية مع أوسع الاحتمالات فذكر فى منهاج السنة (٣ : ١٨٧ - ١٨٨) ان سهم ذوى القربى ذهب بعض الفقهاء إلى أنه لقرابة الامام كما قاله الحسن وأبو ثور ، وأن النبى ﷺ كان يعطى أقاربه بحكم الولاية ... وقيل هو لمن ولى الأمر بعده .. قال : وبالجملة فعامة من تولى الأمر بعد عمر كان يخص بعض أقاربه إما بولاية أو بمال . ثم قال فى (٣ : ٢٣٧) : « ان ما فعله عثمان فى المال له ثلاثة مآخذ : أحدها أنه عامل عليه ، والعامل يستحق مع الغنى . الثانى أن ذوى القربى هم ذوو قربى الامام . الثالث أنهم (أى ذوو قربى عثمان) كانوا قبيلة كثيرة ليسوا مثل قبيلة أبى بكر وعمر ، فكان يحتاج إلى إعطائهم وولايتهم أكثر من حاجة أبى بكر وعمر إلى تولية أقاربهما وإعطائهم . وهذا مما نقل عن عثمان الاحتجاج به »

وإنما هو باطل يحكى ، وزور يُنثى (١) ، فيالله وللنهى

١٥ — وأما علوه على درجة رسول الله ﷺ ، فما سمعته ممن فيه تقية . وإنما هى إشاعة منكر ، ليروى ويذكر ، فيتغير قلب من يتغير . قال علماؤنا : ولو صح ذلك فما فى هذا ما يُحلّ دمه . ولا يخلو أن يكون ذلك حقاً فلم تنكره الصحابة عليه إذ رأت جوازه ابتداء أو لسبب اقتضى ذلك . وإن كان لم يكن فقد انقطع الكلام (٢)

١٦ — وأما انهزامه يوم حنين ، وفراره يوم أحد ، ومغيبه عن بدر وبيعة الرضوان ، فقد بين عبد الله بن عمر وجه الحكم فى شأن البيعة وبدر وأحد . وأما يوم حنين فلم يبق إلا نفر يسير مع رسول الله ﷺ . ولكن لم يجر فى الأمر تفسير من بقى ممن مضى فى الصحيح ، وإنما هى أقوال ، منها أنه ما بقى معه إلا العباس وابناه عبد الله وقثم ، فناهيك بهذا الاختلاف ، وهو أمر قد اشترك فيه الصحابة ، وقد عفا الله عنه

---

(١) نثى الخبر والحديث : أذاعه وأظهره . والنثا مثل الثناء ، إلا أنه فى الخير والشر ، والثناء فى الخير خاصة

(٢) كان مسجد رسول الله ﷺ ضيق المساحة فى عصر النبوة وخلافة أبى بكر ، وكان من مناقب عثمان فى زمن النبى ﷺ عند ما زاد عدد الصحابة أن اشترى من ماله مساحة من الأرض وسع بها المسجد النبوى ، ثم وسعه أمير المؤمنين عمر فأدخل فيه دار العباس بن عبد المطلب . ثم ازداد عدد المصلين بازدياد عدد سكان المدينة وقاصديها فوسعه أمير المؤمنين عثمان مرة أخرى وجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين ومائة ذراع وجدد بناءه . فاتساع المسجد وازدياد غاشيته وبعد أمكنة بعضهم عن منبر الخطابة يجوز أن يكون من ضرورات ارتفاع الخطيب ليراهم ويروه ويسمعوه

ورسوله ، فلا يحل ذكر ما أسقطه الله ورسوله والمؤمنون . أخرج البخاري (١) : جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان ، فذكر عن محاسن عمله وقال : لعل ذلك يسوؤك ؟ قال نعم . قال . فارغم الله بأنفك ثم سأله عن علي ، فذكر محاسن عمله وقال : هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي ﷺ . ثم قال : لعل ذلك يسوؤك ؟ قال أجل قال : فأرغم الله بأنفك . انطلق فاجهد عليّ جهدك . وقد تقدم في حديث « بني الاسلام على خمس » زيادة فيه للبخاري في علي وعثمان (٢) . وقد أخرج البخاري أيضاً (٣) من حديث عثمان بن عبد الله بن موهب قال : جاء رجل من أهل مصر يريد حج البيت فرأى قوماً جلوساً ، فقال : من هؤلاء القوم ؟ قالوا : هؤلاء قريش . قال : فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر . قال : يا ابن عمر ، إني سائلك عن شيء فحدثني عنه ، هل تعلم أن عثمان فرّ يوم أحد ؟ قال : نعم . فقال : تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد ؟ قال: نعم . قال : هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟ قال : نعم . قال : الله أكبر ! قال ابن عمر : تعال أبين لك . أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له . وأما تغيبه عن بدر فانه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ إن لك أجر

---

(١) في كتاب فضائل الصحابة (ك ٦٢ ب ٩ — ج ٤ ص ٢٠٨) من حديث سعد بن عبيدة

(٢) لعل المؤلف يشير إلى حديث ابن عمر في كتاب التفسير من صحيح البخاري (ك ٦٥ ب ٢ تفسير البقرة الحديث ٣٠ ج ٥ ص ١٥٧)

(٣) في كتاب فضائل الصحابة (ك ٦٢ ب ٧ ج ٤ ص ٢٠٣ - ٢٠٤)

رجل ممن شهد بدراً وسهمه (١) . وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعزّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله ﷺ عثمان (٢) وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة (٣) ، فقال رسول الله

---

(١) وبعث النبي ﷺ ببشرى النصر فى بدر مع زيد بن حارثة إلى عثمان فى المدينة . قال أسامة بن زيد - فيما رواه الطبرى ٢ : ٢٨٦ - : « فأتانا الخبر حين سوّينا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ التى كانت عند عثمان بن عفان ، وكان رسول الله ﷺ خلفنى عليها مع عثمان » ثم فى ربيع الأول من السنة التالية لغزوة بدر تزوج عثمان أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، وأدخلت عليه فى جمادى الآخرة

(٢) وقبل أن يبعث عثمان دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال عمر : يا رسول الله إنى أخاف قريشا على نفسى ، وليس فى مكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى . ولكنى أدلك على رجل هو أعزّ منى فيها : عثمان بن عفان . فدعاه رسول الله ﷺ فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش . ويوم تدوّن الدول الاسلامية تاريخ السفارات فى الاسلام ، سيكون اسم عثمان أول سفراء الاسلام فى التاريخ

(٣) لأن عثمان لما أدى رسالته فى السفارة التى بعث لها احتبس أياماً ، فلم يعد إلى النبى ﷺ فى الموعد الذى كان يقدر له أن يعود فيه ، فوصل الخبر إلى النبى ﷺ بأن سفيره قتل ، فدعا النبى ﷺ الصحابة إلى بيعة الرضوان ، انتصاراً لعثمان ، على نية أن يذهب بالصحابة إلى مكة فيناجز المشركين لما بلغه عن قتلهم عثمان . فبيعة الرضوان كانت رمزاً من رموز الشرف لعثمان ، وأى شرف أعظم من اجتماع قوى الاسلام بقيادة الرسول الأعظم للأخذ بثأر هذا الرجل الحبيب إلى المسلمين ، والرفيع المنزلة عند سيد الأولين والآخرين . ثم لما علم النبى ﷺ - فى اللحظة الأخيرة التى اجتمع فيها الصحابة لعقد =

ﷺ بيده اليمنى : « هذه يد عثمان » فضرب بها على يده فقال : « هذه لعثمان » . ثم قال له ابن عمر : اذهب بها الآن معك (١)

١٧ — وأما امتناعه عن قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان، فان ذلك باطل (٢) . فان كان لم يفعل فالصحابة متوافرون ، والأمر فى

البيعة - أن عثمان حى ، مضى فى إتمام البيعة ، على سنته ﷺ فى أنه إذا بدأ بخير يمضى فى إكماله ولو زال سببه . وحينئذ كان لعثمان الشرف المضاعف بأن يد رسول الله ﷺ نابت عن يده فى عقد البيعة عنه . فبيعة الرضوان كانت انتصاراً لعثمان ، وجميع الصحابة بايعوا بأيدى أنفسهم إلا عثمان فان أشرف يد فى الوجود نابت عن يده فى إعطاء بيعته . ولو لم يكن لعثمان من الشرف فى حياته كلها إلا هذا لكفاه

(١) لو أن أمير المؤمنين عثمان كان من حواريى المسيح عليه السلام ، وكانت له من سيدنا عيسى بن مريم مثل هذه المنقبة التى كرمه الله بها من نبى الرحمة محمد ﷺ ، لعبدته النصارى لأجلها . فالعجب لأمة يكون فيها جهلة يعيبون على عثمان - فى زمانه - غيبته عن بيعة الرضوان ، ويكون فيهم من يستشعر الشجاعة فى نفسه عند الاقدام على سفك دم هذا الخليفة الرحيم لأمور هذا منها ، ثم يحمل مثل هذا الجهل فى دماغه رجل جاء يعبد الله بأداء فريضة الحج فيواجه به جماعة الصحابة من قريش ورئيسهم عبد الله بن عمر ، ثم تمس الحاجة إلى التعرض لبيان هذه الحقائق فى عصر القاضى أبى بكر بن العربى ، ثم يشعر أمثالنا فى عصرنا بأن عثمان لا يزال من بعض أمته فى موقف يحتاج فيه إلى إنصافه ودفع قالة السوء عنه . حقاً إننا أمة مسكينة ... ولأمر مابلغ بنا الحال بين الأمم إلى ما كنا فيه ، وإلى مالا نزال غارقين فيه ﴿ لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾

(٢) بشهادة ابنه القماذبان . روى الطبرى (٥ : ٤٣-٤٤ مصر و ١ : ٢٨٠١ طبعة أوربا) عن سيف بن عمر بسنده إلى أبى منصور قال : سمعت

أوله (١) . وقد قيل : ان الهرمزان سعى فى قتل عمر ، وحمل الخنجر وظهر تحت ثيابه (٢) . وكان قتل عبيد الله له وعثمان لم يل بعد . ولعل

ـــ القماذبان يحدث عن قتل أبيه ... قال : « فلما ولى عثمان دعانى فأمكننى منه (أى من عبيد الله بن عمر بن الخطاب) ثم قال : « يا بنى هذا قاتل أبيك ، وأنت أولى به منا ، فاذهب فاقتله » . فخرجت به وما فى الأرض أحد إلا معى ، إلا أنهم يطلبون إلىّ فيه . فقلت لهم : ألىَ قتله ؟ قالوا : نعم . وسبّوا عبيد الله . فقلت : أفلكم أن تمنعوه ؟ قالوا : لا . وسبوه . فتركته لله ولهم . فاحتملونى . فوالله ما بلغت المنزل إلا على رءوس الرجال وأكفهم » . هذا كلام ابن الهرمزان ، وإن كل منصف يعتقد (ولعل ابن الهرمزان أيضاً كان يعتقد) أن دم أمير المؤمنين عمر فى عنق الهرمزان ، وأن أبا لؤلؤة لم يكن إلا آلة فى يد هذا السياسى الفارسى . وإن موقف عثمان وإخوانه أصحاب رسول الله ﷺ من هذا الحادث لا نظير له فى تاريخ العدالة الانسانية

(١) وقد تصرف عثمان فى هذا الأمر بعد أن ذاكر الصحابة فيه . قال الطبرى (٥ : ٤١) جلس عثمان فى جانب المسجد ودعا عبيد الله وكان محبوساً فى دار سعد بن أبى وقاص ، وهو الذى نزع السيف من يده ... فقال عثمان لجماعة من المهاجرين والأنصار : أشيروا علىّ فى هذا الذى فتق فى الاسلام ما فتق . فقال على : أرى أن تقتله . فقال بعض المهاجرين : قتل عمر أمس ، ويقتل ابنه اليوم ؟ ! فقال عمرو بن العاص : ياأمير المؤمنين ، إن الله أعفاك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان ، إنما كان هذا الحدث ولا سلطان لك . قال عثمان : أنا وليهم ، وقد جعلتها دية ، واحتملتها فى مالى

(٢) فى تاريخ الطبرى (٥ : ٤٢) حديث سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق قال غداة طعن عمر : « مررتُ على أبى لؤلؤة عشى أمس ، ومعه جفينة (وكان نصرانياً من أهل الحيرة ظئراً لسعد بن أبى وقاص) ــــ

عثمان كان لا يرى على عبيد الله حقاً ، لما ثبت عنده من حال الهرمزان وفعله (١) . وأيضاً فان أحداً لم يقم بطلبه . وكيف يصح مع هـذه الاحتمالات كلها أن ينظر فى أمر لم يصح ؟

= والهرمزان ، وهم نجىٌّ ، فلما رهقتهم ثاروا ، وسقط منهم خنجر له أسان نصابه فى وسطه . فانظروا بأى شىء قتل ؟ وخرج فى طلبه رجل من بنى تميم ، فرجع إليهم التميمى وقد كان ألظ بأبى لؤلؤة منصرفه عن عمر حتى أخذه . وجاء بالخنجر الذى وصف عبد الرحمن بن أبى بكر . فسمع بذلك عبيد الله بن عمر ، فأمسك حتى مات عمر ، ثم اشتمل على السيف فأتى الهرمزان فقتله

(١) وكذلك حبر الأمة عبد الله بن عباس رأى جواز قتل علوج الفرس الذين فى المدينة بلا استثناء . قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣ : ٢٠٠) : وقد قال عبد الله بن عباس لما طعن عمر ـ وقال له عمر : كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة ـ فقال (أى ابن عباس) : « إن شئت أن نقتلهم » فقال عمر : « كذبت ، أفبعد أن تكلموا بلسانكم ، وصلوا إلى قبلتكم ؟ » . قال ابن تيمية : فهذا ابن عباس ـ وهو أفقه من عبيد الله بن عمر وأدين وأفضل بكثير ـ يستأذن عمر فى قتل علوج الفرس مطلقاً الذين كانوا بالمدينة ، لما اتهموهم بالفساد ، اعتقد جواز مثل هذا ... وإذا كان الهرمزان ممن أعان على قتل عمر كان من المفسدين فى الأرض المحاربين فيجب قتله لذلك . ولو قدر أن المقتول معصوم الدم يحرم قتله ، لكن كان القاتل متأولا ويعتقد حل قتله لشبهة ظاهرة ، صار ذلك شبهة تدرأ عن القاتل (يعنى عن عبيد الله بن عمر) . قلت : وإلى هذا ذهب عثمان فى اكتفائه بالدية واحتملها من ماله الخاص . ولو أن حادث مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ بجميع ظروفه ـ وقع مثله فى أى بلد آخر مهما بلغ فى ذروة الحضارة لما كان منهم مثل الذى كان من الصحابة فى تسامحهم إلى حد المطالبة حتى بقتل ابن أمير المؤمنين المقتول بيد الغدر والنذالة والبغى الذميم

١٨ — وأما تعلقهم بأن الكتاب وجد مع راكب ، أو مع غلامه ـ ولم يقل أحد قط إنه كان غلامه(١) ـ إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح

---

(١) وإنما قالوا إنه غلام الصدقة ، أى أحد رعاة إبل الصدقة . وإبل الصدقة ألوف كثيرة لها مئات من الرعاة . وإن صح أنه من رعاة إبل الصدقة فهؤلاء لكثرتهم وتبدلهم دائماً بغيرهم لا يكاد يعرفهم رؤساؤهم فضلا عن أن يعرفهم أمير المؤمنين وكبار عماله وأعوانه . ومع افتراض أنه من رعاة إبل الصدقة فما أيسر أن يستأجره هؤلاء البغاة لغرض من أغراضهم . وقد ثبت أن الأشتر وحُكيم بن جبلة تخلفا فى المدينة عند رحيل الثوار عنها مقتنعين بأجوبة عثمان وحججه . وفى مدة تخلف الأشتر وحكيم بن جبلة تم تدبير الكتاب وحامله للتذرع بهما فى تجديد الفتنة ورد الثوار ، ولم يكن لأحد غير الأشتر وأصحابه مصلحة فى تجديد الفتنة . وكم لهم من حيل أكثر التواء من استئجار راع يرعى إبل الصدقة . بل لقد ذكروا عن محمد بن أبي حذيفة ربيب عثمان الآبق من نعمته أنه كان فى نفس ذلك الوقت موجوداً فى مصر يؤلب الناس على أمير المؤمنين ويزور الكتب على لسان أزواج النبى ﷺ ويأخذ الرواحل فيضمّرها ويجعل رجالا على ظهور البيوت فى الفسطاط ووجوههم إلى وجه الشمس لتلوح وجوههم تلويح المسافر ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق الحجاز بمصر ثم يرسلوا رسلا يخبرون عنهم الناس ليستقبلوهم ... فاذا لقوهم قالوا انهم يحملون كتباً من أزواج النبى ﷺ فى الشكوى من حكم عثمان ، وتتلى هذه الكتب فى جامع عمرو بالفسطاط على ملأ الناس وهى مكذوبة مزورة وحملتها كانوا فى مصر ولم يذهبوا إلى الحجاز (انظر كتاب الأستاذ المحقق الشيخ صادق عرجون عن « عثمان بن عفان » ص ١٣٢ - ١٣٣) . فتزوير الكتب فى مأساة البغى على أمير المؤمنين عثمان كان من أسلحة البغاة استعملوه من كل وجه وفى كل الأحوال . وقد تقدم المثال على ذلك فى صفحة ٥٩ ، وسيأتى طرف منه فيما بعد

يأمره بقتل حامليه (١) ، فقد قال لهم عثمان : إما أن تقيموا شاهدين على ذلك ، وإلا فيميني أني ما كتبت ولا أمرت (٢) . وقد يُكتب على لسان الرجل ، ويضرب على خطه ، وينقش على خاتمه (٣)

فقالوا : لتسلم لنا مروان . فقال : لا أفعل . ولو سلمه لكان ظالماً (٤)

---

(١) وكيف يكتب الى عبدالله بن سعد بن أبي سرح وقد أذن له بالمجيء الى المدينة ويعلم أنه خرج من مصر (الطبرى ٥:١٢٢) وكان المتسلط على الحكم فى الفسطاط محمد بن أبي حذيفة رئيس البغاة وعميدهم فى هذه الجهة . ومضمون الكتاب المزور قد اضطرب رواة أخباره فى تعيين مضمونه . وسيأتى الكلام على ذلك كله فيما بعد

(٢) قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣ : ١٨٨) : كل ذى علم بحال عثمان يعلم أنه لم يكن ممن يأمر بقتل محمد بن أبي بكر ولا أمثاله ، ولا عرف منه قط أنه قتل أحداً من هذا الضرب . وقد سعوا فى قتله (أى فى قتل أمير المؤمنين عثمان) ودخل عليه محمد فيمن دخل ، وهو لا يأمر بقتالهم دفعا عن نفسه ، فكيف يبتدىء بقتل معصوم الدم

(٣) وقد حدث مثل ذلك فى زمن عمر ، كما رواه البلاذرى فى فتوح البلدان (ص ٤٤٨ طبع سنة ١٣٥٠) ، والحافظ ابن حجر فى الاصابة (٣ : ٥٢٨ طبع سنة ١٣٢٨)

(٤) قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣ : ١٨٩) بل عثمان إن كان أمر بقتل محمد بن أبي بكر هو أولى بالطاعة ممن طلب قتل مروان ، لأن عثمان إمام هدى وخليفة راشد يجب عليه سياسة رعيته وقتل من لا يدفع شره إلا بقتله . وأما الذين طلبوا قتل مروان فقوم خوارج مفسدون فى الأرض ليس لهم قتل أحد ولا إقامة حدّ . وليس مروان أولى بالفتنة والشر من محمد ابن أبي بكر ، ولا هو (أى ابن أبي بكر) أشهر بالعلم والدين منه (أى من مروان) . بل أخرج أهل الصحاح عدة أحاديث عن مروان ، وله قول =

وإنما عليهم أن يطلبوا حقهم عنده على مروان وسواه ، فما ثبت كان هو منفذَه وآخِذَه والممكِّن لم يأخذه بالحق . ومع سابقته وفضيلته ومكانته لم يثبت عليه ما يوجب خلعه فضلا عن قتله

وأمثل ما روى فى قصته أنه ـ بالقضاء السابق ـ تألب عليه قوم لأحقاد اعتقدوها : ممن طلب أمراً فلم يصل اليه ، وحسد حسادة أظهر داءها ، وحمله على ذلك قلة دين وضعف يقين ، وإيثار العاجلة على الآجلة (١) . وإذا نظرت إليهم دلك صريح ذكرهم على دناءة قلوبهم وبطلان أمرهم (٢)

= مع أهل الفتيا ، واختلاف فى صحبته . ومحمد بن أبى بكر ليس بهذه المنزلة عند الناس . . . ومروان من اقران ابن الزبير .. اهـ

(١) يمثل هذه الأوصاف وصفهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى الخطبة التى خطبها على الغرائر فى معسكره بالكوفة عند ما كان الصحابى الفارس المجاهد القعقاع بن عمرو التميمى يسعى بإتمام المهمة التى جاءت عائشة وطلحة والزبير لاتممها ، فروى الطبرى (٥ : ١٩٤) أن علياً ذكر إنعام الله على الامة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله ﷺ ، ثم الذى يليه ، ثم الذى يليه . وقال على مسمع من قتلة عثمان ـ : « ثم حدث هذا الحدث الذى جره على الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا ، حسدوا من أفاء الله عليه على الفضيلة ، وأرادوا رد الأشياء على أدبارها » . ثم ذكر أنه راحل غداً إلى البصرة ليجتمع بأم المؤمنين وأخويه طلحة والزبير وقال : « ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان رضى الله عنه بشىء فى شىء من أمور الناس، وليغن السفهاء عنى أنفسهم »

(٢) أجملنا فى هامش ص ٥٨ أوصاف البارزين ممن خرج على عثمان . وأول من اكتشف سريرتهم ، ونظر إلى وجوههم بنور الله فتشاءم منهم ، رجل الاسلام المحدَّث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب صاحب =

كان الغافقى المصرى أمير القوم [١] ، وكنانة بن بشر التجيبى [٢]

الفراســـة التى لا تخطىء . روى الطبرى (٤ : ٨٦) أن عمر لما استعرض الجيوش للجهاد سنة ١٤ مرت أمامه قبائل السكون اليمنية مع أول كندة يتقدمهم حصين بن نمير السكونى ومعاوية بن حديج أحد الصحابة الذين فتحوا مصر ثم كان أحد ولاتها ، فاعترضهم عمر ، فاذا فيهم فتية دُلْم سِباط ، فأعرض عنهم ثم أعرض ثم أعرض ، حتى قيل له : مالك ولهؤلاء ؟ فقال : إنى عنهم لمتردد ، وما مر بى قوم من العرب أكره إلىّ منهم . فكان منهم سودان بن حمران وخالد بن ملجم وكلاهما من البغاة على عثمان

(١) هو الغافقى بن حرب العكى من أبناء وجوه القبائل اليمنية التى نزلت مصر عند الفتح . فلما تظاهر ابن سبأ بالتشيع لعلى ولم يجد مرتعاً لفساده فى الحجاز ولا فى الشام ، اكتفى باصطناع بعض الأعوان فى البصرة والكوفة ، واختار الاقامة فى الفسطاط ، فكان الغافقى هذا من قنائصه ، وقد استمالوه من ناحية تهافته على الرئاسة والجاه . وكان محمد بن أبى حذيفة بن عتبة الأموى ربيب عثمان الآبق من نعمته هو اليد اليمنى لتنفيذ خطط السبأيين فى مصر . والغافقى للتصدر والظهور . وفى شوال سنة ٣٥ أعدوا عدتهم للزحف من مصر على المدينة بأربع فرق بمجموع رجالها نحو ستمائة وعلى كل فرقه رئيس ورئيسهم العام الغافقى هذا ، وتظاهروا بأنهم يقصدون الحج . وفى المدينة تطورت حركاتهم إلى ان استفحل الأمر ومنعوا عثمان من الصلاة بالناس فى المسجد النبوى فصار الغافقى هو الذى يصلى بالناس (الطبرى ٥ : ١٠٧) . ثم لما أقنعهم الشيطان بالجرأة على الجناية الكبرى كان الغافقى أحد المجترئين عليه وضربه بحديدة معه وضرب المصحف برجله فاستدار (الطبرى ٥ : ١٣٠) وبعد قتل عثمان بقيت المدينة خمسة أيام وأميرها الغافقى بن حرب (الطبرى ٥ : ١٥٥)

(٢) وهذا أيضاً كان من قنائص ابن سبأ فى مصر . ولما أرسل عثمان عماراً إلى مصر ليكتشف له أمر الاشاعات وحقيقة الحال ، استماله السبأيون ،

وسودان بن حمران (١) ،

= وكان كنانة بن بشر هذا واحدا منهم (الطبرى ٥ : ٩٩) . وعند ما جمعوا أوشاب القبائل للزحف على المدينة بحيلة الحج فى شوال سنة ٣٥ انقسموا فى مصر إلى أربع فرق على كل فرقة أمير ، وكان كنانة بن بشر أميرا على احدى هذه الفرق (الطبرى ٥ : ١٠٣) ثم كان فى طليعة من اقتحم الدار على عثمان وبيده شعلة من نار تنضح بالنفط ، فدخل من دار عمرو بن حزم ودخلت الشعل على أثره (الطبرى ٥ : ١٢٣) ، ووصل كنانة التجيبى إلى عثمان فأشعره مشقصاً (أى نصلا طويلا عريضاً) فانتضح الدم على آية ﴿ فسيكفيكهم الله ﴾ (الطبرى ٥ : ١٢٦) وقطع يد نائلة زوجة عثمان واتكأ بالسيف على صدر عثمان وقتله (الطبرى ٥ : ١٣١) ، قال محمد بن عمر الواقدى : حدثنى عبد الرحمن بن أبى الزناد المدنى ، عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى المدنى المتوفى سنة ٤٣ قال : الذى قتل أمير المؤمنين عثمان هو كنانة ابن بشر بن عتاب التجيبى (الطبرى ٥ : ١٣٢) . وفيه يقول الوليد بن عقبة ابن أبى معيط :

ألا إن خير الخلق بعد ثلاثة قتيل التجيبى الذى جاء من مصر

وكانت عاقبة كنانة هذا وقوعه قتيلا فى الحرب التى نشبت سنة ٣٨ فى مصر بين محمد بن أبى بكر الصديق نائب على وبين عمرو بن العاص ومن معه من جيش معاوية بن حديج السكونى (الطبرى ٦ : ٥٨ - ٥٩ و ٦٠)

(١) السكونى ، من قبائل مراد اليمنية النازلة فى مصر. وقد تقدم فى هامش ص ١١٢ أنه كان فى سنة ١٤ - أحد الذين قدموا فى خلافة عمر للجهاد مع جيوش اليمن بقيادة حصين بن نمير ومعاوية بن حديج ، فلما استعرضهم أمير المؤمنين وقع نظره على سودان بن حمران هذا وعلى زميله خالد بن ملجم فتشاءم منهما وكرههما . ولما أرسل أمير المؤمنين عثمان عماراً إلى مصر ليكتشف له مصدر الاشاعات الكاذبة وحقيقة الحال التف السبأيون بعمار وكان =

وعبد الله بن بُدَيل بن ورقاء الخزاعي (١) ،

سودان بن حمران منهم (الطبرى ٥ : ٩٩) . ولما سير السبأيون متطوعة الفتنة من أوشاب القبائل اليمنية التى فى مصر فى شوال سنة ٣٥ نحو المدينة وجعلوهم أربع فرق كان سودان قائد إحدى هذه الفرق (الطبرى ٥ : ١٠٣) ، ولما وصل متطوعة الفتنة إلى المدينة وخرج لهم محمد بن مسلمة ليعظم لهم حق عثمان وما فى رقابهم من البيعة له رآهم ينقادون لأربعة هذا واحد منهم (الطبرى ٥ : ١١٨) . وفى ٥ : ١٣١ من تاريخ الطبرى وصف تسوّر سودان ومعه آخرون من دار عمرو بن حزم إلى دار عثمان . وفى ٥ : ١٣٠ بعض تفاصيل ما وقع من سودان عند ارتكابهم الجناية العظمى . ولما انتهوا من قتل أمير المؤمنين خرج سودان من الدار وهو ينادى : قد قتلنا عثمان بن عفان (الطبرى ٥ : ١٢٣)

(١) كان أبوه رجلا مسناً من مسلمة الفتح . وورد ذكر عبد الله بن بديل فى الفتنة العظمى على أمير المؤمنين عثمان ، فذكر الطبرى (٥ : ١٢٤ - ١٢٥) أن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفى حليف بنى زهرة خرج هو وعبد الله ابن الزبير ومروان وغيرهم يدافعون عن أمير المؤمنين على باب الدار ، فحمل عبد الله بن بديل على الأخنس بن شريق وقتله . ونقل الحافظ ابن حجر فى ترجمته فى الاصابة (٢ : ٢٨٠) عن ابن الكلبى أن عبد الله بن بديل وأخاه عبد الرحمن شهدا صفين مع على وقتلا بها . والظاهر أن أخاه قتل قبله ، فقد نقل ابن حجر (فى الاصابة ٢ : ٢٨١) عن ابن اسحاق فى كتاب الفردوس أن عبيد الله بن عمر بن الخطاب لما قدم الكوفة - أى مع جيش أهل الشام - لقى عبدالله بن بديل ، فنصح له ابن بديل بأن لا يهرق دمه فى هذه الفتنة . فاعتذر عبيد الله بن عمر بأنه يطلب بدم أمير المؤمنين عثمان الذى قتل ظلما ، واعتذر ابن بديل بأنه يطلب بدم أخيه الذى قتل ظلما . وكيف يكون أخوه قتل ظلماً وقد قتل فى فتنة تطوع للمساهمة فيها مختاراً ، بينما عثمان وهو أمير المؤمنين الذى =

وحُكيم بن جبلة من أهل البصرة (١) ،

= له حق الولاية عليهم كان مبغيا عليه من ابن بديل وأمثاله ومن هم أقل منه شأناً ومع ذلك لم يقاتل أحداً ، ولم يدافع عن نفسه ، ونهى الناس عن أن يدافعوا عنه أوباشاً قدموا الى مدينة الرسول ﷺ من مختلف البلاد ليرتكبوا الشر والاثم . وأين عثمان الذى ملأت حسناته الأرض والسماء ، من عبد الرحمن ابن بديل الذى لا يكاد يعرف له التاريخ عملا

(١) حُكيم بن جبلة العبدى من قبائل عبد القيس ، أصلهم من عُمان وسواحل الخليج الفارسى ، وتوطن بالبصرة بعد تمصيرها . وكان حكيم هذا شاباً شجاعا ، وكانت الجيوش الاسلامية التى تزحف نحو الشرق لنشر الدعوة والفتوح تصدر عن البصرة والكوفة ، فكان حكيم بن جبلة يرافق هذه الجيوش ، ويجازف فى بعض حملات الخطر ، كما تفعل كتائب (الكوماندوس) فى هذا العصر . وقد استعملته جيوش أمير المؤمنين عثمان فى إحدى هذه المهمات عند محاولتها استكشاف الهند كما نوهتُ بذلك فى مقالة (طلائع الاسلام فى الهند) . ويؤكد شيوخ سيف بن عمر التميمى (وهو أعرف المؤرخين بتاريخ العراق) على مانقله عنه الطبرى (٥ : ٩٠) أن حكيم بن جبلة كان إذا قفلت الجيوش خنس عنهم فسعى فى أرض فارس فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد فى الأرض ويصيب ماشاء ثم يرجع . فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة الى عثمان ، فكتب عثمان الى عبد الله بن عامر أن احبسه ومن كان مثله فلا يخرجن من البصرة حتى تأنسوا منه رشدا ، فحبسه (أى منعه من مبارحة البصرة) . فلما قدم عبد الله بن سبأ البصرة نزل على حكيم بن جبلة ، واجتمع اليه نفر ، فنفث فيهم سمومه . فاخرج ابن عامر عبد الله بن سبأ من البصرة ، فأتى الكوفة فأخرج منها ، ومن هناك رحل ابن سبأ الى الفسطاط ولبث فيه وجعل يكاتبهم ويكاتبونه ويختلف الرجال بينهم . وذكر الطبرى (٥ : ١٠٤) أن السبأية لما قرروا الزحف من الأمصار على مدينة الرسول =

ومالك بن الحارث الأشتر [١] فى طائفة هؤلاء رءوسهم ، فناهيك بغيرهم

= ﷺ كان عدد من خرج منهم من البصرة كعدد من خرج من مصر ، وهم مقسمون كذلك الى أربع فرق ، والامير على إحدى هذه الفرق حكيم بن جبلة ونزلوا فى المدينة فى مكان يسمى ذا خشب . ولما حصبوا أمير المؤمنين عثمان وهو يخطب على المنبر النبوى كان حكيم بن جبلة واحداً منهم (الطبرى ٥ : ١٠٦) . ولما رحل الثوار عن المدينة فى المرة الاولى بعد مناقشتهم لعثمان وسماعهم دفاعه واقتناعهم ، تخلف فى المدينة الاشتر وحكيم بن جبلة (الطبرى ٥ : ١٢٠) وفى ذلك شبهة قوية بأن لهما دخلا فى افتعال الكتاب المزور على أمير المؤمنين . ولما جاءت عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة وأوشكوا أن يتفاهموا مع أمير المؤمنين على على رد الأمور إلى نصابها كان حكيم بن جبلة هو الذى أنشب القتال لئلا يتم التفاهم والاتفاق (الطبرى ٥ : ١٧٦ وما بعدها) . وارتكب دناءة قتل امرأة من قومه سمعته يشتم أم المؤمنين عائشة فقالت له : يا ابن الخبيثة أنت أولى بذلك فطعنها فقتلها (الطبرى ٥ : ١٧٩) وحينئذ تخلى قومه عن نصرته إلا الأغمار منهم ، وما زال يقاتل حتى قطعت رجله ، ثم قتل وقتل معه كل من كان فى الوقعة من البغاة على عثمان ، ونادى منادى الزبير وطلحة بالبصرة : « ألا من كان فيكم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم » فجيء بهم كما يجاء بالكلاب فقتلوا . فما أفلت منهم إلا حرقوص بن زهير السعدى من بنى تميم (الطبرى ٥ : ١٨٠) . روى عامر ابن حفص عن أشياخه قال : ضرب عنقَ حكيم بن جبلة رجل من الحدّان يقال له ضخيم فمال رأسه فتعلق بجلده فصار وجهه فى قفاه (الطبرى ٥ :١٨٢)

(١) من النخَع ، وهى قبيلة يمنية من قبائل مَذحِج . بطل شجاع من أبطال العرب ، كان أول مشاهده الحربية فى اليرموك ، وفيها فقد إحدى عينيه . ثم شاء الله أن يكون سيفه مسلولا على إخوانه المسلمين فى مواقف =

الفتنـة . ولو أنه لم يَكن ممن ألسَّب على أمير المؤمنين عثمان ، وكتب الله أن تكون وقائعه الحربية فى نشر دعوة الاسلام وتوسيع الفتوح ، لكان له فى التاريخ شأن آخر . والذى دفعه فى هذا الطريق غلوه فى الدين وحبه للرئاسة والجاه ولست أدرى كيف اجتمعا فيه . والأشتر أحد الذين اتخذوا الكوفة دار إقامة لهم ، فلما كانت إمارة الوليد بن عقبة على الكوفة كان الأشتر يشعر فى نفسه بأنه أهل للولاية والرئاسة ، فانزلق مع العائبين على الدولة ورجالها من الخليفة الأعلى فى المدينة إلى عامله على الكوفة الوليد بن عقبة . ولما سرق أبو زينب وأبو مورع خاتم الوليد من منزله وذهبا به الى المدينه فشهدا على الوليد بشرب الخمر كما تقدم فى ص ٩٦ أسرع الأشتر وآخرون معه بالذهاب إلى المدينة لتوسيع دائرة الفتنة ، حتى إذا عزل عثمان الوليد بسعيد بن العاص عاد الأشتر مع سعيد إلى الكوفة (الطبرى ٥:٦٣) . وكان عثمان قد سنّ نظام مبادلة الأراضى ، فمن كانت له أرض من الفىء فى مكان بعيد عنه يبادل عليها بأرض قريبة منه بالتراضى بين المتبادلين . وبهذه الطريقة تخلى طلحة بن عبيد الله عن أسهمه فى خيبر واشترى بها من فىء أهل المدينة بالعراق أرضاً يقال لها النشاستج (الطبرى ٥ : ٦٤) . وبينما كان سعيد ابن العاص فى دار الامارة بالكوفة والناس عنده أثنى رجل على طلحة بن عبيد الله بالجود ، فقال سعيد بن العاص : لو كان لى مثل أرض النشاستج لأعاشكم الله عيشاً رغداً . فقال له عبد الرحمن بن خنيس الأسدى : وددت لو كان هذا الملطاط لك . والملطاط أرض على جانب الفرات كانت لآل كسرى. فغضب الأشتر وأصحابه وقالوا للأسدى : تتمنى له من سوادنا ؟! فقال والده : ويتمنى لكم أضعافه . فثار الأشتر وصحبه على الأسدى وأبيه وضربوهما فى مجلس الامارة حتى غشى عليهما . وسمعت بذلك بنو أسد فجاءوا وأحاطوا بالقصر ليدافعوا عن رجليهما ، فتلافى سعيد بن العاص هذه الفتنة بحكمته ، ورد بنى أسد عن الأشتر وجماعته . وكتب أشراف الكوفة وصلحاؤها

وقد كانوا أثاروا فتنة ، فأخرجهم عثمان بالاجتهاد ، وصاروا فى

= إلى عثمان فى إخراج هؤلاء المشاغبين من بلدهم ، فأرسلهم الى معاوية فى الشام (الطبرى ٥ : ٨٥ - ٨٦) ثم أخرجهم معاوية فنزلوا جزيرة ابن عمر تحت حكم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد إلى أن تظاهروا بالتوبة ، فذهب الأشتر الى المدينة ليرفع الى عثمان توبتهم ، فرضى عنه عثمان وأباح له الذهاب حيث شاء فاختار العودة إلى زملائه الذين عند عبد الرحمن بن خالد ابن الوليد فى الجزيرة (الطبرى ٥ : ٨٧ - ٨٨) . وفى الوقت الذى كان فيه الأشتر يعرض على عثمان توبته وتوبة زملائه وذلك فى سنة ٣٤ كان السبأيون فى مصر يكاتبون أشياعهم فى الكوفة والبصرة بأن يثوروا على أمرائهم واتعدوا يوما ، فلم يستقم ذلك إلا لجماعة الكوفة ، فثار بهم يزيد بن قيس الأرحبي (الطبرى ٥ : ١٠١) . ولما وصل الأشتر من المدينة إلى اخوانه الذين عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وجد بين أيديهم كتاباً من يزيد بن قيس الأرحبي يقول لهم فيه : لا تضعوا كتابى من أيديكم حتى تجيئوا . فتشاءموا من هذه الدعوة وآثروا البقاء ، وخالفهم الأشتر فرجع عاصياً بعد توبته ، والتحق بثوار الكوفة وقد نزلوا فى الجرعة مكان مشرف على القادسية ، وهناك تلقوا سعيد بن العاص أمير الكوفة وهو عائد من المدينة فردوه ، ولقى الأشتر مولى لسعيد بن العاص فضرب الأشتر عنقه . وبلغ عثمان أنهم يريدون إقالة سعيد بأبى موسى الأشعرى فأجابهم إلى ما طلبوا (الطبرى ٥ : ٩٣ - ٩٤) . ولما فشل موعد سنة ٣٤ واقتصرت الفتنة على ما كان فى الجرعة ، اتعد السبأيون للسنة التى بعدها (سنة ٣٥) ورتبوا أمرهم على التوجه إلى المدينة مع الحجاج كالحجاج ، وكان الأشتر مع خوارج الكوفة رئيساً على فرقة من فرقهم الأربع (الطبرى ٥ : ١٠٤) . وبعد وصولهم الى المدينة ناقشهم أمير المؤمنين عثمان وبين لهم حجته فى كل ما كانوا يظنونه فيه ، فاقتنع جمهورهم بذلك وحملوا رؤساء الفتنة على الرضا بأجوبة عثمان وارتحلوا =

جماعتهم عند معاوية(١) ، فذكرهم بالله وبالتقوى لفساد الحال وهتك حرمة

= من المدينة للمرة الأولى . إلا أن الأشتر وحكيم بن جبلة تخلفا فى المدينة ولم يرتحلا معهم (الطبرى ٥ : ١٢٠) . ولما وصل المصريون إلى مكان يسمى البويب اعترضهم راكب مثل لهم دور حامل الكتاب المزعوم ، وسيأتى الحديث عن ذلك فى ص ١٢٦ . ونقل الطبرى (٥ : ١٩٤) أن الأشتر كان فى مؤتمر السبأيين الذى عقدوه قبيل ارتحال على من الكوفة إلى البصرة للتفاهم مع طلحة والزبير وعائشة . فقرر السبأيون فى مؤتمرهم هذا أن ينشبوا الحرب بين الفريقين قبل أن يصطلحا عليهم . وفى وقعة الجمل اصطرع عبد الله بن الزبير والأشتر واختلفا ضربتين وقال عبد الله بن الزبير كلمتـــه المشهورة : « اقتلونى ومالكا » فافلت منه الأشتر ، روى الطبرى (٥ : ٢١٧) عن الشعبى أن الناس كانوا لا يعرفون الأشتر باسم مالك ، ولو قال ابن الزبير « اقتلونى والأشتر » وكانت للأشتر ألف ألف نفس ما نجا منها شىء ، وما زال يضطرب فى يدى ابن الزبير حتى أفلت . وروى الطبرى (٥ : ١٩٤) أن علياً لما فرغ من البيعة بعد وقعة الجمل واستعمل عبد الله بن عباس على البصرة بلغ الأشتر الخبر باستعمال علىّ ابن عباس فغضب وقال : « على ما قتلنا الشيخ إذن ؟ ! اليمن لعبيد الله ، والحجاز لقثم ، والبصرة لعبد الله ، والكوفة لعلى ! » ثم دعا بدابته فركب راجعا . وبلغ ذلك علياً فنادى : الرحيل ! ثم أجد السير فلحق به فلم يُره أنه بلغه عنه وقال : « ما هذا السير ؟ سبقتنا ! » . وخشى إن تركه والخروج أن يوقع فى نفس الناس شرا . ثم اشترك الأشتر فى حرب صفين . وولاه علىّ إمارة مصر بعد صرف قيس بن سعد بن عبادة عنها . فلما وصل القلزم (السويس) شرب شربة عسل فمات ، فقيل إنها كانت مسمومة ، وكان ذلك سنة ٣٨ (الاصابة ٣ : ٤٨٢)

(١) أثاروا الفتنة يوم ضربوا عبد الرحمن بن خنيس الأسدى وأباه وهم فى دار الامارة بالكوفة ، فكتب أشراف الكوفة وصلحاؤها إلى عثمان =

الأمة (١) ، حتى قال له زيد بن صوحان ـ فيما يروى (٢) ـ : « كم تكثر علينا بالإمرة وبقريش ، فما زالت العرب تأكل من قوائم سيوفها وقريش تجار (٣) » . فقال له معاوية : « لا أم لك . أذكرك بالاسلام وتذكرنى بالجاهلية ! قبح الله من كثر على أمير المؤمنين بكم ، فما أنتم ممن ينفع أو يضر . اخرجوا عنى (٤) »

= باخراجهم إلى بلد آخر ، فسيرهم إلى معاوية فى الشام . والذين سُيروا إلى معاوية هم : الأشتر النخعى ، وابن الكوا اليشكرى ، وصعصعة بن صوحان العبدى ، وأخوه زيد ، وكميل بن زياد النخعى ، وجندب بن زهير الغامدى ، وجندب بن كعب الأزدى ، وثابت بن قيس بن منقع ، وعروة بن الجعد البارق ، وعمرو بن الحمق الخزاعى

(١) نص كلام معاوية كما رواه الطبرى (٥ : ٨٦) : « انكم قوم من العرب، لكم أسنان وألسنة ، وقد أدركتم بالاسلام شرفا ، وغلبتم الأمم ، وحويتم مراتبهم ومواريثهم . وقد بلغنى أنكم نقمتم قريشاً ، وإن قريشاً لو لم تكن عدتم أذلة كما كنتم . إن أئمتكم لكم إلى اليوم جُنة ، فلا تسدوا عن جنتكم . وإن أئمتكم اليوم يصبرون لكم على الجور ، ويحتملون منكم المؤونة . والله لتنتهن أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم ثم لايحمدكم على الصبر ، ثم تكونون شركاءهم فيما جررتم على الرعية فى حياتكم وبعد موتكم »

(٢) بل القائل أخوه صعصعة

(٣) وقال أيضا لمعاوية : « وأما ما ذكرت من الجنة ، فان الجنة إذا اخترقت خلص الينا » أى إذاقتلنا ولاتنا صارت الولاية الينا . ولو أن هذه الكلمة قالها ثائر وهو فى قبضة حاكمه ـ منذ بدأت الحكومات إلى أن تقوم الساعة ـ ما وجد من حاكمه حلماً وسعة صدر كالذى وجده صعصعة من معاوية

(٤) وجواب معاوية على كلام صعصعة فى وصف قريش ومكانتها طويل ونفيس ، وقد أورده الطبرى (٥ : ٨٦)

وأخبره ابن الكوا بأهل الفتنة فى كل بلد ومؤامرتهم (١) ، فكتب إلى عثمان يخبره بذلك ، فأرسل اليه بإشخاصهم اليه فأخرجهم معاوية (٢) ، فردّوا بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد (٣) ، فحبسهم ، ووبخهم ؛ وقال لهم : « اذكروا ما كنتم تذكرون لمعاوية (٤) » . وحصرهم ، وأمشاهم بين

---

(١) قال ابن الكوا فيما نقله الحافظ ابن عساكر فى ترجمته من تاريخ دمشق (٧ : ٢٩٩) وأبو جعفر الطبرى فى تاريخه (٥ : ٩٢) يصف لمعاوية أهل الأحداث من أهل الأمصار : « أما أهل الأحداث من أهل المدينة فهم أحرص الأمة على الشر ، وأعجزهم عنه . وأما أهل الأحداث من أهل الكوفة فانهم أنظر الناس فى صغير ، وأركبه لكبير . وأما أهل الأحداث من أهل البصرة فانهم يردون جميعا ويصدرون شتى . وأما أهل الأحداث من أهل مصر فهم أوفى الناس بشر ، وأسرعه ندامة . وأما أهل الأحداث من أهل الشام فأطوع الناس لمرشدهم ، وأعصاه لمغويهم »

(٢) وكتب فيهم الى عثمان : « انه قدم علىّ أقوام ليست لهم عقول ولا أديان . أثقلهم الاسلام ، وأضجرهم العدل . لايريدون الله بشىء ، ولا يتكلمون بحجة . إنما همهم الفتنة ، وأموال أهل الذمة . والله مبتليهم ومختبرهم ، ثم فاضحهم ومخزيهم . وليسوا بالذين ينكون أحداً إلا مع غيرهم . فانهَ سعيداً ومَن قِبله عنهم ، فانهم ليسوا لأكثر من شغب أو نكير » (الطبرى ٥ : ٨٧)

(٣) وكان يلى حمصاً لمعاوية ، ويتبعه منطقة الجزيرة حران والرقة

(٤) وذلك بعد قوله لهم : « يا آلة الشيطان ، لامرحباً بكم ولا أهل . وقد رجع الشيطان محسوراً وأنتم بعد نشاط . خسر الله عبدالرحمن إن لم يؤدبكم حتى يحسركم . يامعشر من لا أدرى أعرب أم عجم ، لكى لاتقولوا لى ما يبلغنى أنكم تقولون لمعاوية . أنا ابن خالد بن الوليد ، أنا ابن من عجمته العاجمات ، أنا ابن فاقىء الردّة . والله لئن بلغنى ياصعصعة بن ذل أن أحداً من معى دق أنفك ثم أمصك لأطيرن بك طيرة بعيدة المهوى » (الطبرى ٥ : ٨٧)

يديه أذلاء حتى تابوا بعد حول (١)

وكتب إلى عثمان بخبرهم ، فكتب اليه أن سرّحهم إلىّ . فلما مثلوا بين يديه جدّدوا التوبة ، وحلفوا على صدقهم ، وتبرأوا مما نسب اليهم (٢) وخيرهم حيث يسيرون ، فاختار كل واحد ما أراد من البلاد : كوفة ، وبصرة ، ومصر . فأخرجهم ، فما استقروا فى حيث ما ساروا حتى ثاروا وألّبوا ، حتى انضاف اليهم جمع (٣)

---

(١) كان كلما ركب أمشاهم ، فاذا مر به [صعصعة] قال : يا ابن الخطيئة ، أعلمت أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر ؟ مالك لا تقول كما كان يبلغنى أنك تقول لسعيد ومعاوية ؟ فيقول ، ويقولون : نتوب إلى الله ، أقلنا أقالك الله (الطبرى ٥ : ٨٧ - ٨٨)

(٢) الذى قدم إلى أمير المؤمنين عثمان فى المدينة هو الأشتر النخعى وحده ، وهو الذى ناب عن ابنى صوحان وابن الكوا والآخرين فى تجديد التوبة التى أعلنوها من قبل لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد . غير أن الفتنة لم تكن مقتصرة على هؤلاء ، بل كانت جرثومتها فى يد ابن سبأ الذى اختار الاقامة فى الفسطاط ، وكان لها جناح فى البصرة ، وللاشتر واخوانه بقية فى الكوفة . وبينما كان الاشتر يجدد توبته وتوبة اخوانه فى المدينة كان أعوان ابن سبأ يكاتبون البصرة والكوفة فى موعد يثبون فيه على ولاتهم ، فما رجع الأشتر بتوبته إلى اخوانه الذين كانوا عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد حتى وجد عندهم كتاباً من اخوانهم فى الكوفة يدعونهم للاشتراك فيما اتعدوا له ، فلم يبتهج بهذه الدعوة إلى الفتنة والشر إلا الأشتر الذى لم يكن قد نسى توبته بعد ، فأسرع إلى الكوفة وانضم إلى الفتنة التى تسمى فى التاريخ (يوم الجرَعة) وكان ذلك فى سنة ٣٤

(٣) لما أخفق السبأيون فى الوثوب على ولاتهم سنة ٣٤ فى الموعد الذى =

وساروا إليه (١) : على أهل مصر عبد الرحمن بن عديس البلوى (٢)،

= وقعت فيه فتنة يوم الجرعة ، اتعدوا لفتنة أخرى بمقياس أوسع يقومون بها فى العام التالى (سنة ٣٥) عند استعداد الحجاج لقصد الحرمين الشريفين من مصر والبصرة والكوفة ، فيذهب الحجاج للقيام بطاعة الله ، ويذهب دعاة الفتنة للمجاهرة بمعصية الله . وقد نظموا أنفسهم فى اثنتى عشرة فرقة : أربع فرق من مصر ، وأربع من البصرة ، وأربع من الكوفة . وفى كل فرقة نحو مائة وخمسين مفتوناً ، أى من كل بلد نحو ستمائة رجل.

(١) أى الى أمير المؤمنين عثمان فى مدينة الرسول ﷺ

(٢) فارس شاعر ، نزل مصر مع جيش الفتح ، ولم يعرف له فى سيرته شىء انفرد بالامتياز به غير اشتراكه فى هذه الفتنة ، مع دعواه أنه كان من الذين بايعوا تحت الشجرة . واظنه لم يكن من الرءوس المدبرين للفتنة ، ولكن مدبريها استغلوا ميله الى الرئاسة ، فاستفادوا من سنه ووجاهته بين فرسان القبائل العربية بمصر ، وولوه القيادة على احدى الفرق الأربع التى خرجت من مصر الى المدينة (وقادة الفرق الثلاث الأخرى : كنانة بن بشر التجيبى ، وسودان بن حمران السكونى ، وقتيرة السكونى . ورئيسهم الأعلى الغافقى بن حرب العكى) . وكان عبد الرحمن بن عديس فى مدة الحصار شديد الوطأة على امير المؤمنين عثمان واهل بيته . ثم كانت عاقبته القتل فى جبل الجليل بالقرب من حمص ، لقيه أحد الأعراب فلما اعترف له بأنه من قتلة عثمان بادر بقتله (معجم البلدان لياقوت : الجليل) وأخطأ من نسب ابن عديس الى تجيب ، فانه بلوى من قضاعة . أما تجيب بنت ثوبان المذحجية فلا ينسب اليها الا بنو ولديها سعد وعدى ابنى أشرس بن شبيب بن السكون من كندة ، وأين كندة من قضاعة !

وعلى أهل البصرة حُكيم بن جبلة (١) ، وعلى أهل الكوفة الاشتر مالك ابن الحارث النخعي (٢) . فدخلوا المدينة هلال ذى القعدة سنة خمس وثلاثين (٣)

فاستقبلهم عثمان . فقالوا : ادع بالمصحف . فدعا به . فقالوا : افتح التاسعة (٤) — يعنى يونس — فقالوا : اقرأ . فقرأ حتى انتهى الى قوله ﴿ آللهُ اذِنَ لكم أم على الله تفترون ﴾ قالوا له : قف . قالوا له : أرأيت ماحميتَ من الحمى ، أ ذنَ الله لك أم على الله افتريت ؟ قال : امضه ، إنما نزلت فى كذا . وقد حمى عمر ، وزادت الإبل فزدتُ (٥)

---

(١) تقدم التعريف به فى ص ١١٥ — ١١٦ . وهو أمير احدى الفرق الأربع البصرية (والثلاثة الآخرون : ذريح بن عباد العبدى ، وبشر بن شريح « الحطم » ، وابن المحرش الحنفى . ورئيسهم الاعلى حرقوص بن زهير السعدى)

(٢) تقدم التعريف به فى ص ١١٦ — ١١٩ . وهو أمير إحدى الفرق الأربع الكوفية (والثلاثة الآخرون . زيد بن صوحان العبدى ، وزياد ابن النضر الحارثى ، وعبد الله بن الاصم . ورئيسهم الأعلى عمرو بن الأصم)

(٣) نزلوا خارج المدينة على ثلاث مراحل منها ، ثم تقدم ثوار البصرة فنزلوا فى ذى خشب ، ونزل ثوار الكوفة الاعوص ، ونزل عامتهم بذى المروة

(٤) كذا فى المطبوعة الجزائرية (٢ : ١١٧) ولعله خطأ صوابه « السابعة » كما فى تاريخ الطبرى (٥ : ١٠٧) ، ويقال ان ذلك ترتيب سورة يونس فى مصحف ابن مسعود على مافى الفهرست لابن النديم ص ٣٩ طبع مصر

(٥) تقدم الكلام على الحمى فى ص ٧٢ - ٧٣ بقدر ما يحتمل هذا المختصر

فجعلوا يتبعونه هكذا ، وهو ظاهر عليهم . حتى قال لهم : ماذا تريدون ؟

فأخذوا ميثاقه ، وكتبوا عليه ستاً أو خمساً [١] : أن المنفى يعاد ، والمحروم يعطى ، ويوفر الفيء ، ويعدل فى القسم ، ويستعمل ذوو الأمانة والقوة . فكتبوا ذلك فى كتاب . وأخذ عليهم أن لايشقوا عصا ، ولا يفرقوا جماعة . ثم رجعوا راضين [٢] . وقيل أرسل إليهم علياً فاتفقوا على الخمس المذكورة ورجعوا راضين . فبينما هم كذلك [٣] ، إذا راكب

---

(١) أى اشترطوا عليه ستة شروط أو خمسة فى المعانى الآتية

(٢) كان الزاحفون من أمصارهم على مدينة الرسول ﷺ فريقين : رؤساء خادعين على درجات متفاوتة ، ومرءوسين مخدوعين ، وهم الكثرة التى بثت فيها دعايات مغرضة حتى ظنت أن هنالك منفيين مظلومين ومحرومين سلبوا حقهم .. الخ . وقد رأيت فى ص ٥٤ - ٥٥ شهادة أصدق شاهدين فى العراق حينئذ وهما الحسن البصرى وصنوه ابن سيرين عن وفرة الأعطيات والأرزاق وأنواع الخيرات حتى كان منادى عثمان ينادى بدعوة الناس لها فلا يمنع عنها أحد . ورأيت فى ص ١٠٠ شهادة الامام الشعبى عن تعميم الرزق والخير حتى الى الاماء والعبيد . ولما أصغى عامة الثائرين إلى أجوبة عثمان وعرفوا الحقيقة اقتنعوا ورجعوا وكان رجوعهم من طريقين مختلفين باختلاف اتجاه أمصارهم ، فالمصريون اتجهوا شمالا لغرب ليسايروا ساحل البحر الأحمر الى السويس ومصر ، والعراقيون من بصريين وكوفيين اتجهوا شمالا لشرق منجدين ليبلغوا البصرة والكوفة من أرض العراق

(٣) أى فبينما العراقيون من بصريين وكوفيين فى طريقهم نحو الشرق الى الشمال ، والمصريون فى طريقهم نحو الغرب الى الشمال ، وبين الفريقين مراحل بعيدة لانهما تقدما فى السير والمسافة تزداد بعداً بينهما

يتعرض لهم (١) ، ثم يفارقهم مرارا (٢). قالوا : مالك ؟ قال : أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر (٣) ففتشوه ، فاذا هم بالكتاب على لسان عثمان عليه خاتمه إلى عامل مصر أن يصلبهم ويقطع أيديهم وأرجلهم (٤)

---

(١) أى للمصريين وحدهم

(٢) ولا يتعرض لهم ثم يفارقهم إلا ليلفت أنظارهم اليه ، ويثير شكوكهم فيه . وهذا ما أراده مستأجرو هذا الرجل لتمثيل هذا الدور ، ومدبرو هذه المكيدة لتجديد الفتنة بعد أن صرفها الله وأراح المسلمين من شرورها . ولا يعقل أن يكون تدبير هذا الدور التمثيلى صادراً عن عثمان أو مروان أو أى انسان يتصل بهما ، لأنه لا مصلحة لهما فى تجديد الفتنة بعد أن صرفها الله ، وإنما المصلحة فى ذلك للدعاة الاولين الى إحداث هذا الشغب ، ومنهم الأشتر وحكيم بن جبلة اللذان لم يسافرا مع جماعتهما الى بلديهما ، بل تخلفا فى المدينة (الطبرى ٥ : ١٢٠) ولم يكن لهما أى عمل يتخلفان فى المدينة لأجله إلا مثل هذه الخطط والتدابير التى لا يفكران فى غيرها

(٣) وقد صرحوا بأنه عبد الله بن سعد بن أبى سرح (الطبرى ٥ : ١٢٠) ولا يعقل أن يكتب اليه عثمان أو مروان ، لأنه كان عقب خروج الثوار من مصر متوجهين الى المدينة كتب الى عثمان يستأذنه بالقدوم عليه (الطبرى ٥ : ١٢٢) ، وخرج بالفعل من مصر نحو العريش وفلسطين وأيلة (العقبة) وتغلب محمد بن أبى حذيفة على الحكم فى مصر ، وهو عدو لله ورسوله ، وخارج على خليفة المسلمين . فكيف يكتب عثمان أو مروان الى عبد الله ابن سعد وعندهما كتابه الذى يستأذن به فى القدوم الى المدينة ؟

(٤) الأخبار التى جاء فيها أن الراكب غلام عثمان ، وأن الجمل جمل الصدقة ، وأن عثمان اعترف بذلك ، كلها أخبار مرسلة لا يعرف قائلها أو مكذوبة أذاعها رواة مطعون فى صدقهم وأمانتهم . ومضمون الكتاب =

فاقبلوا حتى قدموا المدينة (١) ، فأتوا علياً فقالوا له : ألم تر إلى عدو الله

= اضطربت الروايات فيه ، ففي بعض الروايات « إذا قدم عليك عبد الرحمن بن عديس فاجلده مائة واحلق رأسه ولحيته وأطل حبسه حتى يأتيك أمري . وعمرو بن الحمق فافعل به مثل ذلك . وسودان بن حمران مثل ذلك . وعروة بن النباع الليثي مثل ذلك » وفي رواية « اذا أتاك محمد بن أبي بكر الصديق ـ وفلان وفلان ـ فاقتلهم وأبطل كتابهم وقر على عملك حتى يأتيك رأيي » وفي رواية ثالثة أن مضمون الكتاب أمر عامله بالقتل والقطع والصلب على هؤلاء الثوار . وهذا الاختلاف في مضمون كتاب واحد مما يزيد الريبة في أمره

(١) وأعجب العجب أن قوافل الثوار التي كانت متباعدة في الشرق والغرب عادت معاً الى المدينة في آن واحد ، أي أن قوافل العراقيين التي كانت بعيدة مراحل متعددة عن قوافل المصريين علمت بالرواية المسرحية في الساعة التي مثلت فيها في البويب فرجعت الى المدينة وقت رجوع المصريين ووصلتا إلى المدينة معاً كأنما كانوا على ميعاد . ومعنى هذا أن الذين استأجروا الراكب ليمثل دور حامل الكتاب أمام قوافل المصريين استأجروا راكباً آخر خرج من المدينة معه قاصداً قوافل العراقيين ليخبرهم بأن المصريين اكتشفوا كتاباً بعث به عثمان إلى عبد الله بن سعد في مصر بقتل محمد بن أبي بكر . قال الطبري (٥ : ١٠٥) . فقال لهم علي : « كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا ؟ هذا والله أمر أبرم بالمدينة » (يشير كرم الله وجهه إلى تخلف الأشتر وحكيم في المدينة ، وأنهما هما اللذان دبرا هذه المسرحية) . قال الثوار العراقيون : « فضعوه على ما شئتم . لا حاجة لنا إلى هذا الرجل . ليعتزلنا » وهذا تسليم منهم بأن قصة الكتاب مفتعلة ، وأن الغرض الأول والأخير هو خلع أمير المؤمنين عثمان وسفك دمه الذي عصمه الله بشريعة رسوله ﷺ

كتب فينا بكذا ؟ وقد أحل الله دمه . قالوا له : فقم معنا إليه . قال : والله لا أقوم معكم . قالوا . فلمَ كتبتَ إلينا ؟ قال : والله ما كتبت اليكم . فنظر بعضهم الى بعض (١) . وخرج علىٌّ من المدينة

(١) الطبرى (٥ : ١٠٨) . وهذا الحوار بين على والثوار مجمع عليه فى كل الروايات . وهو نص قاطع على أن اليد التى زورت الكتاب على عثمان وبعثت الى العراقيين تخبرهم بذلك وتطلب منهم أن يعودوا الى المدينة ، هى اليد التى زوّرت على على كتاباً الى الثوار العراقيين بأن يعودوا . وقد قلنا فى ص١٢٥ إن الثوار فريقان ـ خادع ومخدوع ـ فالذين نظر بعضهم الى بعض عندما حلف على بأنه لم يكتب اليهم هم من الفريق المخدوع يتعجب كيف لم يكتب على اليهم وقد جاءهم كتابه ، ومن ذا الذى يكون قد كتب الكتاب على لسانه إن لم يكن هو الذى كتبه ؟ وسيأتى قريباً أن مسروق بن الاجدع الهمدانى (وهو من الأئمة الأعلام المقتدى بهم) عاتب أم المؤمنين عائشة بأنها كتبت الى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان ، وأقسمت له بالله الذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون أنها ما كتبت اليهم سواداً فى بياض . قال سليمان بن مهران الأعمش ـ أحد الأئمة الأعلام الحفاظ ـ : « فكانوا يرون أنه كتب على لسانها » . أيها المسلمون فى هذا العصر وفى كل عصر ، إن الأيدى المجرمه التى زورت الرسائل الكاذبة على لسان عائشة وعلى وطلحة والزبير هى التى رتبت هذا الفساد كله ، وهى التى طبخت الفتنه من أولها إلى آخرها ، وهى التى زورت الرسالة المزعومة على لسان أمير المؤمنين عثمان الى عامله فى مصر فى الوقت الذى كان يعلم فيه أنه لم يكن له عامل فى مصر ، وقد زورت هذه الرسالة على لسان عثمان بالقلم الذى زورت به رسالة أخرى على لسان على ، كل ذلك ليرتد الثوار الى المدينة بعد أن اقتنعوا بسلامة موقف خليفتهم ، وأن ما كان أشيع عنه كذب كله ، وانه كان يتصرف فى كل أمر بما كان يراه حقاً وخيرا . ولم يكن صهر =

فانطلقوا إلى عثمان فقالوا له : كتبت فينا كذا . قال لهم إما أن تقيموا اثنين من المسلمين ، أو يميني - كما تقدم ذكره - فلم يقبلوا ذلك منه (١) . ونقضوا عهده (٢) وحصروه

وقد روى أن عثمان جيء اليه بالاشتر ، فقال له : يريد القوم منك إما أن تخلع نفسك ، أو تُقِصّ منها ، أو يقتلوك . فقال أما خلعي ، فلا أترك أمة محمد بعضها على بعض . وأما القصاص ، فصاحباي قبلي لم يقصّا من أنفسهما ، ولا يحتمل ذلك بدني (٣)

وروى أن رجلا قال له : نذرت دمك . قال : خذ جبتي . فشرط فيها شرطة بالسيف أراق منه دمه ، ثم خرج الرجل وركب راحلته وانصرف في الحين (٤)

= رسول الله ﷺ المبشر منه بالشهادة والجنة هو المجنى عليه وحده بهذه المؤامرة السبأية الفاجرة ، بل الاسلام نفسه كان مجنياً عليه قبل ذلك . والأجيال الاسلامية التي تلقت تاريخها الطاهر الناصع مشوّهاً ومحرّفاً هي كذلك ممن جنى عليهم ذلك اليهودي الخبيث ، والمنقادون له بخطام الأهواء والشهوات

(١) لأنهم ما جاءوا ليقبلوا حقاً أو يرجعوا إلى شرع ، وإنما جاءوا ليخلعوه أو يسفكوا دمه

(٢) الذي تقدم في ص ١٢٥ أنهم قطعوه على أنفسهم بأن لا يشقوا عصا ولا يفرقوا جماعة

(٣) هذا الخبر في تاريخ الطبري (٥ : ١١٧ - ١١٨) ، وفي البداية والنهاية (٧ : ١٨٤) ، وفي أنساب الأشراف للبلاذري (٥ : ٩٢)

(٤) هذا الخبر في كتاب (التمهيد) للامام أبي بكر الباقلاني ص ٢١٦ . وأعجب من ذلك مارواه الطبري (٥ : ١٣٧ - ١٣٨) أن عمير بن ضابيء =

ولقد دخل عليه ابن عمر ، فقال [له عثمان] : انظر مايقول هؤلاء ، يقولون : اخلع نفسك أو نقتلك . قال له [ابن عمر] : أمخلد أنت فى الدنيا ؟ قال : لا . قال : هل يزيدون على أن يقتلوك ؟ قال : لا . قال : هل يملكون لك جنة أو ناراً ؟ قال : لا . قال فلا تخلع قميص الله عنك ، فتكون سنّة ، كلما كره قوم خليفتهم خلعوه أو قتلوه (١)

= البرجمى وكميل بن زياد النخعى حضرا إلى المدينة ليغتالا عثمان تنفيذاً لقرار اتخذوه فى الكوفة مع بقية عصابتهم ، فلما وصلا إلى المدينة نكل عمير ، وترصد كميل للخليفة حتى مرّ به ، فلما التقيا ارتاب منه عثمان ، ووجأ وجهه فوقع على استه ، فقال لعثمان : أوجعتنى يا أمير المؤمنين . قال عثمان : أولست بفاتك ؟! قال : لا والله الذى لا إله إلا هو . فاجتمع الناس وقالوا : نفتشه يا أمير المؤمنين . فقال : لا . قد رزق الله العافية ، ولا أشتهى أن أطلع منه على غير ما قال . ثم قال لكميل : « إن كان كما قلتَ فاقتد منى (وجئا) فوالله ما حسبتك إلا تريدنى » . وقال : « إن كنت صادقاً فأجزل الله ، وإن كنت كاذباً فأذلّ الله » وقعد له على قدميه وقال « دونك ! » فقال كميل : « تركتُ » . أيها القارىء الكريم ، إن هذا الموقف ليس موقف خليفة فضلا عمن دونه ، بل هو موقف المتخلقين بأخلاق الأنبياء . على أن الله يمهل ولا يهمل . فقد جاء الحجاج بعد أربعين سنة فقتل ضابئاً وقتل كميلا بما أراداه فى هذا الحادث من الفتك برجل خلق قلبه من رحمة الله ، و« إن الله ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته »

(١) أورد البلاذرى هذا الخبر فى أنساب الأشراف (٥ : ٧٦) من حديث نافع عن ابن عمر . وقبل أن يفتى ابن عمر لخليفته بذلك ويدعوه إلى هذه التضحية النبيلة ، كان عثمان على بينة من ذلك ونور من الله ، فقد أخرج ابن ماجه فى مقدمة سننه (الباب ١١ ج ١ ص ٢٨) من حديث النعمان بن بشير عن أم المؤمنين عائشة أن رسول الله ﷺ قال لعثمان : « يا عثمان =

وقد أشرف عليهم عثمان ، واحتج عليهم بالحديث الصحيح فى بنيان المسجد ، وحفر بئر رومة ، وقول النبي ﷺ حين رجف بهم أحد . وأقرّوا له به فى أشياء ذكرها [١]

وقد ثبت أن عثمان أشرف عليهم وقال : أفيكم ابنا محدوج ؟ أنشدكما الله ألستما تعلمان أن عمر قال : إن ربيعة فاجر أو غادر ، وإنى والله لا أجعل فرائضهم وفرائض قوم جاءوا من مسيرة شهر ، وإنما مهر أحدهم عند طيبيه . وإنى زدتهم فى غزاة واحدة خمسمائة ، حتى ألحقتهم بهم ؟ قالوا : بلى

قال : أذكركما الله ألستما تعلمان أنكما أتيتمانى فقلتما : إن كندة أكلة رأس ، وإن ربيعة هى الرأس ، وإن الأشعث بن قيس قد أكلهم . فنزعته واستعملتكما ؟ قالا : بلى

قال : اللهم إنهم كفروا معروفى ، وبدلوا نعمتى ، فلا ترضهم عن

= إن ولاك الله هذا الأمر يوماً فأرادك المنافقون أن تخلع قيصك الذى قمصك الله فلا تخلعه ، يقول ذلك ثلاث مرات . وفى مسند الامام أحمد (ج ٦ الطبعة الأولى : ص ٧٥ و ٨٦ و ١١٤ و ١٤٩) حديث عائشة هذا بألفاظ مختلفة يرويه عنها عروة بن الزبير والنعمان بن بشير وغيرهما

(١) انظر فى مسند الامام أحمد (١ : ٥٩ الطبعة الأولى رقم ٤٢٠ الطبعة الثانية) حديث أبى سلمة بن عبد الرحمن . وسنن النسائى (٢ : ١٢٤ - ١٢٥) وجامع الترمذى (٤ : ٣١٩ - ٣٢٠) ه وفى مسند أحمد (١ : ٧٠ الطبعة الاولى رقم ٥١١ الطبعة الثانية) من حديث الأحنف بن قيس التميمى . وسنن النسائى مطولا ومختصرا (٢ : ٦٥ - ٦٦ و ١٢٣ - ١٢٤) ه وفى تاريخ الطبرى (٥ : ١٢٥) من حديث أبى سعيد مولى أبى أسيد الانصارى

إمامهم ولا ترض إماماً عنهم

وقد روى عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : كنت مع عثمان فى الدار، فقال : أعزمُ على كل من رأى أن عليه سمعاً وطاعة إلا كفّ يده وسلاحه [١] . ثم قال : قم يا ابن عمر — وعلى ابن عمر سيفه متقلداً — فأخبر به الناس [٢]

---

(١) الذى يدل عليه مجموع الأخبار عن موقف عثمان من أمر الدفاع عنه أو الاستسلام للأقدار ، هو أنه كان يكره الفتنة ، ويتقى الله فى دماء المسلمين . إلا أنه صار فى آخر الأمر يودّ لو كانت لديه قوة راجحة يهابها البغاة ، فيرتدعون عن بغيهم ، بلا حاجة إلى استعمال السلاح للوصول الى هذه النتيجة . وقبل أن تبلغ الأمور مبلغها عرض عليه معاوية أن يرسل اليه قوة من جند الشام تكون رهن إشارته ، فأبى أن يضيق على أهل دار الهجرة بجند يساكنهم (الطبرى ٥ : ١٠١) . وكان لا يظن أن الجرأة تبلغ بفريق من إخوانه المسلمين إلى أن يتكالبوا على دم أول مهاجر الى الله فى سبيل دينه . فلما تذاءب عليه البغاة واعتقد أن الدفاع عنه تسفك فيه الدماء جزافا ، عزم على كل من له عليهم سمع وطاعة أن يكفوا أيديهم وأسلحتهم عن مزالق العنف . والأخبار بذلك مستفيضة فى مصادر أوليائه وشانئيه . على أنه لو ظهرت فى الميدان قوة منظمة ذات هيبة تقف فى وجوه الثوار ، وتضع حداً لغطرستهم وجاهليتهم ، لارتاح عثمان لذلك وسر به ، مع ما هو مطمئن اليه من أنه لن يموت إلا شهيدا

(٢) فى البداية والنهاية (٧ : ١٨٢) عن (مغازى ابن عقبة) أن ابن عمر لم يلبس سلاحه إلا يوم الدار فى خلافة عثمان ، ويوم أراد نجدة الحرورى أن يدخل المدينة مع الخوارج أيام عبد الله بن الزبير

فخرج ابن عمر و [الحسن بن] عليّ . ودخلوا فقتلوه (١)

وجاء زيد بن ثابت فقال له : إن هؤلاء الأنصار بالباب يقولون : إن شئت كنا أنصار الله [مرّتين] . قال [عثمان] لا حاجة لى فى ذلك كفّوا (٢)

---

(١) فى تاريخ الطبرى (٥ : ١٢٩) : كان آخر من خرج عبد الله بن الزبير ، أمره عثمان أن يصير إلى أبيه بوصيته التى كتبها استعداداً للموت ، وأمره أن يأتى أهل الدار (أى المدافعين عنه فى ساحة القصر) فيأمرهم بالانصراف الى منازلهم . فخرج عبد الله بن الزبير آخرهم ، فما زال يدعى بها ويحدث الناس عن عثمان بآخر ما مات عليه . وانما أوصى عثمان الى الزبير لأن الزبير كان محل الثقة من كبار الصحابة . روى الحافظ ابن عساكر (٥ : ٣٦٢) أن سبعة من الصحابة أوصوا اليه : عثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، والمقداد ، ومطيع بن الأسود ، وأبو العاص بن الربيع . فكان ينفق على أيتامهم من ماله ، ويحفظ لهم أموالهم

(٢) أورده البلاذرى فى أنساب الأشراف (٥ : ٧٣) من حديث ابن سيرين . وأخرج الحافظ ابن عساكر عن مؤرخ الصدر الأول موسى بن عقبة الأسدى (الذى قال فيه الامام مالك : عليكم بمغازى ابن عقبة ، فانه ثقة ، وهى أصح المغازى) أن أبا حبيبة الطائى (وهو ممن يروى عنهم أبو داود والنسائى والترمذى) قال: لما حصر عثمان جاء بنو عمرو بن عوف الى الزبير فقالوا : يا أبا عبد الله نحن نأتيك ثم نصير إلى ما تأمرنا به (أى من الدفاع عن أمير المؤمنين) قال أبو حبيبة : فأرسلنى الزبير الى عثمان فقال : أقره السلام وقل « يقول لك أخوك : إن بنى عمرو بن عوف جاءونى ووعدونى أن يأتونى ثم يصيروا الى ما أمرتهم به . فان شئتَ أن آتيك فأكون رجلا من أهل الدار يصيبنى ما يصيب أحدهم ، فعلت . وان شئت انتظرتُ ميعاد =

وقال له أبو هريرة : اليوم طاب الضرب معك . قال : عزمت عليك لتخرجن (١)

وكان الحسن بن على آخر من خرج من عنده ، فانه جاء الحسن والحسين وابن عمر وابن الزبير ومروان ، فعزم عليهم فى وضع سلاحهم ، وخروجهم ، ولزوم بيوتهم

فقال له ابن الزبير ومروان : نحن نعزم على أنفسنا لا نبرح . ففتح

= بنى عمرو فأدفع بهم عنك ، فعلت . قال أبو حبيبة : فدخلت عليه (أى على عثمان) فوجدته على كرسى ذى ظهر ، ووجدت رياطاً مطروحة ومراكن مغلوة ، ووجدت فى الدار الحسن بن على ، وابن عمر ، وأبا هريرة ، وسعيد بن العاص ، ومروان بن الحكم ، وعبد الله بن الزبير . فأبلغت عثمان رسالة الزبير ، فقال : « الله أكبر ، الحمد الله الذى عصم أخى . قل له : إنك إن تأت الدار تكن رجلا من المهاجرين ، حرمتك حرمة رجل ، وغناؤك غناء رجل . ولكن انتظر ميعاد بنى عمرو بن عوف ، فعسى الله أن يدفع بك » . قال : فقام أبو هريرة فقال : أيها الناس ، لقد سمعت أذناى رسول الله ﷺ يقول : « تكون بعدى فتن وأحداث » فقلت : وأين النجاء منها يا رسول الله ؟ قال : « الأمير وحزبه » وأشار الى عثمان . فقال القوم : ائذن لنا فلنقاتل ، فقد أمكنتنا البصائر . فقال [عثمان] : « عزمت على أحد كانت لى عليه طاعة ألا يقاتل » . قال : فبادر — أى سبق — الذين قتلوا عثمان ميعادَ بنى عمرو بن عوف فقتلوه

وبنو عمرو بن عوف قبيل كبير من الخزرج أحد فرعى الأنصار ، وكان النبى ﷺ عند وصوله الى المدينة مهاجراً من مكة نزل ضيفاً عليهم ثلاثة أيام ثم انتقل الى بنى النجار

(١) هذا الخبر فى تاريخ الطبرى (٥ : ١٢٩)

عثمان الباب ودخلوا عليه فى أصح الأقوال (١)

فقتله المرء الأسود (٢)

وقيل : أخذ ابن أبي بكر بلحيته ، وذبحه كنانة (٣) ، وقيل : رجل من أهل مصر يقال له حمار (٤) . فسقطت قطرة من دمه على المصحف

---

(١) أصل هذا الخبر فى تاريخ الطبرى (٥ : ١٢٨) عن سيف بن عمر التميمى عن أشياخه

(٢) كذا فى مطبوعة الجزائر . والذى فى تاريخ الطبرى (٥ : ١٢٥) « الموت الاسود » ، والأصول التى طبع عليها تاريخ الطبرى أصح من الأصول التى طبع عليها كتابنا فى الجزائر ، ومن الثابت أن ابن سبأ كان مع ثوار مصر عند مجيئهم من الفسطاط الى المدينة (الطبرى ٥ : ١٠٣ - ١٠٤) وهو فى كل الأدوار التى مثلها كان شديد الحرص على أن يعمل من وراء ستار ، فلعل « الموت الاسود » اسم مستعار له أراد أن يُرمز به اليه ليتمكن من مواصلة دسائسه لهدم الاسلام

(٣) هو كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي قائد إحدى الفرق المصرية الأربع، وكان قبل ذلك أحد الذين التفوا بعمار بن ياسر فى الفسطاط ليجعلوه سبأياً ، وهو أول داخل الى دار عثمان بالشعلة من النفط ليحرق باب الدار ، وهو الذى اخترط السيف ليضعه فى بطن أمير المؤمنين ، فوقته زوجته نائلة فقطع يدها واتكأ بالسيف عليه فى صدره . وكانت عاقبة التجيبى القتل مخذولا فى المعركة التى نشبت فى مصر بين محمد بن أبى بكر وعمرو بن العاص سنة ٣٨

وقد تحرف « كنانة » فى مطبوعة الجزائر برسم « رومان » ، ومطبوعة الجزائر كثيرة التحريف

(٤) لم أر هذا الاسم فيمن اجترأوا على ارتكاب الجريمة العظمى ، ولعل النساخ حرّفوا اسم سودان بن « حمران » ، أو اسم عمرو بن « الحمق »

على قوله ﴿ فسيكفيكهم ﴾ فانها فيه ما حُكت إلى الآن

وروى أن عائشة رضى الله عنها قالت : « غضبتُ لكم من السوط ، ولا أغضب لعثمان من السيف ؟ استعتبتموه حتى إذا تركتموه كالقند المصفى ، ومصتموه موص الإناء ، وتركتموه كالثوب المنقى من الدنس، ثم قتلتموه (١) » . قال مسروق (٢) : فقلت لها : « هذا عملك ، كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه » . فقالت عائشة : « والذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ماكتبتُ اليهم سواداً فى بياض » . قال الأعمش : فكانوا يرون أنه كتب على لسانها (٣)

وقد روى أنه ما قتله أحد إلا أعلاج من أهل مصر

قال القاضى أبو بكر (رضى الله عنه) : فهذا أشبه ما روى فى الباب . وبه يتبين ـ وأصل المسألة سلوك سبيل الحق ـ أن أحداً من الصحابة لم يسع عليه ، ولا قعد عنه . ولو استنصر ما غاب ألف أو أربعة آلاف

---

(١) قالت ذلك أول مرة عند وصولها إلى المدينة عائدة من الحج ، فاجتمع إليها الناس وألقت فيهم خطبة بليغة وردت هذه الجملة فى آخرها (الطبرى ٥ : ١٦٥ - ١٦٦) . والموص : الغسل بالأصابع . والقند : عسل قصب السكر إذا جمد

(٢) هو من أئمة التابعين المقتدى بهم توفى سنة ٦٣ . وهو الذى قال لعمار بالكوفة قبل يوم الجمل : يا أبا اليقظان علام قتلتم عثمان ؟ قال : على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا فقال مسروق : والله ماعاقبتم بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لكان خيراً للصابرين (الطبرى ٥ : ١٨٧)

(٣) كما كتب على لسان علىّ ولسان عثمان

غرباء عشرين ألفاً بلديين أو أكثر من ذلك ، ولكنه ألقى بيده إلى المصيبة (١)

وقد اختلف العلماء فيمن نزل به مثلها : هل يلقى بيده ، أو يستنصر(٢)؟ وأجاز بعضهم أن يستسلم ويلقى بيده اقتداء بفعل عثمان ، وبتوصية النبي ﷺ بذلك فى الفتنة (٣)

قال القاضى أبو بكر (رضى الله عنه) : ولقد حكمتُ بين الناس فألزمتهم الصلاة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى لم يك يرى فى الأرض منكر ، واشتد الخطب على أهل الغصب ، وعظم على الفسقة

---

(١) لأنه اختار بذلك أهون الشرين ، فآثر التضحية بنفسه على توسيع دائرة الفتنة وسفك دماء المسلمين. وعثمان افتدى دماء أمته بدمه مختاراً فما أحسن الكثيرون منا جزاءه ، وإن أوربا تعبد بشراً بزعم الفداء ولم يكن فيه مختارا

(٢) من سياسة الاسلام أن يختار فى كل حالة أقلها شرا وأخفها ضررا ، فاذا كانت للخير قوة غالبة تقمع الشر وتضيق دائرته فالاسلام يهدى إلى قمع الشر بقوة الخير بلا تردد . وإن لم يكن للخير قوة غالبة تقمع الشر وتضيق دائرته ـ كما كانت الحال فى موقف أمير المؤمنين عثمان من البغاة عليه ـ فمصلحة الاسلام فى مثل ما جنح اليه عثمان أعلى الله مقامه فى دار الخلود

(٣) وهى قوله ﷺ على مارواه الامام البخارى فى كتاب المناقب (ك ٦١ ب ٢٥ ج ٤ ص ١٧٧) وفى كتاب الفتن (ك ٩٢ ب ٩ ج ٨ ص ٩٢) من صحيحه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى . ومن يشرف لها تستشرفه . ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعُذْ به » . وأعلن أبو موسى الأشعرى فى الكوفة قبل وقعة الجمل أنه سمعه من رسول الله ﷺ (الطبرى ٥ : ١٨٨)

الكرب ، فتألّبوا وألبوا ، وثاروا إلىّ فاستسلمت لأمر الله ، وأمرت كل من حولى ألا يدفعوا عن دارى ، وخرجت على السطوح بنفسى ، فعاثوا علىّ ، وأمسيت سليب الدار ، ولولا ما سبق من حسن المقدار لكنت قتيل الدار (١)

وكان الذى حملنى على ذلك ثلاثة أمور : أحدها وصاية النبى ﷺ المتقدمة (٢) ، والثانى الاقتداء بعثمان ، والثالث سوء الأحدوثة التى فر منها رسول الله ﷺ المؤيد بالوحى (٣) . فان من غاب عنى ، بل من حضر من الحسدة معى ، خفت أن يقول : إن الناس مشوا إليه مستغيثين به فأراق دماءهم

وأمرُ عثمان كله سنّة ماضية ، وسيرة راضية . فانه تحقق أنه مقتول بخبر الصادق له بذلك ، وأنه بشره بالجنة على بلوى تصيبه ، وأنه شهيد (٤)

وروى أنه قال له فى المنام : إن شئت نصرتك ، أو تفطر عندنا الليلة (٥)

---

(١) أشرنا إلى ظروف هذا الحادث فى ترجمة المؤلف أول هذا الكتاب (ص ٢٦)

(٢) وقد نقلناها آنفاً عن حديث أبى هريرة فى صحيح البخارى ، ومن حديث أبى موسى فى الكوفة قبل وقعة الجمل

(٣) وذلك لما قال ابن سلول فى غزوة بنى المصطلق « إذا رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ » ، فأراد عمر أن يقتله ، فمنعه النبى ﷺ وقال : « لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه »

(٤) تقدم بيان ذلك فى ص ٥٥ و

(٥) هذه الرواية لابن أبى الدنيا من حديث عبد الله بن سلام فى ـــــ

وقد انتدبت المرَدةُ والجهلة إلى أن يقولوا : إن كل فاضل من الصحابة كان عليه مشاغباً مؤلّباً ، وبما جرى عليه راضياً . واخترعوا كتاباً فيه فصاحة وأمثال كتب عثمان به مستصرخاً إلى علىّ . وذلك كله مصنوع، ليوغروا قلوب المسلمين على السلف الماضين والخلفاء الراشدين(١)

قال القاضى أبو بكر : فالذى يُنخل من ذلك أن عثمان مظلوم ،

= البداية والنهاية (٧ : ١٨٢ - ١٨٣) ، ومن طريق آخر عنه فى أنساب الأشراف للبلاذرى (٥ : ٨٢) . وفى مسند أحمد (١ : ٧٢ الطبعة الأولى رقم ٥٢٦ الثانية) من حديث مسلم أبى سعيد مولى عثمان قال : « ان عثمان أعتق عشرين مملوكا ، ودعا بسراويل فشدها عليه ولم يلبسها فى جاهلية ولا إسلام ، وقال : إنى رأيت رسول الله ﷺ البارحة فى المنام ورأيت أبا بكر وعمر ، وأنهم قالوا لى : اصبر ، فانك تفطر عندنا القابلة . ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه ، فقتل وهو بين يديه » . وروى الامام أحمد هذا الحديث عن نائلة زوجة عثمان (١ : ٧٣ رقم ٥٣٦) بقريب من هذا . وفى البداية والنهاية (٧ : ١٨٢) من حديث أيوب السختيانى عن نافع عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ومن طرق أخرى متعددة. وانظر تاريخ الطبرى (٥:١٢٥)

(١) هذه الكتب المصنوعة والأخبار المبالغ فيها أو المكذوبة شحنت بها أسفار الأخبار وكتب الأدب. ولتميز الحق فيها من الباطل طريقان : أحدهما طريق أهل الحديث فى أن لايقبلوا إلا الأخبار المسندة إلى أشخاص بأسمائهم ثم يستعرضون أحوال هؤلاء الأشخاص فيقبلون من صادقهم ، ويضربون وجه الكذاب بكذبه . والطريق الثانى طريق علماء التاريخ وهو أن يعرضوا كل خبر على سجايا من يخبر عنه ، ويقارنوه بسيرته ، وهل هو مما ينتظر وقوعه ممن نسب اليه ويلائم المعروف من سابقته وأخلاقه أم لا . وتمحيص تاريخنا يحتاج إلى هاتين الطريقتين معا يقوم بهما علماء راسخون فيهما

محجوج بغير حجة (١) . وأن الصحابة برآء من دمه بأجمعهم ، لأنهم أتوا إرادته ، وسلموا له رأيه فى إسلام نفسه

ولقد ثبت ـ زائداً إلى ما تقدم عنهم ـ أن عبد الله بن الزبير قال لعثمان : إنا معك فى الدار عصابة مستبصرة ينصر الله بأقل منهم ، فائذن لنا . فقال : أذكِّر اللهَ رجلا أراق لى دمه (أو قال دماً (٢))

وقال سليط بن أبى سليط : نهانا عثمان عن قتالهم ، فلو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم عن أقطارها (٣)

---

(١) كما تبين فى هذا الكتاب بأسانيده القاطعة . وانظر كتاب (التمهيد) للامام أبى بكر الباقلانى (ص ٢٢٠ - ٢٢٧)

(٢) ولما بدأ حجاج بيت الله يعودون الى المدينة كان أول المسرعين منهم المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفى الصحابى ، فأدرك عثمانَ قبل أن يقتل ، وشهد المناوشة على باب دار عثمان فجلس على الباب من داخل وقال : ما عذرنا عند الله إن تركناك ونحن نستطيع ألا ندعهم حتى نموت . وكان أول من برز للبغاة المهاجمين ، وقاتل حتى قتل . وخرج معه لقتالهم الحسن ابن على بن أبى طالب وهو يقول فى تسفيه عمل البغاة :

لا دينهم دينى ولا أنا منهم   حتى أسير إلى طمار شمام

أى الى جبل أشم لا ينجو من سقط منه . وخرج معهما محمد بن طلحة بن عبيد الله ـ وكان يعرف بالسجاد لكثرة عبادته ـ وهو يقول :

أنا ابن من حامى عليه بأحُد   وردّ أحزاباً على رغم معدّ

انظر تاريخ الطبرى (٥ : ١٢٨ - ١٢٩)

(٣) رواه الحافظ ابن عبد البر فى الاستيعاب (٢ : ١١٨ - ١١٩ هامش الاصابة) من حديث ابن سيرين عن سليط . وأورده الحافظ ابن حجر مختصرا فى الاصابة (٢ : ٧٢)

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة : كنت مع عثمان فى الدار فقال : أعزمُ على كل من رأى أن لى عليه سمعاً وطاعة إلا كفَّ يده وسلاحه ، فان أفضلكم غناء من كف يده وسلاحه (١)

وثبت أن الحسن والحسين وابن الزبير وابن عمر ومروان كلهم شاك فى السلاح حتى دخلوا الدار ، فقال عثمان : أعزم عليكم لما رجعتم فوضعتم أسلحتكم ولزمتم بيوتكم (٢)

---

(١) وفى تاريخ الطبرى (٥ : ١٢٧) أن عثمان دعا عبد الله بن عباس فقال له : اذهب فانت على الموسم (أى على إمارة الحج) فقال ابن عباس : « والله يا أمير المؤمنين لجهاد هؤلاء أحبُّ إلىَّ من الحج » . فأقسم عليه لينطلقن ، فانطلق ابن عباس على الموسم تلك السنة

(٢) قال الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٧ : ١٨١) : كان الحصار مستمراً من أواخر ذى القعدة الى يوم الجمعة الثامن عشر من ذى الحجة . فلما كان قبل ذلك بيوم ، قال عثمان للذين عنده فى الدار من المهاجرين والأنصار — وكانوا قريبا من سبعمائة ، فيهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين ومروان وأبو هريرة وخلق من مواليه ولو تركهم لمنعوه — : « أقسم على من لى عليه حق أن يكفَّ يده وأن ينطلق الى منزله » وقال لرقيقه « من أغمد سيفه فهو حر » فبرد القتال من داخل ، وحمى من خارج . حتى كانت الساعة التى تم فيها للشيطان ماسعى له وتمناه . ويكفى لبيان ماكان لهذه الفاجعة الكبرى من الأثر فى النفوس ما نقله البلاذرى فى أنساب الأشراف (٥ : ١٠٣) عن المدائنى عن سلمة بن عثمان عن علىّ بن زيد عن الحسن قال : دخل على يوماً على بناته وهن يمسحن عيونهن . فقال : مالكنَّ تبكين ؟ قلن : نبكى على عثمان ، فبكى وقال : ابكين ...

فلما قضى الله من أمره ما قضى ، ومضى فى قدره ما مضى ، علم أن الحق لايترك الناس سدى ، وأن الخلق بعده مفتقرون الى خليفة مفروض عليهم النظر فيه . ولم يكن بعد الثلاثة كالرابع قدرا وعلماً وتقى ودينا ، فانعقدت له البيعة . ولولا الاسراع بعقد البيعة لعلىّ لجرى على من بها من الأوباش مالا يرقع خرقه . ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار ، ورأى ذلك فرضاً عليه ، فانقاد إليه (١)

---

(١) فى تاريخ الطبرى (٥ : ١٥٥) عن سيف بن عمر التميمى عن أشياخه قالوا : بقيت المدينة بعد قتل عثمان خمسة أيام وأميرها الغافقى بن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه : يأتى المصريون علياً فيختبىء منهم ويلوذ بحيطان المدينة (أى يختبىء فى بساتينها) فاذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقالتهم مرة بعد مرة . ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه . فأرسلوا إليه حيث هو رسلا فباعدهم وتبرأ من مقالتهم . ويطلب البصريون طلحة ، فاذا لقيهم باعدهم وتبرأ من مقالتهم .. فبعثوا إلى سعد بن أبى وقاص وقالوا : انك من أهل الشورى فرأينا فيك مجتمع ، فأقدم نبايعك . فبعث إليهم : انى وابن عمر خرجنا منها ، فلا حاجة لى فيها . ثم انهم أتوا ابن عمر عبد الله فقالوا : انتَ ابن عمر فقم بهذا الأمر . فقال : ان لهذا الأمر انتقاماً ، والله لا أتعرّض له فالتمسوا غيرى . وأخرج الطبرى (٥ : ١٥٦) عن الشعبى قال: أتى الناس علياً وهو فى سوق المدينة وقالوا له : ابسط يدك نبايعك . قال : لا تعجلوا ، فان عمر كان رجلا مباركا ، وقد أوصى بها شورى ، فأمهلوا يجتمع الناس ويتشاورون . فارتدّ الناس عن على . ثم قال بعضهم : ان رجع الناس الى أمصارهم بقتل عثمان ولم يقم بعده قائم بهذا الأمر لم نأمن اختلاف الناس وفساد الأمة . فعادوا إلى على ، فأخذ الأشتر بيده ، فقبضها على . فقال : أبعد ثلاثة ؟ أما والله لئن تركتها لتعصرنّ عينيك عليها حيناً . =

وعقد له البيعة طلحة ، فقال الناس : بايع علياً يدٌ شلاء ، والله لايتم هذا الأمر (١)

فان قيل : بايعا مكرهين (٢) . قلنا : حاشا لله أن يكرها ، لها ولمن

= فبايعته العامة . وأهل الكوفة يقولون : أول من بايعه الأشتر . وروى سيف عن أبى حارثة محرز العبشمى وعن أبى عثمان يزيد بن أسيد الغسانى قالا: لما كان يوم الخميس على رأس خمسة أيام من مقتل عثمان جمعوا أهل المدينة ، فوجدوا سعداً والزبير خارجين ووجدوا طلحة فى حائط له ... فلما اجتمع لهم أهل المدينة قال لهم أهل مصر : أنتم أهل الشورى وأنتم تعقدون الإمامة وأمركم عابر على الأمة ، فانظروا رجلا تنصبونه ونحن لكم تبع . فقال الجمهور : على بن أبى طالب نحن به راضون ... فقال على : دعونى والتمسوا غيرى . . فقالوا : ننشدك الله ، ألا ترى الفتنة ، ألا تخاف الله ؟ فقال : إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، وإن تركتمونى فانما أنا كأحدكم ، إلا أنى أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم . ثم افترقوا على ذلك واتعدوا الغد (أى يوم الجمعة) فلما أصبحوا من يوم الجمعة حضر الناس المسجد وجاء على حتى صعد المنبر فقال : « يا أيها الناس عن ملأ وأذن . إن هذا أمركم ، ليس لأحد فيه حق إلا إن أمرتم . وقد افترقنا بالأمس على أمر . فان شئتم قعدت لكم ، وإلا فلا أجد على أحد » فقالوا « نحن على مافارقناك عليه بالأمس » . وهذه الوقائع على بساطتها تدل على أن بيعة على كانت كبيعة إخوانه من قبل جاءت على قدرها وفى إبانها ، وأنها مستمدة من رضا الأمة فى حينها ، لا من وصية سابقة مزعومة ، أو رموز خيالية موهومة

(١) قائل هذه الكلمة حبيب بن ذؤيب . رواه الطبرى (٥ : ١٥٣) عن أبى المليح الهذلى .

(٢) يعنى طلحة والزبير

بايعهما . ولو كانا مكرهين ما أثّر ذلك ، لأن واحداً أو اثنين تنعقد البيعة بهما وتتم ، ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له ، وهو مكره على ذلك شرعاً . ولو لم يبايعا ما أثر ذلك فيهما ، ولا في بيعة الامام (١)

وأما من قال يد شلاء وأمر لا يتم ، فذلك ظن من القائل أن طلحة أول من بايع ، ولم يكن كذلك (٢)

فإن قيل : فقد قال طلحة : « بايعتُ واللجُّ على قفيّ(٣) » . قلنا : اخترع هذا الحديث من أراد أن يجعل في « القفا » لغة « قفيّ » كما يجعل في « الهوى » : « هويّ » . وتلك لغة هذيل لا قريش (٤) فكانت كذبة لم تدبر

وأما قولهم « يد شلاء » لو صح فلا متعلق لهم فيه ، فان يداً شلت في وقاية رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمُّ لها كل أمر ، ويتوقى بها من كل

---

(١) القاضي ابن العربي يقرر هنا الحكم الشرعي في عقد البيعة ، لا على أنه رأى له . وللامام أبي بكر الباقلاني كلام سديد في (التمهيد) ص ٢٣١

(٢) وقد علمت أن أهل الكوفة يقولون ان الاشتر كان أول من بايع ولو كانت يد طلحة هي الأولى في البيعة لكانت أعظم بركة ، لأنها يد دافعت عن رسول الله ﷺ ، ويد الأشتر لا تزال رطبة من دم الشهيد المبشر بالجنة

(٣) أي : والسيف على قفاي ، لحالة الإرهاب التي كانت سائدة على المدينة بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان

(٤) بل هي أبعد عن لغة قريش من لهجة هذيل ، فقد قال ابن الأثير في النهاية (مادة لجج) انها لغة طائية ، يشددون ياء المتكلم

مكروه [١] . وقد تم الأمر على وجهه ، ونفذ القدر بعد ذلك على حكمه . وجهلَ المبتدع ذلك فاخترع ما هو حجة عليه

فان قيل : بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان . قلنا : هـذا لا يصح فى

---

(١) كان طلحة من الصحابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الموت يوم أحد حين انهزم المسلمون ، فصبروا ولزموا . ورمى مالك بن زهير الجشمى بسهم يريد رسول الله ﷺ - وكان لا يخطىء رميه - فاتقاه طلحة بيده عن رسول الله ﷺ ، فكان ذلك سبب الشلل فى يده من خنصره . وأقبل رجل من بنى عامر يجر رمحاً له على فرس كميت أغر مدججاً فى الحديد يصيح : أنا أبو ذات الودع ، دلونى على محمد . فضرب طلحة عرقوب فرسه ، فاكتسعت . ثم تناول رمحه فلم يخطىء به عن حدقته ، فخار كما يخور الثور ، فما برح طلحة واضعاً رجله على خده حتى مات . قالت بنتاه - عائشة وأم اسحاق - : جرح أبونا يوم أحد أربعاً وعشرين جراحة فى جميع جسده ، وقد غلبه الغشى ، وهو مع ذلك محتمل رسول الله ﷺ حين كسرت رباعيتاه يرجع به القهقرى ، كلما أدركه أحد من المشركين قاتل دونه حتى أسنده إلى الشعب . فكان النبى ﷺ يقول إذا رأى طلحة : « من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيـــد الله » رواه أبو نعيم الاصبهانى . وكان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال : ذاك يوم كان يوم طلحة . وسمع على بن أبى طالب رجلا يقول بعد يوم الجمل : ومن طلحة ؟ فزبره علىّ وقال : إنك لم تشهد يوم أحد ، لقد رأيته وانه ليحترس بنفسه دون رسول الله ﷺ وإن السيوف لتغشاه ، وإن هو إلا جُنّة بنفسه لرسول الله ﷺ . أخرج الحافظ ابن عساكر (٧ : ٧٨) من طريق ابن مندة عن طلحة قال : سمانى رسول الله ﷺ يوم أحد (طلحة الخير) ، وفى غزوة العسرة (طلحة الفياض) ويوم حنين (طلحة الجود)

شرط البيعة ، وإنما يبايعونه على الحكم بالحق ، وهو أن يحضر الطالب للدم ، ويحضر المطلوب ، وتقع الدعوى ، ويكون الجواب ، وتقوم البينة ، ويقع الحكم . فأما على الهجم عليه بما كان من قول مطلق ، أو فعل غير محقق ، أو سماع كلام ، فليس ذلك فى دين الاسلام (١)

قالت العثمانية : تخلف عنه من الصحابة جماعة ، منهم سعد بن أبى

---

(١) وانظر (التمهيد) للباقلانى ص ٢٣١ و ٢٣٥ و ٢٣٦ . وحقيقة موقف علىّ من قتلة عثمان أنهم عند البيعة له كانوا هم المستولين على زمام الأمر فى المدينة . وفى حالة الارهاب التى كانت سائدة يومئذ لم يكن فى استطاعة على ولا غيره أن يقف منهم مثل موقف الصحابة من عبيد الله بن عمر لما قتل الهرمزان ، مع الفارق العظيم بين دم أمير المؤمنين الخليفة الراشد ، والأسير الحربى المجوسى الذى قال انه اسلم بعد وقوعه فى الأسر . ولما انتقل على من المدينة إلى العراق ليكون على مقربة من الشام انتقل معه قتلة عثمان ولا سيما أهل البصرة والكوفة منهم ، فلما صاروا فى بصرتهم وكوفتهم صاروا فى معقل قوتهم وعنجهية قبائلهم ، ولا شك أن علياً أعلن البراءة منهم وأراد أن يتفق مع أصحاب الجمل على ما يمكن الاتفاق عليه فى هذا الشأن ، فأنشب قتلة عثمان القتال بين معسكر على ومعسكر أصحاب الجمل ، وتمكن أصحاب الجمل من قتل البصريين من قتلة عثمان إلا واحداً من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم حمته قبيلته . فلما اتسعت الأمور وسفكت الدماء كان على فى موقف يحتاج فيه إلى بأس هؤلاء المعروفين بأنهم من قتلة عثمان وفى مقدمتهم الأشتر وأمثاله . وإن كثيرين منهم انقلبوا على على بعد ذلك وخرجوا عليه معتقدين كفره . ويقول علماء السنة والمؤرخون ان الله كان بالمرصاد لقتلة عثمان ، فانتقم منهم بالقتل والنكال واحداً بعد واحد ، حتى الذين طال بهم العمر إلى زمن الحجاج كانت عاقبتهم سفك دمائهم جزاء بما قدمت أيديهم والله أعدل الحاكمين

وقاص، ومحمد بن مسلمة، وابن عمر، وأسامة بن زيد وسواهم من نظرائهم

قلنا: أما بيعته فلم يُتخلف عنها. وأما نصرته فتخلف عنها قوم، منهم من ذكرتم، لأنها كانت مسألة اجتهادية، فاجتهد كل واحد وأعمل نظره وأصاب قدره (١)

قاصمة

روى قوم أن البيعة لما تمت لعليّ استأذن طلحةُ والزبير عليا فى الخروج الى مكة (٢). فقال لهما عليّ: لعلكما تريدان البصرة والشام. فأقسما ألا يفعلا (٣)

وكانت عائشة بمكة (٤)

---

(١) وانظر (التمهيد) للباقلانى ص ٢٣٣ - ٢٣٤

(٢) وممن استأذنه فى الخروج إلى مكة عبدالله بن عمر بن الخطاب. وسبب ذلك أن علياً لما تمت له البيعة عزم على قتال أهل الشام، وندب أهل المدينة إلى الخروج معه فأبوا عليه، فطلب عبد الله بن عمر وحرضه على الخروج معه فقال: إنما أنا رجل من أهل المدينة إن خرجوا خرجت على السمع والطاعة، لكن لا أخرج للقتال فى هذا العام. ثم تجهز ابن عمر وخرج إلى مكة (ابن كثير ٧ : ٢٣٠) وكان الحسن بن على مخالفاً لأبيه فى أمر الخروج لمقاتلة أهل الشام ومفارقته المدينة كما ترى فيما بعد

(٣) قول على لهما وقسمهما له من زيادات مرتكبى (القاصمة) ورواتها

(٤) ذهبت إليها هى وأمهات المؤمنين لما قطع البغاة الماء عن أمير المؤمنين عثمان، وأخذ يستسق الناس، فجاءته أم حبيبة بالماء فأهانوها، وضربوا وجه بغلتها، وقطعوا حبل البغلة بالسيف (الطبرى ٥ : ١٢٧)، فتجهز أمهات المؤمنين الى الحج فراراً من الفتنة (ابن كثير ٧ : ٢٢٩)

وهرب عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة الى مكة ، ويعلى بن أمية عامل عثمان على اليمن

فاجتمعوا بمكة كلهم ، ومعهم مروان بن الحكم . واجتمعت بنو أمية . وحرّضوا على دم عثمان وأعطى يعلى لطلحة والزبير وعائشة أربعمائة ألف درهم . وأعطى لعائشة « عسكراً » جملا اشتراه باليمن بمائتي دينار .

فأرادوا الشام ، فصدّهم ابن عامر وقال : لاميعاد لكم بمعاوية ، ولى بالبصرة صنائع ، ولكن إليها

فجاءوا إلى ماء الحوأب (١) ، ونبحت كلابه ، فسالت عائشة ، فقيل لها : هذا ماء الحوأب . فردّت خطامها عنه ، وذلك لما سمعت النبي ﷺ يقول « أيتكن صاحبة الجمل الأدبب (٢) ، التى تنبحها كلاب الحوأب ؟ » فشهد طلحة والزبير أنه ليس هذا ماء الحوأب ، وخمسون رجلا اليهم (٣) وكانت أول شهادة زور دارت فى الاسلام (٤)

---

(١) الحوأب من مياه العرب على طريق البصرة . قاله أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندرى فيما نقله عنه ياقوت فى معجم البلدان . وقال أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم : ماء قريب من البصرة ، على طريق مكة إليها سمى بالحوأب بنت كلب بن وبرة القضاعية

(٢) الأدبب : الأدبّ (أظهر الادغام لأجل السجعة) ، والأدب الكثير وبر الوجه . قاله ابن الأثير فى النهاية

(٣) لم يشهدوا ، ولم تقل عائشة ، ولم يقل النبي ﷺ . وسنبين ذلك فى موضعه من (العاصمة) ص ١٦١ - ١٦٢

(٤) شهادة الزور تصدر عن رعاع لا يخافون الله كأبى زينب وأبى المورع كما تقدم فى ص ٩٦ - ٩٧ ، وتصدر عمن يزعم لنفسه أنه قادر على خلق =

وخرج عليّ الى الكوفة (١) ، وتعسكر الفريقان والتقوا (٢) ، وقال عمار ـ وقد دنا من هودج عائشة ـ : ما تطلبون ؟ قالوا: نطلب دم عثمان .

= شخصية لم يخلقها الله كالذى اخترع اسم ثابت مولى أم سلمة كما تقدم فى ص ٩١ . أما طلحة والزبير ـ المشهود لهما بالجنة من نبى الرحمة ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى ـ فكانا أسمى أخلاقاً وأكرم على أنفسهما وعلى الله من أن يشهدا الزور . وهذه الفرية عليهما من مبغضى أصحاب رسول الله ﷺ ليست أول فرية لهم فى الاسلام ، ولا آخر ما يفترونه من الكذب عليه وعلى أهله

(١) خرج من المدينة فى آخر شهر ربيع الآخر سنة ٣٦ ، ليكون على مقربة من الشام . وكان ابنه الحسن يودّ لو بقى والده بالمدينة فيتخذها دار خلافته كاخوانه الثلاثة قبله فلا يبرحها (الطبرى ٥ : ١٧١ وانظر ٥ : ١٦٣) . وقد سلك عليّ من المدينة إلى العراق طريق الربذة وفيد والثعلبية والأساود وذى قار . ومن الربذة أرسل إلى الكوفة محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر فرجعا اليه وهو فى ذى قار بأن أبا موسى وأهل الحجى من الكوفيين يرون القعود ، فأرسل الأشتر وابن عباس ، ثم أرسل ابنه الحسن وعماراً لاستمالة القوم إليه . وبينما هو فى الطريق أنشب عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة القتال مع أصحاب الجمل . وفى الأساود جاءه خبر مصرع حكيم بن جبلة وقتلة عثمان . ثم جاء عثمان بن حنيف إلى على وهو فى الثعلبية منتوف اللحية ومغلوباً على أمره . وفى ذى قار أقام عليّ معسكره ، ثم سار بمن معه الى البصرة وفيها أصحاب الجمل

(٢) بعد وصول على إلى ذى قار وقيام القعقاع بن عمرو بمساعى التفاهم تقدم على بمن معه إلى البصرة فأسرع قتلة عثمان إلى إحباط مساعى الاصلاح بانشاب القتال

قال : قتل الله فى هذا اليوم الباغى والطالب بغير الحق (١)

والتقى على والزبير ، فقال له علىّ : أتذكر قول النبي ﷺ انك تقاتلنى ؟ فتركه ورجع . وراجعه ولده ، فلم يقبل . وأتبعه الاحنف من قتله (٢)

ونادى علىّ طلحة من بعد : ما تطلب ؟ قال : دم عثمان . قال : قاتل الله أولانا بدم عثمان . ألم تسمع النبي ﷺ يقول : « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » وأنت أول من بايعنى ونكث (٣)

عاصمة

أما خروجهم إلى البصرة فصحيح لا إشكال فيه

ولكن لأى شىء خرجوا ؟ لم يصح فيه نقل ، ولا يوثق فيه بأحد ، لأن الثقة لم ينقله ، وكلام المتعصب لا يسمع . وقد دخل على المتعصب

---

(١) كان الفريقان يطلبان التفاهم وجمع الكلمة ، أما الباغى فهم قتلة عثمان ، وقد قتلهم الله جميعاً إلا واحداً منهم ، وسيأتى بيانه

(٢) الذى قتل الزبيرَ عميرُ بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع التميمى . والأحنف أتقى لله من أن يأمرهم بقتله ، بل سمعوه يتذمر من قتال المسلمين بعضهم مع بعض فلحقوا بالزبير فقتلوه (الطبرى ٥ : ١٩٨)

(٣) كان طلحة أصدق إيماناً وأسمى أخلاقاً من أن يبايع وينكث . وإنما كان يريد جمع الكلمة للنظر فى أمر قتلة عثمان ، واستجاب على لهذه الدعوة كما سيأتى فى ص ١٥٦ ، ولكن الذين جنوا على الاسلام أول مرة بالبغى على عثمان كانوا أعداء الله مرة أخرى بانشاب القتال بين هذين الفريقين من المسلمين

من يريد الطعن فى الاسلام واستنقاص الصحابة :

فيحتمل أنهم خرجوا خلعاً لعلى لأمر ظهر لهم (١) ، وهو أنهم بايعوا لتسكين الثائرة ، وقاموا يطلبون الحق

ويحتمل أنهم خرجوا ليتمكنوا من قتلة عثمان (٢)

ويمكن أنهم خرجوا فى جمع طوائف المسلمين ، وضم نشرهم ، وردّهم إلى قانون واحد حتى لايضطربوا فيقتتلوا . وهذا هو الصحيح ، لا شىء سواه . وبذلك وردت صحاح الأخبار

فأما الأقسام الأول فكلها باطلة وضعيفة :

أما بيعتهم كرها فباطل قد بيناه (٣)

وأما خلعهم فباطل ، لأن الخلع لا يكون إلا بنظر من الجميع ، فيمكن أن يولى واحد أو اثنان ، ولا يكون الخلع إلا بعد الإثبات والبيان (٤)

---

(١) وهذا الاحتمال بعيد عن هؤلاء الأفاضل الصالحين ، ولم يقع منهم ما يدل عليه ، بل الحوادث كلها دلت على نزاهتهم عنه . وإلى هذا ذهب الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (١٣ : ٤١-٤٢) فنقل عن كتاب (أخبار البصرة) لعمر بن شبة قول المهلب : « إن أحداً لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا علياً فى الخلافة ولا دعوا إلى أحد منهم ليولوه الخلافة »

(٢) وهذا ما كانوا يذكرونه ، إلا أنهم يريدون أن يتفقوا مع على على الطريقة التى يتوصلون بها إلى ذلك . وهذا ما كان يسعى به الصحابى المجاهد القعقاع بن عمرو ، وقبله الطرفان كما سيأتى

(٣) فى ص ١٤٣ - ١٤٤

(٤) انظر (التمهيد) للباقلانى ص ٢١١-٢١٢ وص ٢٣٢ فى موضوع الخلع

وأما خروجهم فى أمر قتلة عثمان فيضعف، لان الاصل قبله تأليف الـكلمة، ويمكن أن يجتمع الأمران (١)

ويروى أن فى تغيبهم (٢) قطع الشغب بين الناس. فخرج طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين رضى الله عنهم رجاء أن يرجع النـاس إلى أمهم فيرعوا حرمة نبيهم. واحتجوا عليها (٣) بقول الله تعالى ﴿لا خيرَ فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصـلاح بين الناس﴾ (النساء : ١١٤)، وقد خرج النبي ﷺ فى الصلح وأرسل فيه. فرجت المثوبة، واغتنمت القصة، وخرجت حتى بلغت الأقضيةُ مقاديرَها

وأحسَّ بهم أهـل البصرة، فحرض من كان بها من المتـألبين على عثمان الناس، وقالوا : اخرجوا إليهم حتى تروا ما جاءوا إليه. فبعث عثمان بن حنيف حكيم بن جبلة (٤)، فلقى طلحة والزبير بالزابوقة، فقتل

(١) واجتماع الأمرين هو الذى كاد يقع، لولا أن السبأيين أحبطوه فأصحاب الجمـل جاءوا فى أمر قتلة عثمان، ولم يجيئوا إلا لذلك. إلا أنهم أرادوا أن يتفاهموا عليه مع على، لأن التفاهم معـه أول الوسائل للوصول إلى ما جاءوا له

(٢) أى تغيب طلحة والزبير وعائشة عن المدينة

(٣) لما أقنعوها بالخروج إلى البصرة

(٤) عثمان بن حنيف أنصـارى من الأوس، كان عند هجرة النبى ﷺ إلى المدينة أحد الشبان الأوسيين الخمسة عشر الذين انضموا إلى عبد عمرو ابن صيفى عند خروجه إلى مكة مغاضباً النبى ﷺ، وكان عبد عمرو يسمى فى الجاهلية الراهب فسماه النبى ﷺ الفاسق (الطبرى ٣ : ١٦). والظاهر أن عثمان بن حنيف عاد من مكة وأسلم قبل وقعة أحد لأنها أول مشاهده

حكيم (١) ، ولو خرج مسلماً مستسلماً لا مدافعاً(٢) لما أصابه شيء . وأى

= (الاصابة ٢ : ٤٥٩) . وتزعم الشيعة أنه شاغب على خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق فى أول خلافته (تنقيح المقال للمامقانى ١ : ١٩٨) وأعتقد أن هذا من كذبهم عليه ، وقد تولى لعمر مساحة أرض العراق وضرب الجزية والخراج على أهلها ، فلو صح ما زعموه من شغبه على أبى بكر لتنافى هذا مع استعمال عمر له ، إلا أن يكون تاب . ولما بويع لعلى آخر سنة ٣٥ واختار ولاته فى بداية سنة ٣٦ ولى عثمان بن حنيف على البصرة (الطبرى ٥ : ١٦١) . ولما وصل أصحاب الجمل إلى الحفير على أربعة أميال من البصرة أرسل إليهم عثمان بن حنيف عمران بن حصين الخزاعى صاحب راية النبى ﷺ على خزاعة يوم الفتح ليعلم له علمهم ، فلما عاد إليه وذكر له حديثه مع أصحاب الجمل قال له عثمان بن حنيف : أشر علىّ يا عمران . فقال له : إنى قاعد ، فاقعد . فقال عثمان : بل أمنعهم حتى يأتى أمير المؤمنين على . وأشار عليه هشام بن عامر الانصارى - أحد الصحابة المجاهدين الفاتحين - بأن يسالمهم حتى يأتى أمر على ، فأبى عثمان بن حنيف ونادى فى الناس ، فلبسوا السلاح ، وأقبل عثمان على الكيد (الطبرى ٥ : ١٧٤ - ١٧٥) ، وكانت العاقبة فشله وخروج الأمر من يده إلى أيدى أصحاب الجمل . ووقع ابن حنيف فى أسر الجماهير فنتفت لحيته ، ثم أنقذه أصحاب الجمل منهم فانسحب إلى معسكر على فى الثعلبية ثم فى ذى قار . هذا هو عثمان بن حنيف وموقفه من أصحاب الجمل . أما حكيم بن جبلة فالقارىء يعلم أنه من قتلة أمير المؤمنين عثمان ، وقد تقدم التعريف به فى ص ١١٥ - ١١٦ .

(١) الزابوقة : موضع قريب من البصرة كانت فيه وقعة الجمل فى دورها الأول بعد أن خطب طلحة والزبير وعائشة فى المربد . أما مصرع حكيم بن جبلة فكان بعد المعارك الأولى التى انتهت بغلبة أصحاب الجمل واستيلائهم على الحكم فى البصرة ، فتمرد حكيم بن جبلة على هذه الحالة الجديدة وقاتل مع ثلاثمائة من أعوانه حتى قتل

(٢) أى مقاتلا

خير كان له فى المدافعة ، وعن أى شيء كان يدافع؟ وهم ما جاءوا مقاتلين ولا ولاة ، وإنما جاءوا ساعين فى الصلح ، راغبين فى تأليف الكلمة ، فمن خرج إليهم ودافعهم وقاتلهم دافعوا عن مقصدهم ، كما يُفعل فى سائر الأسفار والمقاصد

فلما وصلوا إلى البصرة تلقاهم الناس بأعلى المرْبد مجتمعين (١) ، حتى لو رمى حجر ما وقع إلا على رأس انسان . فتكلم طلحة [وتكلم الزبير] وتكلمت عائشة رضى الله عنهم (٢)

وكثر اللغط (٣) ، وطلحة يقول « أنصتوا ! » فجعلوا يركبونه ولا

---

(١) مربد البصرة : موضع كانت تقام فيه سوق الإبل خارج البلد ، ثم صارت تكون فيه مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء . ثم اتسع عمران البصرة فدخل المربد فى العمران فكان من أجلّ شوارعها ، وسوقه من أجل أسواقها ، وصار محلة عظيمة سكنها الناس . ولما انحطت منزلة البصرة وهرم عمرانها تضاءلت ، فأمسى المربد بائناً عنها حتى كان بينه وبين البصرة فى زمن ياقوت ثلاثة أميال ، والمربد خراب كالبلدة المفردة فى وسط البرية . وكان موضع البصرة يومئذ قريباً من موضع ضاحيتها الزبير فى أيامنا هذه

(٢) كان أصحاب الجمل فى ميمنة المربد، وعثمان بن حنيف ومن معه فى ميسرته . وقد لخص الطبرى (٥ : ١٧٥) خطب طلحة والزبير وعائشة راوياً ذلك عن سيف بن عمر التميمى عن شيوخه ، وهم أعرف الاخباريين بحوادث العراق

(٣) لأن الذين فى الميسرة كانوا يقولون تعليقاً على خطبتى طلحة والزبير : فجرا ، وغدرا ، وقالا الباطل ، وأمرا به . قد بايعا ثم جاءا يقولان مايقولان. والذين كانوا فى الميمنة يقولون : صدقا ، وبرا ، وقالا الحق ، وأمرا بالحق . وتحاثى الناس وتحاصبوا وأرهجوا . إلا أنه لما انتهت عائشة من خطبتها =

يتصنتون ، فقال « أف ، أف . فراش نار ، وذباب طمع » وانقلبوا على غير بيان [١]

وانحدروا إلى بنى نهد ، فرماهم الناس بالحجارة حتى نزلوا الجبل [٢]

والتقى طلحة والزبير وعثمان بن حنيف ـ عامل علىّ على البصرة ـ وكتبوا بينهم أن يكفوا عن القتال ، ولعثمان دار الإمارة والمسجد وبيت المال ، وأن ينزل طلحة والزبير من البصرة حيث شاءا ، ولا

= ثبت الذين مع أصحاب الجمل على موالاتهم لهم ، وافترق أصحاب عثمان بن حنيف فرقتين فقالت فرقة : صدقت والله وبرت وجاءت بالمعروف ، وقال الآخرون: كذبتم ما نعرف ما تقولون . فتحاثوا وتحاصبوا وأرهجوا

(١) لما رأت عائشة ما يفعل أنصار عثمان بن حنيف انحدرت وانحدر أهل الميمنة مفارقين لابن حنيف حتى وقفوا فى موضع آخر ، ومال بعض الذين كانوا مع ابن حنيف الى عائشة وبقى بعضهم مع عثمان بن حنيف (الطبرى ٥ : ١٧٥)

(٢) حفظ لنا الطبرى (٥ : ١٧٦ - ١٧٧) وصفاً دقيقا نقله سيف بن عمر التميمى عن شيخيه محمد بن عبد الله بن سواد بن نويرة وطلحة بن الأعلم الحنفى عن موقف أصحاب الجمل السلمى فى هذه الوقعة ، وإسراف حكيم بن جبلة فى إنشاب القتال . قالا : وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا الى مقبرة بنى مازن ثم حجز الليل بين الفريقين . وفى اليوم التالى انتقل اصحاب الجمل الى جهة دار الرزق ، واصبح عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة فجددوا القتال ، وكان حكيم يطيل لسانه بسب أم المؤمنين ويقتل من يلومه على ذلك من نساء ورجال ، ومنادى عائشة يدعو الناس الى الكف عن القتال فيأبون ، حتى اذا مسهم الشر وعضهم نادوا أصحاب عائشة الى الصلح

بعرض بعضهم لبعض حتى يقدم عليّ (١)

وروى أن حكيم بن جبلة عارضهم حينئذ ، فقتل بعد الصلح (٢)

وقدم عليّ البصرة (٣) ، وتدانوا ليتراءوا (٤) ، فلم يتركهم أصحاب

---

(١) ونص كتاب الصلح فى تاريخ الطبرى (٥ : ١٧٧) . ولما بلغ علياً ما وقع كتب الى عثمان بن حنيف يصفه بالعجز . وجمع طلحة والزبير الناس وقصدوا المسجد وانتظروا عثمان بن حنيف فأبطأ ولم يحضر ووقعت فتنة فى المسجد من رعاع البصرة أتباع حكيم بن جبلة ، وكان لها رد فعل من أناس ذهبوا الى عثمان بن حنيف ليحضروه فتوطأه الناس ونتفوا شعر وجهه ، أمرهم بذلك مجاشع بن مسعود السلمى زعيم هوازن وبنى سليم والأعجاز من قبائل البصرة (الطبرى ٥ : ١٧٨)

(٢) وبيان ذلك فى تاريخ الطبرى (٥ : ١٧٩ - ١٨٢) وانظر كتابنا هذا ص ١١٦

(٣) فنزل مكانا منها يسمى الزاوية . وكان أصحاب الجمل نازلين مكانا منها يسمى الفرضة

(٤) عند موضع قصر عبيد الله بن زياد ، وكان ذلك يوم الخميس فى النصف من جمادى الآخرة سنة ٣٦ (الطبرى ٥ : ١٩٩) . وكان الصحابى الجليل القعقاع بن عمرو التميمى قد قام بين الفريقين بالوساطة الحكيمة المعقولة ، فاستجاب له أصحاب الجمل ، وأذعن عليّ لذلك ، وبعث عليّ الى طلحة والزبير يقول : « ان كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل فننظر فى هذا الأمر » ، فأرسلا اليه : « إنا على ما فارقنا عليه القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس » . قال الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٧ : ٢٣٩) : فاطمأنت النفوس وسكنت واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين . فلما =

الأهواء ، وبادروا باراقة الدماء . واشتجر الحرب ، وكثرت الغوغاء على البوغاء . كل ذلك حتى لايقع برهان ، ولا يقف الحال على بيان ، ويخفى قتلة عثمان . وإن واحداً فى الجيش يفسد تدبيره ، فكيف بألف !

وقد روى أن مروان لما وقعت عينه فى الاصطفاف على طلحة قال : لا نطلب أثراً بعد عين ، ورماه بسهم فقتله (١) . ومن يعلم هذا إلا علام

= أمسوا بعث على عبد الله بن عباس اليهم ، وبعثوا محمد بن طلحة السجاد الى على ، وعولوا جميعاً على الصلح ، وباتوا بخير ليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية . وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط ، قد أشرفوا على الهلكة . وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها ، حتى اجتمعوا على إنشاب الحرب فى السر ، واستسرّوا بذلك خشية أن يُفطن بما حاولوا من الشر . فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم جيرانهم ، انسلوا الى ذلك الامر انسلالا (وانظر مع ذلك الموضع من تاريخ ابن كثير تاريخ الطبرى ٥ : ٢٠٢ - ٢٠٣ ومنهاج السنة ٢ : ١٨٥ و٣ : ٢٢٥ و٢٤١) وهكذا أنشبوا الحرب بين على وأخويه الزبير وطلحة ، فظن أصحاب الجمل أن علياً غدر بهم ، وظن على أن اخوانه غدروا به ، وكل منهم أتقى لله من أن يفعل ذلك فى الجاهلية فكيف بعد أن بلغوا أعلى المنازل من أخلاق القرآن

(١) آفة الأخبار رواتها . وفى العلوم الاسلامية علاج آفة الكذب الخبيثة ، فان كل راوى خبر يطالبه الاسلام بأن يعين مصدره على قاعدة « من أين لك هذا ؟ » . ولا تعرف أمة مثل هذه الدقة فى المطالبة بمصادر الأخبار كما عرفه المسلمون ، ولا سيما أهل السنة منهم . وهذا الخبر عن طلحة ومروان « لقيط » لا يعرف أبوه ولا صاحبه . وما دام لم ينقله ثبت بسند معروف عن رجال ثقات فان للقاضى ابن العربى أن يقول بملء فيه : ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب ؟!

الغيوب ، ولم ينقله ثبت ؟

وقد روى [أنه] أصابه سهم بأمر مروان ، لا أنه رماه (١)

وقد خرج كعب بن سور بمصحف منشور بيده يناشد الناس أن يريقوا دماءهم (٢) ، فأصابه سهم غرب فقتله (٣) ، ولعل طلحة مثله . ومعلوم أنه عند الفتنة وفى ملحمة القتال يتمكن أولو الإحن والحقود ، من

---

(١) وهذا الزعم كالزعم السابق فى ص ١٥٠ عن الزبير أن الأحنف هو الآمر بقتله

(٢) كعب بن سور الأزدى أول قضاة المسلمين على البصرة ولاه أمير المؤمنين عمر . قال الحافظ ابن عبد البر : كان مسلماً فى زمن النبى ﷺ لكنه لم يره

(٣) قال الحافظ ابن عساكر (٧ : ٨٥) فى ترجمة طلحة : وقالت عائشة لكعب بن سور الأزدى : « خل يا كعب عن البعير ، وتقدم بكتاب الله فادعهم إليه » ودفعت إليه مصحفاً ، وأقبل القوم وأمامهم السبأية يخافون أن يجرى الصلح ، فاستقبلهم كعب بالمصحف ، وعلىّ من خلفهم يزعهم ويأبون إلا إقداماً ، فلما دعاهم كعب رشقوه رشقاً واحداً فقتلوه ، ثم راموا أم المؤمنين ... فكان أول شىء أحدثته حين أبوا أن قالت : « أيها الناس ، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم » ، وأقبلت تدعو ، وضج أهل البصرة بالدعاء . وسمع على الدعاء فقال : ما هذه الضجة ؟ فقالوا : عائشة تدعو ويدعو الناس معها على قتلة عثمان وأشياعهم . فأقبل على يدعو وهو يقول : « اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم » . قلت : وهكذا اشترك صالحو الفريقين فى لعن قتلة أمير المؤمنين الشهيد المظلوم فى الساعة التى كان فيها قتلة عثمان ينشبون القتال بين صالحى المسلمين

حل العرى و نقض العهود . وكانت آجالا حضرت ، ومواعيد انتجزت(١)

فان قيل : لم خرجت عائشة رضى الله عنها وقد قال ﷺ لهن فى

---

(١) نقل الحافظ ابن عساكر (٧ : ٨٦ - ٨٧) قول الشعبى : رأى على بن أبى طالب طلحة ملقى فى بعض الأودية ، فنزل فمسح التراب عن وجهه ثم قال : « عزيز على أبا محمد أن أراك مجدلا فى الأودية وتحت نجوم السماء . إلى الله أشكو عُجرى وبُجرى » (قال الأصمعى : أى سرائرى وأحزانى التى تجول فى جوفى) . وقال : « ليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة » . وقال أبو حبيبة مولى طلحة : دخلت أنا وعمران بن طلحة على على بعد الجمل فرحب بعمران وأدناه وقال : « إنى لأرجو أن يجعلنى الله وأباك من الذين قال فيهم ﴿ ونزعنا ما فى قلوبهم من غل إخواناً على سرر متقابلين ﴾ ، وكان الحارث الأعور (*) جالساً فى ناحية فقال « الله أعدل من أن نقتلهم ويكونوا إخواننا فى الجنة » ، فقال له على : « قم إلى أبعد أرض الله وأسحقها ، فمن هو ذا إن لم أكن أنا وطلحة فى الجنة ؟ » وذكر محمد بن عبد الله أن علياً تناول دواة فحذف بها الأعور يريده بها فأخطأه . وقال له ابن الكواء (**) « الله أعدل من ذلك » ، فقام إليه على بدرة فضربه وقال له « أنت - لا أم لك - وأصحابك تنكرون هذا ؟ ! »

(*) هو الحارث بن عبد الله الهمدانى الحوثى أبو زهير الكوفى الأعور أحد كبار الشيعة. قال عنه الشعبى وابن المدينى : كذاب . قلت وإنما كان يدفعه الى الكذب تحزبه وتشيعه ، فالحزبية والتشيع والتعصب المذهبى من مدارج الباطل ، والاسلام دين الاعتدال والانصاف والصدق وأن تقول الحق ولو على نفسك

(**) ابن الكواء : عبد الله بن أبي أوفى اليشكرى أحد القائمين بالفتنة على عثمان . وبعد صفين والتحكيم كان على رأس الخوارج على على فلما حاجهم على وابن عباس رجع الى على قبل وقعة النهروان

حجة الوداع « هذه ثم ظهور الحُصُر[1] » . قلنا : حدث حديثين امرأة ، فان أبت فأربعة . ياعقول النسوان ألم أعهد إليكم ألا ترووا أحاديث البهتان ، وقدمنا لكم على صحة خروج عائشة البرهان[2] ، فلم تقولون

---

(١) فى مسند أحمد (٢ : ٤٤٦ الطبعة الاولى) من حديث صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ لما حج بنسائه قال « انما هى هذه الحجة ثم الزمن ظهور الحصر » . وفيه (٥ : ٢١٨ الطبعة الاولى) من حديث واقد بن أبى واقد الليثى عن أبيه انه ﷺ قال لنسائه فى حجته « هذه ثم ظهور الحصر » . وحديث أبى واقد فى باب فرض الحج من كتاب المناسك بسنن أبى داود (ك ١١ ب ١) . والحصر جمع حصير ، أى لزوم المنزل . ونقله الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٥ : ٢١٥) على أنه اشارة نبوية إلى أنه ﷺ ينعى لهن نفسه وأن هذه آخر حجة له ﷺ ، وليس فيه أمر منه بأن لا يزايلن الحصر الى حج أو مصلحة أو اصلاح بين الناس . فاستشهاد أعداء الصحابة بهذا الحديث على المنع مطلقا عده القاضى ابن العربى من البهتان لأنه استشهاد به لغير ما أراده النبى ﷺ

(٢) روى الامام ابن حزم فى بحث « وجوه الفضل والمفاضلة » من كتاب (الامامة والمفاضلة) المدرج فى الجزء الرابع من (الفِصَل) ص ١٣٤ عن شيخه أحمد بن محمد الخوزى عن أحمد بن الفضل الدينورى عن محمد بن جرير الطبرى أن علىّ بن أبى طالب بعث عمار بن ياسر والحسن بن على الى الكوفة إذ خرجت أم المؤمنين الى البصره . فلما أتياها اجتمع اليهما الناس فى المسجد ، فخطبهم عمار ، وذكر لهم خروج عائشة أم المؤمنين الى البصرة ثم قال لهم : « انى أقول لكم ، ووالله إنى لأعلم أنها زوجة رسول الله ﷺ فى الجنة كما هى زوجته فى الدنيا ، ولكن الله ابتلاكم بها لتطيعوها أو لتطيعوه » فقال له مسروق أو أبو الأسود : « يا أبا اليقظان ، فنحن مع من شهدت له بالجنة دون من لم تشهد له » فسكت عمار

ما لا تعلمون ؟ وتكررون ما وقع الانفصال عنه كأنكم لا تفهمون ؟ ﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾

وأما الذى ذكرتم من الشهادة على ماء الحوأب ، فقد بؤتم فى ذكرها بأعظم حُـوب (١) . ما كان قط شيء مما ذكرتم ، ولا قال النبي ﷺ ذلك الحديث ، ولا جرى ذلك الكلام ، ولا شهد أحد بشهادتهم ، وقد كتبت شهاداتكم بهذا الباطل وسوف تُسألون (٢)

---

(١) الحوب : الاثم

(٢) تقدم فى ص ١٤٨ بيان موضع الحوأب . وان الكلام الذى نسبوه إلى النبي ﷺ وزعموا أن عائشة ذكرته عند وصولهم إلى ذلك الماء ليس له موضع فى دواوين السنة المعتبرة . وقد رأينا خبره عند الطبرى (٥ : ١٧٠) فرأيناه يرويه عن اسماعيل بن موسى الفزارى (وهو رجل قال فيه ابن عدى : أنكروا منه الغلو فى التشيع) ، ويرويه هذا الشيعى عن على بن عابس الأزرق (قال عنه النسائى : ضعيف) ، وهو يرويه عن أبى الخطاب الهجرى (قال الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب : مجهول) وهذا الهجرى المجهول يرويه عن صفوان بن قبيصة الأحمسى (قال عنه الحافظ الذهبى فى ميزان الاعتدال : مجهول) . هـذا هو خبر الحوأب . وقد بنى على أعرابى زعموا أنهم لقوه فى طريق الصحراء ومعه جمل أعجبهم فأرادوا أن يكون هو جمل عائشة فاشتروه منه وسار الرجل معهم حتى وصلوا إلى الحوأب فسمع هذا الكلام ورواه ، مع أنه هو نفسه ـ أى الاعرابى صاحب الجمل ـ مجهول الاسم ولا نعرف عنه ان كان من الكذابين أو الصادقين . ويظهر لى أنه ليس من الكذابين ولا من الصادقين ، لأنه من أصله رجل موهوم لم يخلق ، ولأن جمل عائشة واسمه « عسكر » جاء به يعلى بن أمية من اليمن وركبته عائشة من مكة إلى العراق ، ولم تكن ماشية على رجليها حتى اشتروا لها جملا من هذا الاعرابى الذى =

قاصمة

ودارت الحرب بين أهل الشام وأهل العراق (١) : هؤلاء يدْعون إلى عليّ بالبيعة وتأليف الكلمة على الإمام ، وهؤلاء يدْعون الى التمكين من قتلة عثمان ويقولون : لا نبايع من يُؤوى القتلة (٢)

= زعموا أنهم قابلوه فى الصحراء ، وركبوا على لسانه هذه الحكاية السخيفة ليقولوا إن طلحة والزبير - المشهود لهما بالجنة ممن لا ينطق عن الهوى - قد شهدا الزور . ولو كنا نستجيز نقل الأخبار الواهية لنقلنا فى معارضة هذا الخبر خبراً آخر نقله ياقوت فى معجم البلدان (مادة حوأب) عن سيف بن عمر التميمى أن المنبوحة من كلاب الحوأب هى أم زمل سلمى بنت مالك الفزارية التى قادت المرتدين ما بين ظفر والحوأب فسباها المسلمون ووُهبت لعائشة فأعتقتها ، فقيلت فيها هذه الكلمة . وهذا الخبر ضعيف والخبر الذى أوردوه عن عائشة أوهى منه . وما برح الكذب بضاعة يتجر بها الذين لا يخافون الله

(١) فى موضع يسمى (صِفّين) بقرب الرقة على شاطىء الفرات آخر تخوم العراق وأول أرض الشام . سار إليها على بجيوشه فى أواخر ذى القعدة سنة ٣٦

(٢) لما انتهى على من حرب الجمل وسار من البصرة الى الكوفة فدخلها يوم الاثنين ١٢ من رجب ، أرسل جريرَ بن عبد الله البجلى الى معاوية فى دمشق يدعوه إلى طاعته . فجمع معاوية رءوس الصحابة وقادة الجيوش وأعيان أهل الشام واستشارهم فيما يطلب على ، فقالوا : لا نبايعه حتى يقتل قتلة عثمان ، أو يسلمهم إلينا . فرجع جرير الى على بذلك . فاستخلف على على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عامر ، وخرج منها فعسكر بالنخيلة أول طريق الشام من العراق ، وقد أشار عليه ناس بأن يبقى فى الكوفة ويبعث غيره الى الشام =

وعلىّ يقول لا أمكن طالبا من مطلوب ينفذ فيه مراده بغير حكم ولا حاكم ، ومعاوية يقول : لا نبايع متهما أو قاتلا له ، وهو أحد من يُطلب فكيف نحكِّمه او نبايعه ، وهو خليفة عدا وتسوّر

وذكروا فى تفاصيل ذلك كلمات آلت إلى استفعال رسائل [١] ، واستخراج أقوال ، وإنشاء أشعار ، وضرب أمثال تخرج عن سيرة السلف ، يقرؤها الخَلْف وينبذها الخلف [٢]

= فأبى . وبلغ معاوية أن علياً تجهز وخرج بنفسه لقتاله فأشار عليه رجاله أن يخرج هو أيضا بنفسه ، فخرج الشاميون نحو الفرات من ناحية صفين ، وتقدم على بجيوشه الى تلك الجهة . وكان جيش على فى مائة وعشرين ألفاً وجيش معاوية فى تسعين ألفاً ، وبدأ القتال فى ذى الحجة سنة ٣٦ بمناوشات ومبارزات ، ثم تهادنوا فى المحرم سنة ٣٧ واستؤنف القتال بعده ، وقتل فى هذه الحرب سبعون ألفاً ، وكانت الوقائع ٩٠ وقعة فى ١١٠ أيام ، وامتازت هذه الحرب بنبل الشجاعة فى القتال ، ونبل التعامل والاتصال عند التهادن والراحة . ثم كتب كتاب التحكيم يوم ١٣ صفر سنة ٣٧ على أن يعلن الحكمان حكمهما فى رمضان بدومة الجندل بمكان منها يسمى أذرح

(١) أى انتحالها زوراً ولا أصل لها . وأكثر ما تجد ذلك فيما يرويه أخباريو الشيعة عن رواة مجهولين أو كذابين . وأخفهم وطأة أبو مخنف لوط بن يحيى ، قال الحافظ الذهبى : « أبو مخنف أخبارى تالف ، لا يوثق به ، تركه أبو حاتم وغيره » . وقال فيه ابن عدىّ : « شيعى محترق صاحب أخبارهم » ، ثم جاء بعده آخرون منهم كانوا شراً على تاريخ الاسلام من لوط هــذا . فأفسدوا على الأمة معرفتها بماضيها

(٢) الخلف (بفتح الخاء وسكون اللام) : الطالح . وفى التنزيل ﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتابَ يأخذون عرَض هذا الأدنى ﴾ . والخلف =

عاصمة

أما وجود الحرب بينهم فمعلوم قطعا . وأما كونه بهذا السبب فمعلوم كذلك قطعاً ، وأما الصواب فيه فمع عليّ ، لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم ، وتهمة الطالب للقاضى لا توجب عليه أن يخرج عليه ؛ بل يطلب [الحق] عنده ، فان ظهر له قضاء وإلا سكت وصبر ، فكم من حق يحكم الله فيه . وإن لم يكن له دين فحينئذ يخرج عليه ؛ فيقوم له عذر فى الدنيا [١]

= (بفتح الخاء واللام) : الصالح . ومنه الحديث « يحمل هـذا العلم من كل خلف عدوله . ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين »

(١) وجود قتلة عثمان فى معسكر على حقيقة لا يمارى أحد فيها ، بل إن الأشتر وهو من رءوس البغاة على عثمان كان أكبر مسعر للحرب بين أصحاب رسول الله ﷺ الذين فى معسكر على والذين فى معسكر معاوية . ولما طالب عليّ معاوية ومن معه من الصحابة والتابعين أن يبايعوه احتكموا اليه فى قتلة عثمان وطلبوا منه أن يقيم حد الله عليهم أو أن يسلمهم اليهم فيقيموا عليهم حد الله . وقد اعتذرنا عن أمير المؤمنين على فى هامش ص ١٤٦ بأن قتلة عثمان لما صاروا مع على فى العراق صاروا فى معقل قوتهم وعنجهية قبائلهم ، فكان عليّ يرى ـ بينه وبين نفسه ـ أن قتلهم يفتح عليه باباً لا يستطيع سده بعد ذلك . وقد انتبه لهـذه الحقيقة الصحابى الجليل القعقاع بن عمرو التميمى وتحدث بها مع أم المؤمنين عائشة وصاحبى رسول الله ﷺ طلحة والزبير فأذعنوا لها وعذروا علياً ووافقوا على التفاهم معه على ما يوصلهم الى الخروج من هذه الفتنة ، فما لبث قتلة عثمان أن أنشبوا الحرب بين الفريقين. فالمطالبون باقامة حد الله على قتلة عثمان معذورون لأنهم يطالبون بحق ، سواء كانوا =

ولئن اتهم عليّ بقتل عثمان فليس فى المدينة أحد من أصحاب النبى ﷺ إلا وهو متهم به ، أو قل معلوم قطعاً أنه قتله ، لأن ألف رجل جاءوا لقتل عثمان لا يغلبون أربعين ألفاً [١]

= من أصحاب الجمل ، أو من أهل الشام . وتقصير على فى إقامة حد الله كان عن ضرورة قائمة ومعلومة . ولكن إذا كانت حرب البصرة ناشئة عن انشاب قتلة عثمان الحرب بين الفريقين الأولين ، فقد كان من مصلحة الاسلام أن لا تنشب حرب صفين بين الفريقين الآخرين . وكان سبط رسول الله ﷺ الحسن بن على كارهاً خروج أبيه من المدينة الى العراق لما يخشاه من نشوب الحرب مع أهل الشام . ولو أن علياً لم يتحرك من الكوفة استعداداً لهذا القتال لما حرك معاوية فيه ساكناً . قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢ : ٢١٩) : «لم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداء» . ومع ذلك فان هذه الحرب المثالية هى الحرب الانسانية الأولى فى التاريخ التى جرى فيها المتحاربان معاً على مبادىء الفضائل التى يتمنى حكماء الغرب لو يعمل بها فى حروبهم ولو فى القرن الحادى والعشرين . وإن كثيراً من قواعد فقه الحرب فى الاسلام لم تكن لتعلم وتدون لولا وقوع هذه الحرب ، ولله فى كل أمر حكمة

(١) ليس فى أهل السنة رجل واحد يتهم علياً بقتل عثمان ، لا فى زماننا ولا فى زمانه . وقد مضى الكلام على ذلك فى هذا الكتاب . وكل ما فى الأمر وجود قتلة عثمان مع على ، وموقف على منهم ، وعذره بينه وبين الله فى موقفه هذا . فنحن جميعاً على رأى القعقاع بن عمرو بأن موقف على موقف ضرورة . غير أن الحمق من أخباريى الشيعة دسوا على عليّ أخباراً تشعر بغير ما كان فى قلبه من المحبة والرضا والموالاة والتأييد لعثمان أثناء محنته . فأساءوا بذلك إلى على من حيث يريدون الاساءة إلى عثمان . أما معاوية =

وهبك أن عليا وطلحة والزبير تضافروا على قتل عثمان ، فباقى الصحابة من المهاجرين والأنصار ومن اعتدّ فيهم وضوى اليهم ماذا صنعوا بالقعود عن نصرته ؟

ولا يخلو أن يكون لأنهم رأوا أولئك طلبوا حقا وفعلوا حقا ، فهذه شهادة قائمة على عثمان فلا كلام لأهل الشام . وإن كانوا قعدوا عنه استهزاء بالدين ، وأنهم لم يكن لهم رأى فى الحال ، ولا مبالاة عندهم بالاسلام ولا فيما يجرى فيه من اختلال ، فهى ردة ليست معصية . لأن التهاون بحدود الدين وإسلام حرمات الشريعة للتضييع كفر ، وإن كانوا قعدوا لأنهم لم يروا أن يَتعدوا حدّ عثمان وإشارته فأىّ ذنب لهم فيه؟ وأى حجة لمروان — وعبدُ الله بن الزبير والحسن والحسين وابن عمر وأعيان العشرة معه فى داره يدخلون إليه ويخرجون عنه فى الشكة والسلاح — والطالبون ينظرون ؟ ولو كان لهم بهم قوة أو أووا إلى ركن شديد لما مكنوا أحداً أن يراه منهم ولا يداخله ، وإنما كانوا نظارة ، فلو قام فى وجوههم الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله ابن الزبير ماجسروا ، ولو قتلوهم ما بقى على الأرض منهم حىّ

ولكن عثمان سلم نفسه ،فترُك ورأيه . وهى مسألة اجتهاد كما قدمنا[1]

— وفريقه فلم يذكروا علياً فى أمر البغى على عثمان إلا لمناسبة انضواء قتلة عثمان اليه واستعانته بهم . فقتلة عثمان هم الذين أساءوا إلى الاسلام وإلى عثمان وإلى على أيضاً ، فالله حسيبهم . ولو أن كل المسلمين كانوا كعبد الرحمن بن خالد بن الوليد فى حزمه ـ قبل أن تستفحل الفتنة ويفلت الزمام من أيدى العقلاء ـ لما وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه

(١) فى ص ١٣٧ ، وانظر هامش ص ١٣٢

وأى كلام كان يكون لعلىّ — لما تمت له البيعة — لو حضر عنده ولىّ عثمان وقال له : إن الخليفة قد تمالأ عليه ألف نسمة حتى قتلوه ، وهم معلومون . ماذا كان يقول إلا : أثبت ، وخذ . وفى يوم كان يثبت ، إلا أن يثبتوا هم أن عثمان كان مستحقا للقتل (١)

وبالله لتعلمنّ يامعشر المسلمين أنه ما كان يثبت على عثمان ظلم أبدا . وكان يكون الوقت أمكن للطالب ، وأرفق فى الحال ، وأيسر وصولا الى المطلوب (٢)

---

(١) المؤلف معترف بأن الاثبات كان فى متناول اليد ، لأن الجريمة مشهودة ، والمجرمون أعلنوا فيها فجورهم فلم يتكتموا . ولكن كيف يكون التنفيذ ، ومن الذى يقوم به ومدينة الرسول مستكينة تحت وطأة الارهاب؟ ومن ذا الذى يضمن لعلى حياته إذا أصدر هذا الحكم ؟ أليس هؤلاء هم الذين تداولوا فى قتله لما عقدوا مؤتمرهم فى ذى قار بعد خطبة على التى ألقاها على الغرائر قبيل مصيره إلى البصرة (الطبرى ٥ : ١٦٥) ؟ ألم يسخط الأشتر على أمير المؤمنين علىّ بعد وقعة الجمل لأنه ولى ابن عمه عبدالله بن عباس على البصرة ولم يولها الأشتر ، ففارقه غاضباً ، ولحق به على فتلافى ما يكون منه من الشر (الطبرى ٥ : ١٩٤ ، وانظر هامش ١١٩ من هذا الكتاب). والخوارج على علىّ ألم ينبتوا من هذه النواة ؟ ولما قتل على ألم يقتل بمثل السلاح الذى قتل به عثمان ؟

(٢) كان يكون الوقت أمكن للطالب لو وجدت فى المدينة القوة التى كان يتمناها عثمان . ويقال إن قوة من جند الشام كانت خرجت من دمشق قاصدة المدينة ، فلما جاءها خبر شهادة أمير المؤمنين عثمان رجعت من الطريق ، فبقيت المدينة خاضعة لقتلة عثمان حتى بعد البيعة لعلى ، وهم إن نزلوا على أحكام هذه البيعة فيما لا ضرر منه عليهم ، لاريب أنهم ينقلبون وحوشاً ضارية لو صدرت عليهم أحكام الله باقامة الحدود فيما ارتكبوا من جرم شنيع

والذى يكشف الغطاء فى ذلك أن معاوية لما صار إليه الأمر لم يمكنه أن يقتل من قتلة عثمان أحدا إلا بحكم ، إلا من قتل فى حرب بتأويل ، أو دس عليه فيما يقال (١) . حتى انتهى الأمر الى زمن الحجاج ، وهم يقتلون بالتهمة لا بالحقيقة (٢) . فتبين لكم أنهم ما كانوا فى ملكهم يفعلون ما أصبحوا له يطلبون

والذى تثلج به صدوركم أن النبى ﷺ ذكر فى الفتن ، وأشار وبين . وأنذر بالخوارج وقال « تقتلهم أدنى الطائفتين الى الحق (٣) » . فبين أن كل طائفة [منهما] تتعلق بالحق ، ولكن طائفة علىّ أدنى اليه (٤) . وقال تعالى ﴿ وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا

---

(١) إن سطوة الله وعدله الأعلى نزلا بأكثر قتلة عثمان فلم يبق منهم فى ولاية معاوية إلا المشرّد الخائف الباحث عن جحر يختبىء فيه . وبزوال سطوتهم وتقلص شرهم لم يبق بمعاوية حاجة إلى تتبعهم

(٢) يشير المؤلف إلى حادثة عمير بن ضابىء وكميل النخعى ، وقد تقدم خبرهما فى ص ١٢٩ - ١٣٠

(٣) فى صحيح مسلم (ك ١٢ ح ١٥٠ ج ٣ ص ١١٣) من حديث أبى سعيد الخدرى : « تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق »

(٤) أهل السنة المحمدية يدينون لله على أن علياً ومعاوية ومن معهما من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا جميعاً من أهل الحق ، وكانوا مخلصين فى ذلك والذى اختلفوا فيه إنما اختلفوا عن اجتهاد ، كما يختلف المجتهدون فى كل ما يختلفون فيه . وهم لاخلاصهم فى اجتهادهم مثابون عليه فى حالتى الاصابة والخطأ ، وثواب المصيب أضعاف ثواب المخطىء ، وليس بعد رسول الله ﷺ بشر معصوم عن أن يخطىء ، وقد يخطىء بعضهم فى أمور ويصيب فى أخرى ، ←

بينهما . فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله . فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين ﴾ (سورة الحجرات : ٩) فلم يخرجهم عن « الايمان » بالبغى

= وكذلك الآخرون . ومن مرق عن الحق فى إثارة الفتنة الأولى على عثمان لا يعد من إحدى الطائفتين اللتين على الحق وإن قاتل معها والتحق بها ، لأن الذين تلوثت أيديهم ونياتهم وقلوبهم بالبغى الظالم على أمير المؤمنين عثمان - كائناً من كانوا - استحقوا إقامة الحد الشرعى عليهم سواء استطاع ولى الأمر أن يقيم عليهم هذا الحد أو لم يستطع . وفى حالة عدم استطاعته فان مواصلتهم تسعير القتال بين صالحى المسلمين كلما أحسوا منهم بالعزم على الاصلاح والتآخى - كما فعلوا فى وقعة الجمل وبعدها - يعد إصراراً منهم على الاستمرار فى الاجرام ماداموا على ذلك . فاذا قلنا إن الطائفتين كانتا من أهل الحق فانما نريد أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا فى الطائفتين ومن سار معهم على سنته ﷺ من التابعين ، ونرى أن علياً المبشر بالجنة أعلى مقاماً عند الله من معاوية خال المؤمنين وصاحب رسول رب العالمين ، وكلاهما من أهل الخير . وإذا اندس فيهم طوائف من أهل الشر فان من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . نقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٧ : ٢٧٧) عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الشعبانى قاضى إفريقية المتوفى سنة ١٥٦ وكان رجلا صالحاً من الآمرين بالمعروف - وذكر أهل صفين - فقال : « كانوا عرباً يعرف بعضهم بعضاً فى الجاهلية ، فالتقوا فى الاسلام معهم على الحمية وسنة الاسلام ، فتصابروا ، واستحيوا من الفرار ، وكانوا إذا تحاجزوا دخل هؤلاء فى عسكر هؤلاء وهؤلاء فى عسكر هؤلاء ، فيستخرجون قتلاهم فيدفنونهم » . قال الشعبى : « هم أهل الجنة ، لقى بعضهم بعضاً . فلم يفر أحد من أحد »

بالتأويل ، ولا سلبهم اسم « الاخوّة » بقوله بعده ﴿ إنما المؤمنون إخوةٌ فأصلحوا بين أخويكم ﴾ (الحجرات : ١٠)

وقال ﷺ فى عمار : « تقتله الفئة الباغية (١) »

وقال فى الحسن « ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتينِ من المسلمين » ، فحسَّنَ له خلعه نفسَه وإصلاحه (٢)

---

(١) قال النبى ﷺ ذلك لما كانوا يبنون المسجد ، فكان الناس ينقلون لبنة لبنة وعمار ينقل لبنتين لبنتين ، فقال النبى ﷺ فيه هذه الكلمة على ما رواه أبو سعيد الخدرى لعكرمة مولى ابن عباس ولعلى بن عبد الله بن عباس وهو فى كتاب الجهاد والسير من صحيح البخارى (ك ٥٦ ب ١٧ ج ٣ ص ٢٠٧) . وقد كان معاوية يعرف من نفسه أنه لم يكن منه البغى فى حرب صفين، لأنه لم يردها ، ولم يبتدئها ، ولم يأت لها إلا بعد أن خرج على من الكوفة وضرب معسكره فى النخيلة ليسير الى الشام كما تقدم فى ص١٦٢-١٦٣ ، ولذلك لما قتل عمار قال معاوية « إنما قتله من أخرجه » . وفى اعتقادى الشخصى أن كل من قتل من المسلمين بأيدى المسلمين منذ قتل عثمان فانما إثمه على قتلة عثمان لأنهم فتحوا باب الفتنة ، ولأنهم واصلوا تسعير نارها ، ولأنهم الذين أوغروا صدور المسلمين بعضهم على بعض ، فكما كانوا قتلة عثمان فانهم كانوا القاتلين لكل من قتل بعده ، ومنهم عمار ومن هم أفضل من عمار كطلحة والزبير، إلى أن انتهت فتنتهم بقتلهم علياً نفسه وقد كانوا من جنده وفى الطائفة التى كان قائماً عليها . فالحديث من أعلام النبوة . والطائفتان المتقاتلتان فى صفين كانتا طائفتين من المؤمنين . وعلى أفضل من معاوية . وعلى ومعاوية من صحابة رسول الله ﷺ ومن دعائم دولة الاسلام . وكل ما وقع من الفتن فإثمه على مسعّرى نارها لأنهم السبب الأول فيها ، فهم الفئة الباغية التى قتل بسببها كل مقتول فى وقعتى الجمل وصفين وما تفرع عنهما

(٢) سيأتى الكلام على هذا عند الكلام على الصلح بين الحسن ومعاوية

وكذلك يروى أنه أذن فى الرؤيا لعثمان فى أن يستسلم ويفطر عنده الليلة (١)

فهذه كلها أمور جرت على رسم النزاع ، ولم تخرج عن طريق من طرق الفقه ، ولا عدت سبيل الاجتهاد الذى يؤجر فيه المصيب عشرة والمخطىء أجراً واحداً (٢)

---

(١) مضى الكلام على ذلك فى ص ١٣٨ ١٣٩

(٢) قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢ : ٢١٩ - ٢٢٠) : ولم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداء ، بل كان من أشد الناس حرصاً على أن لا يكون قتال ، وكان غيره أحرص على القتال منه . وقتال صفين للناس فيه أقوال : فمنهم من يقول كلاهما كان مجتهداً مصيباً ، كما يقول ذلك كثير من أهل الكلام والفقه والحديث ممن يقول : كل مجتهد مصيب ، ويقول : كانا مجتهدين . وهذا قول كثير من الأشعرية والكرامية والفقهاء وغيرهم ، وهو قول كثير من أصحاب أبى حنيفة والشافعى وأحمد وغيرهم . وتقول الكرامية: كلاهما إمام مصيب ويجوز نصب إمامين للحاجة . ومنهم من يقول : بل المصيب أحدهما لا بعينه ، وهذا قول طائفة منهم . ومنهم من يقول : على هو المصيب وحده ومعاوية مجتهد مخطىء ، كما يقول ذلك طوائف من أهل الكلام والفقهاء أهل المذاهب الأربعة . وقد حكى هذه الأقوال الثلاثة أبو عبد الله حامد من أصحاب الامام أحمد وغيره . ومنهم من يقول : كان الصواب أن لا يكون قتال ، وكان ترك القتال خيراً للطائفتين ، فليس فى الاقتتال صواب، ولكنْ على كان أقرب إلى الحق من معاوية ، والقتال قتال فتنة : ليس بواجب ولا مستحب ، وكان ترك القتال خيراً للطائفتين مع أن علياً كان أولى بالحق ، وهذا قول أحمد وأكثر أهل الحديث وأكثر أئمة الفقهاء ، وهو قول أكابر الصحابة والتابعين لهم باحسان ، وهو قول عمران بن حصين رضى الله عنه =

وما وقع من روايات فى كتب التاريخ — عدا ماذكرنا — فلا تلتفتوا الى حرف منها ، فانها كلها باطلة

قاصمة التحكيم

وقد تحكم الناس فى التحكيم فقالوا فيه مالا يرضاه الله. وإذا لحظتموه بعين المروءة - دون الديانة - رأيتم أنها سخافة حمل على سطرها فى الكتب فى الأكثر عدمُ الدين ، وفى الأقل جهل متين

والذى يصحّ من ذلك ما روى الأئمة كخليفة بن خياط (١) ، والدارقطنى(٢) : أنه لما خرج الطائفة العراقية مائة ألف والشامية فى سبعين أو

= وكان ينهى عن بيع السلاح فى ذلك القتال ويقول : هو بيع السلاح فى الفتنة . وهو قول أسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة وابن عمر وسعد بن أبى وقاص وأكثر من بقى من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم . ولهذا كان من مذهب أهل السنة الامساك عما شجر بين الصحابة فانه قد ثبتت فضائلهم ووجبت موالاتهم ومحبتهم »

(١) هو الامام الحافظ أبو عمرو خليفة بن خياط العصفرى البصرى ، أحد أوعية العلم ، ومن شيوخ الامام البخارى . قال عنه ابن عدى : هو صدوق مستقيم الحديث من متيقظى رواة السنة . توفى سنة ٢٤٠

(٢) هو الامام الحافظ أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى (٣٠٦-٣٨٥) كان مع جلالته فى الحديث من أئمة فقهاء الشافعية ، وله تقدم فى الأدب ورواية الشعر . وجاء من بغداد إلى مصر ليساعد ابن حنزابة وزير كافور على تأليف مسنده فبالغ الوزير فى إجلاله . قال الحافظ عبد الغنى بن سعيد « أحسن الناس كلاماً على حديث رسول الله ﷺ ثلاثة : على بن المدينى فى وقته ، وموسى ابن هارون القيسى فى وقته ، والدارقطنى فى وقته »

تسعين ألفا ونزلوا على الفرات بصفين ، اقتتلوا فى أول يوم وهو الثلاثاء على الماء فغلب أهل العراق عليه (١)

ثم التقوا يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة [سبع وثلاثين] ويوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت (٢) ، ورفعت المصاحف من أهل الشام ، ودعوا الى الصلح ، وتفرَّقوا على أن تجعل كل طائفة أمرها إلى رجل حتى يكون الرجلان يحكمان بين المدعويين بالحق ، فكان من جهة عليّ أبو موسى (٣) ، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص

---

(١) لم يكن القتال على الماء جدياً ، وقد قال عمرو بن العاص يومئذ « ليس من النصف أن نكون ريانين وهم عطاش » . والذين تظاهروا فى الجيش الشامى بمنع العراقيين عن الماء أرادوا أن يذكروهم بمنعهم الماء عن أمير المؤمنين عثمان فى عاصمة خلافته وهو الذى اشترى بئر رومة من ماله ليستقى منه إخوانه المسلمون . وبعد اشتراكهم فى الماء تناوشوا شهر ذى الحجة من سنة ٣٦ ثم تهادنوا شهر المحرم من سنة ٣٧ ، ووقعت وقائع شهر صفر التى سيشير إليها المؤلف

(٢) وكانت تسمى « ليلة الهرير » اقتتل الناس فيها حتى الصباح

(٣) وكان آخر العهد بأبى موسى عند ما كان والياً على الكوفة ، وجاء دعاة عليّ يحرضون الكوفيين على لبس السلاح والالتحاق بجيش على استعداداً لما ينتظرونه من قتال مع أصحاب الجمل فى البصرة ، ثم مع أنصار معاوية فى الشام . فكان أبو موسى يشفق على دماء المسلمين أن تسفك بتحريض الغلاة ، ويذكر أمة محمد ﷺ بقول نبيهم فى الفتنة « القاعد فيها خير من القائم » ، فتركه الأشتر يحدث الناس فى المسجد بالحديث النبوى ، وأسرع إلى دار الامارة فاحتلها . فلما عاد إليها أبو موسى منعه الأشتر من الدخول وقال له : اعتزل إمارتنا . فاعتزلهم أبو موسى واختار الاقامة فى قرية يقال لها =

وكان أبو موسى رجلا تقياً ثقفاً فقيها عالما حسبما بيناه فى كتاب (سراج المريدين) ، أرسله النبي ﷺ الى اليمن مع معاذ ، وقدّمه عمر وأثنى عليه بالفهم [١] . وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأى مخدوعا فى القول ، وأن ابن العاص كان ذا دهاء وأرب حتى ضَربت الأمثال بدهائه تأكيداً لما أرادت من الفساد ، اتبعَ فى ذلك بعضُ الجهال بعضا وصنفوا فيه حكايات . وغيره من الصحابة كان أحذقَ منه وأدهى . وإنما بنوا ذلك على أن عمراً لما غدر أبا موسى فى قصة التحكيم صار له الذكرُ فى الدهاء والمكر

وقالوا : انهما لما اجتمعا بأذرُح من دومة الجندل [٢] ، وتفاوضا ، اتفقا على أن يخلعا الرجلين [٣] . فقال عمرو لأبى موسى : اسبق بالقول .

= عُرض بعيداً عن الفتن وسفك الدماء . فلما شبع الناس من سفك الدماء واقتنعوا بأن أبا موسى كان ناصحاً للسلمين فى نهيهم عن القتال طلبوا من على أن يكون هو ممثل العراق فى أمر التحكيم ، لأن الحالة التى كان يدعو إليها هى التى فيها الصلاح . فأرسلوا إلى أبى موسى وجاءوا به من عزلته

(١) واختصه بكتابه الشهير فى القضاء وآدابه وقواعده

(٢) أذرح : قرية من أعمال الشراة تقع فى منطقة بين أراضى شرق الاردن والمملكة السعودية فى الأطراف الجنوبية من بادية الشام

(٣) من الحقائق ما إذا أسيء التعبير عنه وشابته شوائب المغالطة يوهم غير الحقيقة ، فينشأ عن ذلك الاختلاف فى الحكم عليه . ومن ذلك حادثة التحكيم وقول المغالطين إن أبا موسى وعمرا اتفقا على خلع الرجلين ، فخلعهما أبو موسى ، واكتفى عمرو بخلع علىّ دون معاوية . وأصل المغالطة من تجاهل المغالطين أن معاوية لم يكن يومئذ خليفة ، ولا هو ادعى الخلافة حتى يحتاج =

فتقـدم فقال : إنى نظرتُ فخلعت عليا عن الأمـر ، وينظر المسلمون لأنفسهم ، كما خلعت سيفى هذا من عنق ـ أو من عاتق ـ وأخرجـه من

= عمرو الى خلعها عنه . بل إن أبا موسى وعمراً اتفقا على أن يعهدا بأمر الخلافة على المسلمين الى الموجودين على قيد الحياة من أعيـان الصحابة الذين توفى رسـول الله ﷺ وهو عنهم راض . واتفـاقُ الحـكمين على ذلك لا يتناول معاوية لأنه لم يكن خليفة ، ولم يقاتل على الخلافة، وانما كان يطالب باقامة الحدالشرعى على الذين اشتركوا فى قتل عثمان. فلما وقع التحكيم على إمامة المسلمين، واتفق الحكمان على ترك النظر فيها الى كبار الصحابة وأعيانهم تناول التحكيم شيئاً واحداً هو الإمامة . أما التصرف العملى فى ادارة البلاد التى كانت تحت يد كل من الرجلـين المتحـاربين فبقى كما كان : علىٌّ متصرف فى البلاد التى تحت حكمه ، ومعاوية متصرف فى البلاد التى تحت حكمه . فالتحكيم لم يقع فيه خداع ولا مكر ، ولم تتخلله بلاهة ولا غفلة . وكان يكون محل للمكر أو الغفلة لو أن عمراً أعلن فى نتيجة التحكيم أنه ولى معاوية إمارة المؤمنين وخلافة المسلمين ، وهذا مالم يعلنه عمرو ، ولا ادعاه معـاوية ، ولم يقـل به أحد فى الثلاثة عشر قرنا الماضية . وخلافة معاوية لم تبدأ إلا بعد الصلح مع الحسن بن على ، وقد تمت بمبايعـة الحسن لمعاوية ، ومن ذلك اليوم فقط سمى معاوية أمير المؤمنين . فعمرو لم يغالط أبا موسى ولم يخـدعه ، لأنه لم يعط معاوية شيئا جديدا ، ولم يقرر فى التحكيم غير الذى قرره أبو موسى ، ولم يخرج عما اتفقا عليه معا ، فبقيت العراق والحجاز وما يتبعهما تحت يد من كانت تحت يده من قبل ،وبقيت الشام وما يتبعها تحت يد من كانت تحت يده من قبل ، وتعلقت الامامة بما سيكون من اتفاق أعيان الصحـابة عليها . وأى ذنب لعمرو فى أى شىء مما وقع ؟ إن البلاهة لم تـكن من أبى موسى ، ولـكن ممن يريد أن يفهم الوقائع على غير ما وقعت عليـه . فليفهمها كل من شاء كما يشاء . أما هى ، فظاهرة واضحة لكل من يراها كما هى

عنقه فوضعه فى الأرض . وقام عمرو فوضع سيفه فى الأرض وقال : إنى نظرت فأثبتُّ معاوية فى الأمر (١) كما أثبتُّ سيفى هذا فى عاتقى . وتقلده : فأنكر أبو موسى ، فقال عمرو : كذلك اتفقنا . وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف

---

(١) أىُّ أمر ؟ إن كان الاستمرارَ فى إدارة البلاد التى تحت يده ، فان هذا الأمر ماض على معاوية وعلى معاً ، فكل منهما باق فى الحكم على ما تحت يده . وإن كان المراد بالأمر أمر الامامة العامة وإمارة المؤمنين فان معاوية لم يكن إماماً - أى خليفة - حتى يثبته عمرو كما كان . وقد أوضحنا هذه الحقيقة فى الفقرة السابقة . وهذه هى نقطة المغالطة التى هزأ بها مؤرخو الإفك المفترى فسخروا بجميع قرائهم وأوهموهم بأن هناك خليفتين أو أميرين للمؤمنين، وأن الاتفاق بين الحكمين كان على خلعهما معاً ، وأن أبا موسى خلع الخليفتين تنفيذاً للاتفاق ، وأن عمرا خلع أحدهما وأبقى الآخر خليفة خلافا للاتفاق . وهذا كله كذب وإفك وبهتان . والذى فعله عمرو هو نفس الذى فعله أبو موسى لا يفترق عنه قط فى نقير ولا قطمير . وبقى أمر الامامة أو الخلافة أو امارة المؤمنين معلقا على نظر أعيان الصحابة ليروا فيه رأيهم متى شاءوا وكيف شاءوا . وإذا كانت هذه الخطوة الثانية لم تتم فما فى ذلك تقصير من أبى موسى ولا من عمرو ، فهما قد قاما بمهمتهما بحسب ما ادى اليه اجتهادهما واقتناعهما . ولو لم تكلفهما الطائفتان معاً بأداء هذه المهمة لما تعرضا لها ، ولا أبديا رأياً فيها . ولو كان موقف أبى موسى فى هـذا الحادث التاريخى العظيم موقف بلاهة وفشل لكان ذلك سبة عليه فى التاريخ ، وإن الأجيال التى بعده فهمت موقفه على أنه من مفاخره التى كتب الله له بها النجاح والسداد ، حتى قال ذو الرمة الشاعر يخاطب حفيده بلال بن أبى بردة بن أبى موسى :

أبوك تلافى الدينَ والناس بعدما ... تشاءوا وبيت الدين منقطع الكسر

فشد إصـار الدين أيام أذرح ... ورد حروبا قـد لقحن إلى عقر

عاصمة

قال القاضي أبو بكر (رضي الله عنه) : هذا كله كذب صراح ، ما جرى منه حرف قط . وإنما هو شيء أخبر عنه المبتدعة ، ووضعته التاريخية للملوك ، فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع (١)

---

(١) إن التاريخ الاسلامي لم يبدأ تدوينه إلا بعد زوال بني أمية وقيام دول لا يسرّ رجالها التحدث بمفاخر ذلك الماضي ومحاسن أهله . فتولى تدوين تاريخ الاسلام ثلاث طوائف : طائفة كانت تنشد العيش والجدة من التقرب إلى مبغضي بني أمية بما تكتبه وتؤلفه . وطائفة ظنت أن التدين لا يتم ، ولا يكون التقرب الى الله ، إلا بتشويه سمعة أبي بكر وعمر وعثمان وبني عبد شمس جميعاً . وطائفة ثالثة من أهل الانصاف والدين - كالطبري وابن عساكر وابن الأثير وابن كثير - رأت أن من الانصاف أن تجمع أخبار الأخباريين من كل المذاهب والمشارب - كلوط بن يحيى الشيعي المحترق ، وسيف بن عمر العراقي المعتدل - ولعل بعضهم اضطر إلى ذلك إرضاء لجهات كان يشعر بقوتها ومكانتها . وقد أثبت أكثر هؤلاء أسماء رواة الأخبار التي أوردوها ليكون الباحث على بصيرة من كل خبر بالبحث عن حال راويه . وقد وصلت إلينا هـذه التركة لا على أنها هي تاريخنا ، بل على أنها مادة غزيرة للدرس والبحث يستخرج منها تاريخنا . وهذا ممكن وميسور إذا تولاه من يلاحظ مواطن القوة والضعف في هـذه المراجع ، وله من الألمعية ما يستخلص به حقيقة ما وقع ويجردها عن الذي لم يقع ، مكتفياً بأصول الأخبار الصحيحة عن الزيادات الطارئة عليها . وإن الرجوع إلى كتب السنة ، وملاحظات أئمة الأمة ، مما يسهل هذه المهمة . وقد آن لنا أن نقوم بهذا الواجب الذي أبطأنا فيه كل الابطاء . وأول من استيقظ في عصرنا للدسائس المدسوسة على تاريخ بني أمية العلامة الهندي الكبير الشيخ شبلي النعماني في انتقاده لكتب =

وإنما الذى روى الأئمة الثقات الأثبات أنهما لما اجتمعا للنظر فى الأمر — فى عصبة كريمة من الناس منهم ابن عمر ونحوه — عزل عمرو معاوية (١)

ذكر الدارقطنى بسنده إلى حضين بن المنذر(٢) : لما عزل عمرو معاوية جاء [أى حضين بن المنذر] فضرب فسطاطه قريباً من فسطاط معاوية ، فبلغ نبأه معاوية ، فأرسل إليه فقال : انه بلغنى عن هذا [أى عن عمرو] كذا وكذا (٣) ، فاذهب فانظر ما هـذا الذى بلغنى عنه . فأتيته فقلت : أخبرنى عن الأمر الذى وليت أنت وأبو موسى كيف صنعتما فيه؟ قال : قد قال النـاس فى ذلك ما قالوا ، والله ما كان الأمر على ما قالوا (٤) ، ولـكن قلت لأبى موسى : ما ترى فى هذا الأمر؟ قال : أرى أنه فى النفر الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض . قلت : فأين تجعلنى أنا

جرجى زيدان ، ثم أخذ أهل الألمعيـة من المنصفين فى دراسة الحقائق فبدأت تظهر لهم وللناس منيرة مشرقة ، ولا يبعد -إذا استمر هذا الجهاد فى سبيل الحق - أن يتغير فهم المسلمين لتاريخهم ، ويدركوا أسرار ماوقع فى ماضيهم من معجزات

(١) أى بتقريره مع أبى موسى أن إمامة المسلمين يترك النظر فيها إلى أعيان الصحابة

(٢) قال الدارقطنى : حدثنا ابراهيم بن همام ، حدثنا أبو يوسف الفلوسى وهو يعقوب بن عبدالرحمن بن جرير ، حدثنا الاسود بن شيبان ، عن عبدالله ابن مضارب عن حضين بن المنذر (وحضين من خواص على الذين حاربوا معه)

(٣) أى عزله علياً ومعاوية وتفويضه الأمر الى كبار الصحابة

(٤) أى أنهما لم يعزلا ، ولم يوليا ، ولـكن تركا الأمر لأعيان الصحابة

ومعاوية ؟ فقال : إن يُستعَنْ بكما ففيكما معونة ، وإن يُستغنَ عنكما فطالما استغنى أمرُ الله عنكما . قال : فكانت هي التي فتل معاوية منها نفسه. فأتيته فأخبرته [أي فأتى حضين معاوية فأخبره] أن الذى بلغه عنه كما بلغه . فأرسل الى أبى الأعور الذكوانى (١) فبعثه فى خيله ، فخرج يركض فرسه ويقول : أين عدوّ الله ، أين هذا الفاسق ؟

قال أبو يوسف (٢) : أظنه قال « إنما يريد حوباء نفسه » فخرج [عمرو] إلى فرس تحت فسطاطه فجال فى ظهره عرياناً ، فخرج يركضه نحو فسطاط معاوية وهو يقول : « إن الضجور قد تحتلب العلبة ، يامعاوية إن الضجور قد تحتلب العلبة (٣) » فقال معاوية : « أجلّ ، وتربذ الحالب فتدقّ أنفه ، وتكفأ إناءه (٤) » .

---

(١) هو أبو الأعور السلمى (وذكوان قبيلة من سُليم) واسمه عمرو بن سفيان ، كان من كبار قواد معاوية . وفى حرب صفين طلب الأشتر أن يبارزه فترفع عن ذلك لأنه لم ير الأشتر من أنداده

(٢) أى الفلوسى راوى هذا الخبر عن الأسود بن شيبان عن عبد الله بن مضارب عن حضين

(٣) الضجور : الناقة التى ترغو وتعربد عند الحلب . و « قد تحلب الضجور العلبة » مثل . ومعناه إن الناقة التى ترغو قد تحلب ما يملأ العلبة ، يضربونه للسيء الخلق قد يصاب منه الرفق واللين ، وللبخيل قد يستخرج منه المال

(٤) ربذت يده بالقداح أي خفت : والربذ خفة القوائم فى المشى ، وخفة الأصابع فى العمل . وفلان ذو ربذات : أى ذو فلتات وكثير السقط فى كلامه .

قال الدارقطني ـ وذكر سنداً عدلا (١) ـ : ربعي عن أبي موسى أن عمرو بن العاص قال : « والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال وهو يحلُّ لهما منه شيء لقد غُبِنا ونقص رأيهما . وايم الله ما كانا مغبونين ولا ناقصي الرأي . ولئن كانا امرأين يحرم عليهما هذا المال الذي أصبناه بعدهما لقد هلكنا . وايم الله ما جاء الوهم إلا من قبلنا (٢) »

فهذا كان بدء الحديث ومنتهاه . فأعرضوا عن الغاوين ، وازجروا العاوين ، وعرّجوا عن سبيل الناكثين ، إلى سنن المهتدين . وأمسكوا الألسنة عن السابقين إلى الدين . وإياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول الله ﷺ ، فقد هلك من كان أصحاب النبي ﷺ خصمه . ودعوا ما مضى ، فقد قضى الله فيه ما قضى . وخذوا لأنفسكم الجدّ فيما يلزمكم اعتقاداً وعملا . ولا تسترسلوا بألسنتكم فيما لا يعنيكم مع كل ناعق اتخذ الدين هملا ، فان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا . ورحم الله الربيع بن خيثم(٣) فانه لما قيل له : قتل الحسين ! قال : أقتلوه ؟ قالوا : نعم . فقال ﴿ اللهم فاطر السماوات والأرض عالم

(١) قال حدثنا محمد بن عبد الله بن ابراهيم ودعلج بن أحمد قالا : حدثنا محمد بن أحمد بن النضر . حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا زائدة ، عن عبد الله ابن عمر ، عن ربعي .. الخ وربعي هو ابن حراش العبسي أبو مريم الكوفي

(٢) أورد المؤلف هـذا الخبر للدلالة على ورع عمرو ومحاسبته لنفسه وتذكيرها بسيرة السلف

(٣) هو من تلاميذ عبد الله بن مسعود وأبي أيوب الانصاري وعمرو بن ميمون ، وأخذ عنه الامام الشعبي وابراهيم النخعي وأبو بردة . قال له ابن مسعود : لو رآك النبي ﷺ لأحبك . توفي سنة ٦٤

الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ (الزمر : ٤٦) . ولم يزد على هذا أبداً . فهذا العقل والدين، والكف عن أحوال المسلمين، والتسليم لرب العالمين

قاصمـــة

فإن قيل : إنما يكون ذلك فى المعانى التى تشكل ، وأما هذه الأمور كلها فلا إشكال فيهـا ، لأن النبي ﷺ نصّ على استخلاف عليّ بعده فقال « أنت منى بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدى [1] » ، [وقال] : « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله [2] » ، فلم يبق بعد هذا خلاف لمعاند

---

(١) فى كتاب المغازى من صحيح البخارى (ك ٦٤ ب ٧٨ ج ٥ ص ١٢٩) وفى فضائل الصحابة من صحيح مسلم (ك ٤٤ ح ٣١ ج ٧ ص ١٢٠) من حديث سعد بن أبى وقاص أن رسول الله ﷺ خرج الى تبوك واستخلف علياً ، فقال : أتخلفنى فى الصبيان والنساء ؟ قال : «ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبى بعدى » . وانظر المناقشة فى هذا الحديث بين السيد عبد الله بن الحسين السويدى سنة ١١٥٦ وبين الملا باشى على أكبر شيخ علماء الشيعة ومجتهديهم فى زمن نادر شاه فى كتاب (مؤتمر النجف) ص ٢٥ - ٢٧ طبع السلفية

(٢) فى مسند أحمد (١ : ٨٤ ، ٨٨ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٢ الطبعة الأولى رقم ٦٤١ ، ٦٧٠ ، ٩٥٠ ، ٩٦١ ، ١٣١٠ . وفى ٤ : ٢٨١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ الطبعة الاولى و ٥ : ٣٤٧ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠ ، ٤١٩ الطبعة الأولى). وانظر تفسير الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب لهذا الحديث فى ص ١٨٥ - ١٨٦ ، وسيأتى كلام المؤلف على الحديثين فى ص ١٩٢

فتعدّى عليه أبو بكر واقتعد فى غير موضعه

ثم خلفه فى التعدّى عمر

ثم رجا أن يوفق عمر للرجوع الى الحق ، فأبهم الحال وجعلها شورى قصراً للخلاف ، للذى سمع من النبي ﷺ

ثم تحيل ابن عوف حتى ردها عنه إلى عثمان

ثم قتل عثمان لتسوُّره على الخلافة وعلى أحكام الشريعة ، وصار الأمر إلى علىّ بالحق الإلهى النبوى ، فنازعه من عاقده ، وخالف عليه من بايعه ، ونقض عهده من شدّه

وانتدب أهلُ الشام الى الفسوق فى الدين ، بل الكفر (١)

---

(١) كل هذه الفقرات من هذيان مرتكبي « القاصمة » وشيعتهم . وقد أجاب المؤلف فى « العاصمة » التالية مدحضاً سخافاتهم ، ولكن اتسع عليه ميدان القول ففاته الكلام عن موقف أهل الشام من هذه الفتن التى وقعت فى الاسلام . وقد رأيتَ فى ص ١٢١ قول ابن الكوا أحد زعماء الفتنة وهو يصف أشباهه فى الأمصار الكبرى : « وأما أهل الأحداث من أهل الشام فأطوع الناس لمرشدهم ، وأعصاهم لمغويهم » . وإذا كان أهل الأحداث فى الشام هكذا على ما شهد به زعيم من زعماء الفتنة ، فان أهل العافية والايمان منهم قد شهد لهم أمير المؤمنين على - فيما نقله ابن كثير فى البداية والنهاية (٨ : ٢٠) عن عبد الرزاق بن همام الصنعانى أحد الأئمة الأعلام الحفاظ ، عن شيخه معمر بن راشد البصرى وهو أيضاً من الأعلام ، عن الزهرى مدوّن السنة وشيخ الأئمة أن عبد الله بن صفوان الجمحى قال : قال رجل من صفين « اللهم العن أهل الشام » فقال له على : « لا تسبَّ أهل الشام ، فان بها الأبدال ، فان بها الأبدال ، فان بها الأبدال » . وروى هذا الحديث من وجه آخر مرفوعاً الى النبي ﷺ . وروى أبو ادريس الخولانى وهو =

وهـذه حقيقـة مذهبهم (١) ، أن الكل عندهم كفرة (٢) ، لأن من

= من أعلام حملة السنة والشريعة ومن شيوخ الحسن البصرى وابن سيرين ومكحول وأضرابهم أن أبا الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « بينا أنا نائم رأيت الكتاب احتمـل من تحت رأسى ، فظننت أنه مذهوب به ، فأتبعته بصرى فعمد به إلى الشام . وإن الإيمان — حين تقع الفتنه — بالشام » . وروى هذا الحديث من الصحابة غير أبي الدرداء أبو أمامة وعبـد الله بن عمرو بن العاص . وللمقارنة بين أهل الشام والذين كانوا يحاربونهم ننقل عن ابن كثـير (٧ : ٣٢٥) خبر الأعمش عن عمرو بن مرة بن عبد الله ابن الحـارث عن زهير بن الأرقم قال : خطبنا علىّ يوم جمعـة فقال « نبئت أن بسرا قد طلع اليمن وإنى والله لأحسب أن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم ، وما يظهرون عليكم إلا بعصيانكم إمامكم وطاعتهم إمامهم . وبخيانتكم وأمانتهم ، وفسادكم فى أرضكم وإصلاحهم . قد بعثتُ فلاناً فخان وغدر ، وبعثت فلاناً فخان وغدر وبعث المال الى معاوية . لو ائتمنتُ أحـــدكم على قدح لأخذ علاقته . اللهم سئمتهم وسئمونى ، وكرهتهم وكرهونى . اللهم فأرحهم منى وأرحنى منهم» . بهذا وصف علي جيشه وطائفته ، وبعكسه فى الفضائل وصف أهل الشام الذين اضطروا إلى أن يقفوا من طائفته موقف المحارب . وليس بعد وصف علي لأهل الشام بالطاعة والأمانة والاصلاح ، إلا الضرب بهذه القنبلة فى وجوه واصفيهم بالكفر والفسوق فى الدين

(١) أى حقيقة مذهب الشيعة وأعداء الصحابة

(٢) يستثنون منهم ـ بعد علي وبعض آله ـ سلمان الفارسى وأبا ذر والمقداد ابن الاسود وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وأبا الهيثم بن التيهان وسهل ابن حنيف وعبادة بن الصامت وأبا أيوب الانصارى وخزيمة بن ثابت وأبا سعيد الخدرى . وبعض الشيعة يرى أن الطيبين من أصحاب رسول الله ﷺ أقل عدداً من هؤلاء .

مذهبهم التكفير بالذنوب (١) . وكذلك تقول هذه الطائفة التي تسمى بالامامية : ان كل عاص بكبيرة كافر (٢) ، على رسم القدرية (٣) ، ولا أعصى من الخلفاء المذكورين (٤) ومن ساعدهم على أمرهم ، وأصحابُ محمد ﷺ أحرصُ الناس على دنيا ، وأقلهم حمية على دين ، وأهدمهم لقاعدة وشريعة (٥)

عاصمة

قال القاضي أبو بكر (رضى الله عنه) : يكفيك من شر سماعه ، فكيف التملل به . خمسمائة عام عداً إلى يوم مقالى هذا ـ لا ننقص منها يوما ولا نزيد يوما ـ وهو مهلّ شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، وماذا يرجى بعد التمام إلا النقص ؟

---

(١) ومن مذهبهم أن علياً وأحد عشر من آله معصومون عن الخطأ ، وأنهم مصدر تشريع . ويقبلون التشريع الذى ينسبه إليهم رواة يشترط فيهم التشيع والموالاة ، وإن عرفهم الناس بما ينافى الصدق أو يناقض ما هو معلوم من الدين بالضرورة

(٢) ومدلول الكبيرة عندهم غير مدلولها عند المسلمين

(٣) قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢ : ٢٤) كان قدماء الشيعة متفقين على إثبات القدر والصفات . وإنما شاع فيهم رد القدر من حين اتصلوا بالمعتزلة فى دولة بنى بويه

(٤) وهم أبو بكر وعمر وعثمان

(٥) ومع ذلك يوجد فيمن ينتمى الى الأزهر ، وإلى السنّة ، من يوالى دار التقريب بين المذاهب التى تأسست فى القاهرة بعد الحرب العالمية الثانية ، ويتسلى بصرف بعض عمره فى الاختلاف اليها وتبادل التقية مع القائمين عليها

ما رضيت النصارى واليهود فى أصحاب موسى وعيسى ما رضيت الروافض فى أصحاب محمد ﷺ حين حكموا عليهم بأنهم قد اتفقوا على الكفر والباطل [١] . فما يرجى من هؤلاء ، وما يستبقى منهم ؟ وقد قال الله تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنا ﴾ (سورة النور : ٥٥) [٢] ، وهذا قول صدق ، ووعد حق . وقد انقرض عصرهم ولا خليفة فيهم ولا تمكين ، ولا أمن ولا سكون ، إلا فى ظلم وتعدّ وغصب وهرج وتشتيت وإثارة ثائرة

وقد أجمعت الأمة على أن النبي ﷺ ما نص على أحد يكون من بعده [٣]. وقد قال العباس لعلي ـ فيما روى عنه عبد الله ابنه ـ قال عبد الله

---

(١) أخرج الحافظ ابن عساكر (٤ : ١٦٥) أن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب قال لرجل من الرافضة : « والله لئن أمكننا الله منكم لنقطعن أيديكم وأرجلكم ، ثم لا نقبل منكم توبة » . فقال له رجل : لم لا تقبل منهم توبة ؟ قال : « نحن أعلم بهؤلاء منكم . إن هؤلاء إن شاءوا صدّقوكم ، وإن شاءوا كذبوكم وزعموا أن ذلك يستقيم لهم فى (التقية) . ويلك ! إن التقية هى باب رخصة للمسلم ، إذا اضطر اليها وخاف من ذى سلطان أعطاه غير ما فى نفسه يدرأ عن ذمة الله ، وليست باب فضل ، إنما الفضل فى القيام بأمر الله وقول الحق . وايم الله ما بلغ من التقية أن يجعل بها لعبد من عباد الله أن يُضل عباد الله »

(٢) انظر ص ٥١ - ٥٣

(٣) نقل الحافظ ابن عساكر (٤ : ١٦٦) عن الحافظ البيهقى حديث فضيل ابن مرزوق أن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب سئل =

ابن عباس : خرج على بن أبى طالب رضى الله عنه من عند رسول الله ﷺ فى وجعه الذى توفى فيه ، فقال الناس : يا أبا حسن ، كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئا . فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبد العصا . وإنى لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا . إنى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت . اذهب بنا الى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن يكون هذا الأمر بعده ، فان كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان فى غيرنا علمنا فأوصى بنا . فقال على : إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده ، وإنى والله لا أسألها رسول الله ﷺ (١)

قال القاضى أبو بكر (رضى الله عنه) : رأىُ العباس عندى أصحّ ،

— فقيل له : ألم يقل رسول الله ﷺ « من كنت مولاه فعلى مولاه » ؟ فقال : « بلى ، ولكن والله لم يعن رسول الله ﷺ بذلك الإمارة والسلطان . ولو أراد ذلك لأفصح لهم به ، فان رسول الله ﷺ كان أنصح للمسلمين . ولو كان الأمر كما قيل لقال : يا أيها الناس هذا ولى أمركم والقائم عليكم من بعدى ، فاسمعوا له وأطيعوا . والله لئن كان الله ورسوله اختار علياً لهذا الأمر وجعله القائم للمسلمين من بعده ثم ترك علىّ أمر الله ورسوله ، لكان على أول من ترك أمر الله ورسوله » . ورواه البيهقى من طرق متعددة فى بعضها زيادة وفى بعضها نقصان والمعنى واحد

(١) رواه البخارى فى كتاب المغازى من صحيحه (ك ٦٤ ب ٨٣ ج ٥ ص ١٤٠ - ١٤١) . ونقله ابن كثير فى البداية والنهاية (٥ : ٢٢٧ و ٢٥١) من حديث الزهرى عن عبد الله بن كعب بن مالك عن ابن عباس . ورواه الامام أحمد فى مسنده (١ : ٢٦٣ و ٣٢٥ رقم ٢٣٧٤ و ٢٩٩٩)

وأقرب إلى الآخرة ، والتصريح بالتحقيق . وهـذا يبطـل قول مدّعى الاشارة باستخلاف علىّ ، فكيف أن يُـدّعى فيه نص؟!

فأما أبو بكر ، فقـد جاءت امرأة الى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه . قالت له : فإن لم أجدك ـ كأنها تعنى الموت ـ قال: تجدين أبا بكر (١)

وقال النبي ﷺ لعمر وقد وقع بينه [أى بين عمر] وبين أبي بكر كلام . فتمعَّرَ وجـه النبي ﷺ (٢) ، حتى أشـفق من ذلك أبو بكر ، وقال النبي ﷺ «هل أنتم تاركو لى صاحبي (مرتين) . إنى بُعثت إليكم فقلتم : كذبتَ ، وقال أبو بكر : صدقتَ . ألا إنى أبرأ إلى كل خليـل من خلته (٣) »

وقال النبي ﷺ : « لو كنت متخذاً فى الاســلام خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا . ولـكن أخى ، وصاحبى (٤) »

وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا . لا يبقينّ فى المسجـــد خوخة إلا

(١) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٥ ج ٤ ص ١٩١) من حـديث جبير بن مطعم قال : أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه . قالت : أرأيتَ إن جئتُ ولم أجدك ـ كأنها تقول الموت ـ قال ﷺ « إن لم تجدينى فأتى أبا بكر »

(٢) تمعر وجهه : تغير ، وذهب ماكان فيه من النضارة ، وإشراق اللون

(٣) فى كتاب مناقب الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٥ ج ٤ ص ١٩٢) عن أبى الدرداء مطولا

(٤) فى الباب المذكور من كتاب مناقب الصحابة فى صحيح البخارى (ج ٤ ص ١٩١) من حديث عكرمة عن ابن عباس

خوخة أبي بكر (١)

وقد قال النبي ﷺ : « بينا أنا نائم رأيتني على قليب (٢) عليها دلو ، فنزعتُ منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذَنوباً أو ذنوبين (٣) وفي نزعه ضعف والله يغفر له ، ثم استحالت غربا (٤) ، فأخذها ابن الخطاب ، فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر ، حتى ضرب الناس بِعَطَن (٥) »

وقد ثبت أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فرجف بهم : فقال : « اثبت أحد ، فانما عليك نبي وصدّيق وشهيدان (٦) »

وقال ﷺ : « لقد كان فيمن كان قبلكم من بني اسرائيل رجال

---

(١) في هذه الجملة اضطراب ونقص . وانظر لهذا المعنى حديث أبي سعيد الخدري في ذلك الموضع من صحيح البخاري (ج ٤ ص ١٩٠-١٩١) ، وحديث ابن عباس في مسند أحمد (١ : ٢٧٠ رقم ٢٤٣٢) ، والبداية والنهاية (٥ : ٢٢٩ و ٢٣٠)

(٢) القليب : البئر غير المطوية

(٣) الذنوب : الدلو العظيمة إذا ملئت ماء . وابن أبي قحافة هو أبو بكر

(٤) أي ثم عظمت فصارت كالدلو الواسعة التي تتخذ من جلد الثور لكبرها

(٥) أي حتى اتخذ الناس حولها مبركا لإبلهم لغزارة مائها ، والحديث في ذلك الموضع من صحيح البخاري (ج ٤ ص ١٩٣) من حديث سعيد بن المسيب عن أبي هريرة

(٦) في كتاب فضائل الصحابة من صحيح مسلم (ك ٦٢ ب ٥ ج ٤ ص ١٩٧) من حديث قتادة عن أنس بن مالك

يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء ، فان يكن فى أمتى منهم أحد فعمر (١)»

وقال النبي ﷺ لعائشة رضى الله عنها فى مرضه : « أدعى لى أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً ، فانى أخاف أن يتمنى متمن ويقول : أنا أولى . ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر (٢) »

وقال ابن عباس : إن رجلا أتى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ، إنى أرى الليلة فى المنام ظلة تنطف السمن والعسل ، فأرى الناس يتكففون بأيديهم ، فالمستكثر والمستقل . وأرى سبباً واصلا من السماء الى الأرض فأراك أخذت به فعلوت ، [ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به] ، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ، ثم وصل له فعلا (وذكر الحديث) . ثم عبرها أبو بكر فقال : وأما السبب الواصل من السماء الى الأرض فالحق الذى أنت عليه ، فأخذته فيعليك الله . ثم يأخذ به رجل آخر بعدك فيعلو به ، ثم يأخذه رجل آخر فيعلو به ، ثم يأخذه رجل آخر فينقطع به ثم يوصل فيعلو به (٣)»

---

(١) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك٦٢ب٦ج٤ص٢٠٠) من حديث أبى سلمة عن أبى هريرة

(٢) فى مسند أحمد (٦ : ١٤٤ الطبعة الاولى) من حديث الزهرى عن عروة بن الزبير عن عائشة . وانظر المسند أيضاً (٦ : ٤٧ و١٠٦) وطبقات ابن سعد ٣ (١) : ١٢٧ ومسند أبى داود الطيالسى :الحديث ١٥٠٨

(٣) فى كتاب التعبير من صحيح البخارى (ك ٩١ ب ٤٧ ج ٨ ص ٨٣-٨٤) من حديث عبد الله بن عباس ، وفى كتاب الرؤيا من صحيح مسلم (ك ٤٧ ح ١٧ ج ٧ ص ٥٥ - ٥٦) من حديث ابن عباس ، وفى مسند أحمد (١ : ٣٣٦ الطبعة الأولى رقم ٢١١٣) من حديث ابن عباس

وصح أن النبي ﷺ قال ذات يوم : « من رأى منكم رؤيا » ؟ فقال رجل : أنا رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء ، فوزنتَ أنت وأبو بكر فرجحتَ . ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر . ووُزن عمر وعثمان فرجح عمر . ثم رُفع الميزان . فرأينا الكراهية فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم [١]

وهذه الأحاديث جبال فى البيان ، وجبال فى السبب إلى الحق لمن وفقه الله . ولو لم يكن معكم ـ أيها السنية ـ إلا قوله تعالى ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار ﴾ (التوبة : ٤٠) فجعلها [٢] فى نصيف وجعل أبا بكر فى نصيف آخر وقام معه جميع الصحابة

وإذا تبصرتم هذه الحقائق فليس يخفى منها حال الخلفاء فى خلالهم وولايتهم وترتيبهم خصوصاً وعموماً . وقد قال الله تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكننّ لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدوننى لايشركون بى شيئاً ﴾ (سورة النور : ٥٥) . وإذا لم ينفذ هذا الوعد فى الخلفاء فلمن ينفذ ؟ وإذا لم يكن فيهم فبمن

---

(١) فى كتاب السنة من سنن أبى داود (ك ٣٩ ب ٨ ح ٤٦٣٤) من حديث أبى بكرة . وفى كتاب الرؤيا من جامع الترمذى (الباب ١٠) من حديث أبى بكرة أيضا . وانظر فى مسند أحمد (٥ : ٢٥٩ الطبعة الأولى) حديث أبى أمامة عن رجحان كفة أبى بكر بكفة فيها جميع الأمة ... الخ

(٢) أى الأمة

يكون ؟ والدليل عليه انعقاد الإجماع أنه لم يتقدمهم فى الفضيلة أحد إلى يومنا هذا ، ومن بعدهم مختلف فيه ، وأولئك مقطوع بهم ، متيقن إمامتهم ، ثابت نفوذ وعـــد الله لهم . فانهم ذبوا عن حوزة المسلمين ، وقاموا بسياسة الدين . قال علماؤنا : ومَن بعدهم تبـــع لهم من الأئمة الذين هم أركان الملة ، ودعائم الشريعة ، الناصحون لعباد الله ، الهادون من استرشد إلى الله . فأما من كان من الولاة الظلمة فضرره مقصور على الدنيا وأحكامها

وأما حفاظ الدين فهم الأئمة العلماء الناصحون لدين الله ، وهم أربعة أصناف :

الصنف الاول — حفظوا أخبار رسول الله ﷺ ، وهم بمنزلة الخزان لأقوات المعاش

الصنف الثانى — علماء الاصول : ذبوا عن دين الله أهـــلَ العناد وأصحابَ البدع ، فهم شجعان الاســـلام ، وأبطاله المداعسون عنه فى مآزق الضلال (١)

الصنف الثالث - قوم ضبطوا أصول العبادات ، وقانون المعاملات ، وميزوا المحللات من المحرمات ، وأحكموا الخراج والديات ، وبينوا معانى الأيمان والنذور ، وفصلوا الأحكام فى الدعاوى . فهم - فى الدين - بمنزلة الوكلاء المتصرفين فى الاموال

الصنف الرابع — تجردوا للخدمة ، ودأبوا على العبادة ، واعتزلوا الخلق . وهم - فى الآخرة - كخواصّ الملك فى الدنيا

وقد أوضحنا فى كتاب (سراج المريدين) فى القسم الرابع من علوم القرآن أىّ المنازل أفضل من هؤلاء الأصناف ، وترتيب درجاتهم

---

(١) المداعسة : المطاعنة ، والمدافعة

قال القاضي أبو بكر (رضى الله عنه) : وهـــذه كلها إشارات أو تصريحات أو دلالات أو تنبيهات . ومجموع ذلك يدل على صحة ماجرى ، وتحقيق ما كان من العقلاء

ونقول ـ بعد هذا البيان ـ على مقام آخر : لو كان هنالك نص على أبي بكر أو على عليّ ، لم يكن بدّ من احتجاج عليّ به ، أو يحتج له به غيره من المهاجرين والأنصار . فأما حديث غدير خم (١) فلا حجة فيه ، لأنه إنما استخلفه فى حياته على المدينة كما استخلف موسى هارون فى حياته ـ عند سفره للمناجاة ـ على بنى اسرائيل . وقد اتفق الكل من إخوانهم اليهود على أن موسى مات بعد هارون ، فأين الخلافة ؟

وأما قوله « اللهم وال من والاه » فكلام صحيح ، ودعوة مجابة . وما يعلم أحد عاداه إلا الرافضة ، فانهم أنزلوه فى غير منزلته ، ونسبوا إليه ما لا يليق بدرجته . والزيادة فى الحد نقصان من المحدود . ولو تعدى عليها أبو بكر ما كان المتعدّى وحده ، بل جميع الصحابة ـ كما قلنا ـ لأنهم ساعدوه على الباطل

ولا تستغربوا هذا من قولهم ، فانهم يقولون : إن النبي ﷺ كان مدارياً لهم ، ومعنياً بهم على نفاق وتقية . وأين أنت من قول النبي ﷺ حين سمع قول عائشة رضى الله عنها : مروا عمر فليصـــلّ بالناس : « إنكنّ لأنتن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس (٢) »

---

(١) الذى مضى فى القاصمة ص ١٨١ ، وانظر فى ص ١٨٥ - ١٨٦ تفسير الحسن المثنى لهذا الحديث

(٢) صحيح البخارى (ك ١٠ ب ٣٩ و ٤٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٧٠ ج ١ ص ١٦١ - ١٦٢ و ١٦٥ ، و ١٧٤ - ١٧٦) من حديث عائشة وأبى موسى الأشعرى

وما قدمنا من تلك الأحاديث [١]

لقد اقتحموا عظيما ، ولقد افتروا كبيراً . وما جعلها عمر شورى إلا اقتداء بالنبي ﷺ وبأبي بكر ، إذ قال : « إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني ، وإن لم أستخلف فان رسول الله ﷺ لم يستخلف [٢] » . فما ردّ هذه الكلمات أحد . وقال : « أجعلها شورى فى النفر الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض [٣] » . وقد رضى الله عن أكثر منهم ، ولكنهم كانوا خيار الرضا ، وشهد لهم بالأهلية للخلافة .

وأما قولهم تحيل ابن عوف حتى ردّها لعثمان ، فلئن كانت حيلة ولم يكن سواها فلأنّ الحول ليس إليه [٤] . وإذا كان عمل العباد حيلة أو كان القضاء بالحول فالحول والقوة لله . وقد علم كل أحد أنه لا يليها إلا

---

(١) فى ص ١٨٧ - ١٩٠

(٢) فى كتاب الإمارة من صحيح مسلم (ك ٣٣ ح ١١ و ١٢ ج ٦ ص ٤ - ٥) من حديث عروة بن الزبير عن ابن عمر ، ومن حديث سالم عن ابن عمر . وفى مسند أحمد (١ : ٤٣ رقم ٢٩٩) عن عروة عن ابن عمر ، و (١ : ٤٦ رقم ٣٢٢) عن حميد بن عبد الرحمن عن ابن عباس ، و (١ : ٤٧ رقم ٣٣٢) عن الزهرى عن سالم عن ابن عمر

(٣) من حديث عمرو بن ميمون المطول فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٨ ج ٤ ص ٢٠٤-٢٠٧) ، وانظر كتابنا هذا ص٥٢-٥٣

(٤) بل إلى الله . وإن الله هو الموفق لابن عوف وسائر اخوانه الصحابة حتى كانوا فى ذلك الموقف على ماأراده الله لهم من صفاء النية وإخلاص القصد والعمل لله وحده ، فكان اختيار خليفة عمر فى حادث الشورى مثلا أعلى للنفس الانسانية عند ماتكون فى أعلى مراتب النبل ، والتجرد عن جميع خواطر الهوى

واحد ، فاستبد عبد الرحمن بن عوف بالأمر ـ بعد أن أخرج نفسه ـ على أن يجتهد للسلمين فى الأسدّ والأشدّ ، فكان كما فعل ، وولاها من استحقها ، ولم يكن غيره أولى منه بها ، حسبما بينا فى « مراتب الخلافة » من (أنوار الفجر [١]) وفى غيره من [كتب] الحديث

وقُتل عثمان ، فلم يبق على الارض أحق بها من علىّ ، فجاءته على قدر ، فى وقتها ومحلها . وبين الله على يديه من الاحكام والعلوم ماشاء الله أن يبين . وقد قال عمر « لولا علىّ لهلك عمر [٢] » . وظهر من فقهه وعلمه فى قتال أهل القبلة ـ من استدعائهم ومناظرتهم ، وترك مبادرتهم ، والتقدم إليهم قبل نصب الحرب معهم ، ونداءه : لا نبدأ بالحرب ، ولا يتبع مولّ ، ولا يجهز على جريح ، ولا تهاج امرأة ، ولا نغنم لهم مالا ـ وأمره بقبول شهادتهم ، والصلاة خلفهم ، حتى قال أهـــل العلم : لولا ما جرى ما عرفنا قتال أهل البغى

وأما خروج طلحة والزبير فقد تقدم بيانه [٣]

وأما تكفيرهم للخلق ، فهم الكفار . وقد بينا أحوال أهل الذنوب التى ليس منها سبّ فى غير ما كتاب ، وشرحناها فى كل باب

---

(١) هو التفسير الكبير لابن العربى فى ثمانين مجلدا . تكلمنا عليه فى ص ٢٧

(٢) هذا مع قول النبى ﷺ فيه : « أول من يصافحه الحق عمر » ، وقوله ﷺ « ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به » ، وقوله ﷺ « لو كان من بعدى نبى لكان عمر »

(٣) وأنه كان خروجاً للتفاهم والتعاون على إقامة الحدود الشرعية فى مقتل أمير المؤمنين عثمان ، انظر ص ١٥٠ - ١٥٢

فإن قيل : فقد قال العباس فى علىّ ما رواه الأئمة أن العباس وعلياً اختصما عند عمر فى شأن أوقاف رسول الله ﷺ ، فقال العباس لعمر : يا أمير المؤمنين ، اقض بينى وبين هذا الظالم الكاذب الآثم الجائر [1] . فقال الرهط لعمر : يا أمير المؤمنين ، اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر . فقال عمر : أنشدكم الله الذى بأذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » يريد بذلك نفسه ؟ قالوا : قد قال ذلك . فأقبل على العباس وعلىّ فقال : أنشدكما الله ، هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قال ذلك ؟ قالا : نعم . قال عمر : إن الله خص رسول الله ﷺ فى هذا الفىء بشىء لم يعطه أحداً غيره ، فعمل فيها رسول الله ﷺ حياته ، ثم توفى ، فقال أبو بكر : أنا ولىُّ رسول الله ﷺ . فقبضها سنتين فى إمارته فعمل فيها بما عمل رسول الله

---

(١) تقدم فى ص ٤٩ - ٥٠ ذكر هذا التقاضى بين العباس وعلى عند أمير المؤمنين عمر من حديث مالك بن أوس بن الحدثان النصرى فى صحيح البخارى . قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (ك ٥٧ ب ١ ج ٦ ص ١٢٥) : زاد شعيب ويونس : « فاستب على وعباس » وفى رواية عقيل عن ابن شهاب فى الفرائض : « اقض بينى وبين هذا الظالم . استبّا » وفى رواية جويرية « وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن » . قال الحافظ : ولم أر فى شىء من الطرق أنه صدر من على فى حق العباس شىء ، بخلاف ما يفهم من قوله فى رواية عقيل « استبا » . واستصوب المازرى صنيع من حذف هذه الألفاظ من هذا الحديث وقال : لعل بعض الرواة وهم فيها وإن كانت محفوظة ، فأجود ماتحمل عليه أن العباس قالها دلالا على علىّ ، لأنه كان عنده بمنزلة الولد ، فأراد ردعه عما يعتقد أنه مخطىء فيه

ﷺ . وأنتما تزعمان أن أبا بكر كاذب غادر خائن (١) ، والله يعلم أنه لصادق بار راشد تابع للحق ... وذكر الحديث

قلنا : أما قول العباس لعلى فقول الأب للابن ، وذلك على الرأس محمول ، وفى سبيل المغفرة مبذول ، وبين الكبار والصغار ـ فكيف الآباء والأبناء ـ مغفور موصول . وأما قول عمر انهما اعتقدا أن أبا بكر ظالم خائن غادر ، فإنما ذلك خبر عن الاختـــلاف فى نازلة وقعت من الأحكام ، رأى فيها هذا رأياً ورأى فيها أولئك رأياً ، فحكم أبو بكر وعمر بما رأيا ، ولم ير العباس وعلى ذلك . ولكن لما حكما سلما لحكمهم كما يُسلم لحكم القاضى فى المختلف فيه . وأما المحكوم عليه فرأى أنه قد وهم ، ولكن سكت وسلم

فإن قيل : إنما يكون ذلك فى أول الحال ـ والأمر لم يظهر ـ إذ كان الحكم باجتهاد ، وأما [بعد أن] أدّى هـــذا الحكم إلى منع فاطمة والعباس الميراث بقول النبى ﷺ « لا نورَّث ، ما تركنا صدقة » وعلمه أزواج النبى ﷺ وأصحابه العشرة وشهدوا به ، فبطل ما قلتموه (٢)

قلنا : يحتمل أن يكون ذلك فى أول الحال ـ والأمر لم يظهر بعد ـ فرأيا أن خبر الواحد فى معارضة القرآن والأصول والحكم المشهور فى الزمن لا يعمل به حتى يتقرر الأمر ، فلما تقرر سلما وانقادا ، بدليل ما قدمنا

---

(١) قال الحافظ ابن حجر (٦ : ١٢٥) : وكان الزهرى يحـــدث به تارة فيصرح ، وتارة فيكنى ، وكذلك مالك . وقد حذف ذلك فى رواية بشر بن عمر عنه عند الاسماعيلى وغيره ، وهو نظير ماسبق من قول العباس لعلى . الخ

(٢) انظر ص ٤٨ - ٥١

من الحديث الصحيح الى آخره ، فلينظر فيه . وهذا ايضا ليس بنص فى المسألة ، لأن قوله « لانورث ، ما تركنا صدقة » يحتمل أن يكون : لا يصح ميراثنا ، ولا أنا أهل له ، لأنه ليس لى ملك ، ولا تلبست بشىء من الدنيا ينتقل إلى غيرى عنى . ويحتمل « لا نورث » حكم ، وقوله « ما تركنا صدقة » حكم آخر معين أخبر به أنه قد أنفذ الصدقة فيما كان بيده من سهمه المتصير اليه بتسويغ الله له ، وكان من ذلك مخصوصاً بما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، وكان له سهمه مع المسلمين فيما غنموا بما أخذوه عنوة . ويحتمل أن يكون « صدقة » منصوباً على أن يكون حالا من المتروك . إلى هذا أشار أصحاب أبى حنيفة ، وهو ضعيف وقد بيناه فى موضعه . بيدَ أنه يأتيك فى هذا أن المسألة مجرى الخلاف ، ومحل الاجتهاد ، وأنها ليست بنص من النبى ﷺ فتحتمل التصويب والتخطئة من المجتهدين . والله أعلم

قاصمة

ثم قتل علىّ . قالت الرافضة : فعهد إلى الحسن ، فسلمها الحسن إلى معاوية ، فقيل له « مسوّد وجوه المؤمنين [1] » . وفسّقته جماعة من

---

(١) من عناصر إيمان الرافضة ـ بل العنصر الأول فى إيمانهم ـ اعتقادهم بعصمة الحسن وأبيه وأخيه ، وتسعة من ذرية أخيه . ومن مقتضى عصمتهم ـ وفى طليعتهم الحسن بعد أبيه ـ أنهم لا يخطئون ، وأن كل ما صدر عنهم فهو حق ، والحق لا يتناقض . وأهم ما صدر عن الحسن بن على بيعته لأمير المؤمنين معاوية ، وكان ينبغى لهم أن يدخلوا فى هذه البيعة ، وأن يؤمنوا بأنها الحق لأنها من عمل المعصوم عندهم . لكن المشاهد من حالهم أنهم كافرون =

الرافضة . وكفرته طائفة لأجل ذلك

عاصمة

قال القاضى أبو بكر (رضى الله عنه) : أما قول الرافضة انه عهد إلى الحسن فباطل . ما عهد إلى أحد (١) . ولكن البيعة للحسن منعقدة ،

ـــ بها . ويخالفون فيها لإمامهم المعصوم . ولا يخلو هذا من أحد وجهين : فاما أنهم كاذبون فى دعوى العصمة لأئمتهم الاثنى عشر ، فينهار دينهم من أساسه ، لأن عقيدة العصمة لهم هى أساسه ، ولا أساس له غيرها . وإما أن يكونوا معتقدين عصمة الحسن ، وأن بيعته لمعاوية هى من عمل المعصوم ، لكنهم خارجون على الدين ، مخالفون للمعصوم فيما جنح إليه وأراد أن يلقى الله به ، ويتواصون بهذا الخروج على الدين جيلا بعد جيل ، وطبقة بعد طبقة ، ليكون ثباتهم على مخالفة الإمام المعصوم عن إصرار وعناد ومكابرة وكفر . ولا ندرى أى الوجهين يطوّح بهم فى مهاوى الهلكة أكثر مما يطوح بهم الوجه الآخر ، ولا ثالث لهما . فالذين قالوا منهم ان الحسن « مسود وجوه المؤمنين » لايحمل كلامهم إلا على أنه « مسود وجوه المؤمنين بالطاغوت » أما المؤمنون بنبوة جدّ الحسن ﷺ فيرون صلحه مع معاوية وبيعته له من أعلام النبوة ، لأنها حققت ما تنبأ به ﷺ فى سبطه سيد شباب أهل الجنة من أنه سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين كما سيأتى بيانه . وكل الذين استبشروا بهذه النبوءة وبهذا الصلح يعدون الحسن « مبيض وجوه المؤمنين »

(١) روى الامام أحمد فى مسنده (١ : ١٣٠ برقم ١٠٧٨) عن وكيع عن الأعمش عن سالم بن أبى الجعد عن عبد الله بن سبع قال : سمعت علياً يقول (وذكر أنه سيقتل) قالوا : فاستخلفْ علينا . قال : لا ، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله ﷺ . قالوا : فما تقول لربك إذا أتيته ؟ قال : ـــ

وهو أحق من معاوية ومن كثير من غيره . وكان خروجه لمثل ما خرج إليه أبوه من دعاء الفئة الباغية الى الانقياد للحق والدخول فى الطاعة . فآلت الوساطة إلى أن تخلى عن الأمر صيانة لحقن دماء الأمة [١] ،

= أقول : اللهم تركتنى فيهم ما بدا لك ، ثم قبضتنى إليك وأنت فيهم ، فان شئت أصلحتهم ، وإن شئت أفسدتهم » . وروى أحمد مثله (١ : ١٥٦ برقم ١٣٣٩) عن أسود بن عامر عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن عبد الله بن سبع . والخبران إسناد كل منهما صحيح . ونقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٥ : ٢٥٠ - ٢٥١) عن الامام البيهقى من حديث حصين بن عبد الرحمن عن الامام الشعبى عن أبى وائل شقيق بن سلمة الأسدى أحد سادة التابعين أنه قيل لعلى : ألا تستخلف علينا ؟ قال : « ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف ، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدى على خيرهم ، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم » . وهذا الحديث جيد الأسناد . ونقل ابن كثير أيضاً (٧ : ٣٢٣) عن الامام البيهقى حديث حبيب بن أبى ثابت الكاهلى الكوفى عن ثعلبة بن يزيد الحمانى (وهو من شيعة الكوفة وثقه النسائى) أنه قيل لعلى : ألا تستخلف ؟ فقال : « لا ، ولكن أترككم كما ترككم رسول الله ﷺ » . وانظر السنن الكبرى للبيهقى ٨ : ١٤٩

(١) حكاية الوساطة بين الحسن ومعاوية وصلحهما رواها الامام البخارى فى كتاب الصلح من صحيحه (ك ٥٣ ب ٩ ج ٣ ص ١٦٩) عن الامام الحسن البصرى قال : استقبل - والله - الحسنُ بن علىٍّ معاوية بكتائب أمثال الجبال . فقال عمرو بن العاص : إنى لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها . فقال له معاوية - وكان والله خيرَ الرجلين - : أى عمرو ، إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لى بأمور الناس ، من لى بنسائهم ، من لى بضيعتهم ؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس - عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله =

وتصديقاً لقول نبي الملحمة حيث قال على المنبر : « ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين (١) » . فنفذ الميعـاد ، وصحت البيعة لمعاوية ، وذلك لتحقيق رجاء النبي ﷺ . فمعاوية خليفـة ، وليس بملك (٢)

فإن قيل : فقد روى عن سفينة أن النبي ﷺ قال : « الخلافة ثلاثون سـنة ، ثم تعود ملكا » فاذا عددنا من ولاية أبى بكر إلى تسليم الحسن كانت ثلاثين سنة لا تزيد ولا تنقص يوماً . قلنا :

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به   فى طلعة البدر ما يغنيك عن زُحل

= ابن عامر بن كريز ـ فقال : اذهبا إلى هـذا الرجل (أى إلى الحسن بن على) فاعرضا عليه (أى ما يشاء) ، وقولا له (أى ما يرضيه) ، واطلبا إليه (أى ما تريان فيه المصلحة فأنتما مفوضان) . فأتياه ، فدخلا عليـــه ، فتكلما ، وقالا له ، وطلبا إليه . فقال لهما الحسن بن على : إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال ، وإن هـذه الأمة قد عاثت فى دمائها (أى فيحتـاج إرضاؤها فى دمائها إلى مال كثير) قالا : فانه يعرض عليك كذا وكذا ، ويطلب إليك ، ويسألك . قال : فمن لى بهـذا ؟ قالا : نحن لك به . فما سالهما شيئاً إلا قالا : نحن لك به . فصالحه

(١) رواه البخارى مع الحديث السابق عن الحسن البصرى أنه سمعه من أبى بكرة وأن أبا بكرة رأى النبى ﷺ وهو على المنبر والحسن بن على إلى جنبه فقال ذلك . ورواه البخارى أيضاً فى مناقب الحسن والحسين من كتاب فضائل الصحابة من صحيحه (ك ٦٢ ب ٢٢ ج ٤ ص ٢١٦) . وانظر البداية والنهاية (٨ : ١٧ - ١٩) وابن عساكر (٤ : ٢١١ - ٢١٢)

(٢) سيأتى الكلام عن هذا الموضوع فى ص ٢٠٧ - ٢١٠

هذا الحديث (١) فى ذكر الحسن بالبشارة له والثناء عليه ، لجريان الصلح بين يديه ، وتسليم الأمر لمعاوية ، عقدٌ منه له (٢)

وهذا (٣) حديث لا يصح(٤) . ولو صح فهو معارِض لهذا الصلح المتفق

---

(١) أى حديث « ان ابنى هذا سيد » الذى رواه البخارى عن الحسن البصرى عن أبى بكرة

(٢) أى عقد بيعة من الحسن لمعاوية . وكان ذلك فى موضع يقال له « مسكن » على نهر دجيل فى ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، فسمى ذلك العام «عام الجماعة» لاجتماع المسلمين بعد الفرقة ، وتفرغهم للحروب الخارجية والفتوح ونشر دعوة الاسلام بُعد أن عطل قتلة عثمان سيوف المسلمين عن هذه المهمة نحو خمس سنوات كان يستطيع المسلمون أن يسجلوا فيها أمجاداً لا يستطيع غيرهم مثلها فى خمسة قرون . ولله فى كل شىء حكمة

(٣) أى حديث سفينة

(٤) لأن راويه عن سفينة سعيد بن جُهمان ، وقد اختلفوا فيه : قال بعضهم لا بأس به ، ووثقه بعضهم ، وقال فيه الامام أبو حاتم « شيخ لا يحتج به » . وفى سنده حشرج بن نباتة الواسطى وثقه بعضهم ، وقال فيه النسائى « ليس بالقوى » . وعبد الله بن أحمد بن حنبل يروى هذا الخبر عن سويد الطحان قال فيه الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب : «لين الحديث» . وهذا الحديث المهلهل يعارضه ذلك الحديث الصحيح الصريح الفصيح فى كتاب الإمارة من صحيح مسلم (ك ٣٣ ح ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ج ٦ ص ٣ - ٤) عن جابر ابن سمرة قال : دخلت مع أبى على النبى ﷺ فسمعته يقول: « إن هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة » قال : ثم تكلم بكلام خفى علىَّ ، فقلت لأبى : ما قال ؟ قال : « كلهم من قريش » . وانظره فى كتاب الأحكام من صحيح البخارى (ك ٩٣ ب س ج ٨ ص ١٢٥ - ١٢٧) وفى فتح =

عليه ، فوجب الرجوع إليه (١)

فإن قيل : ألم يكن فى الصحابة أقعدُ بالأمر من معاوية ؟

قلنا : كثير (٢) . ولكن معاوية اجتمعت فيه خصال : وهى أن عمر

═ البارى (١٣ : ١٦٢ وما بعدها) وفى سنن أبى داود (ك ٣٥ ح ١) وفى جامع الترمذى (ك ٣١ ب ٤٦) وفى مسند الامام أحمد (١ : ٣٩٨ و ٤٠٦ برقم ٣٧٨١ و ٣٨٥٩) من حديث الشعبى عن مسروق بن الأجدع الهمدانى الإمام القدوة قال : كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة ؟ فقال عبد الله بن مسعود : ما سألنى عنها أحد منذ قدمتُ العراقَ قبلك . ثم قال : نعم ، ولقد سألنا رسول الله ﷺ فقال : « اثنا عشر ، كعدة نقباء بنى إسرائيل » . والحديث فى مجمع الزوائد (٥ : ١٩٠) . وفى مسند أحمد (٥ : ٨٦ و ٨٧ بثلاث روايات و ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ بثلاث روايات و ٩٢ بثلاث روايات و ٩٣ بروايتين و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ بروايتين و ٩٧ بروايتين و ٩٨ بثلاث روايات و ٩٩ بثلاث روايات و ١٠٠ ، ١٠١ بروايتين و ١٠٦ بروايتين و ١٠٧ بروايتين و ١٠٨) وفى مسند أبى داود الطيالسى (ح ٩٦٧ و ١٢٧٨)

(١) أى إلى العقد من الحسن لمعاوية ، فهو متفق عليه ، وتناولته البشرى النبوية بالثناء والرضا . قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢ : ٢٤٢): وهذا الحديث يبين أن الاصلاح بين الطائفتين كان ممدوحاً يحبه الله ورسوله ، وأن ما فعله الحسن من ذلك كان من أعظم فضائله ومناقبه التى أثنى بها عليه النبى ﷺ . ولو كان القتال واجباً أو مستحباً لم يثن النبى ﷺ بترك واجب أو مستحب .. الخ

(٢) كسعد بن أبى وقاص المجاهد الفاتح أحد العشرة المبشرين بالجنة ، ═

جمع له الشامات كلها وأفرده بها (١) ، لما رأى من حسن سيرته (٢) ،

=== وعبد الله بن عمر بن الخطاب عالم الصحابة الثابت على قدم المصطفى ﷺ في جليل الأمور ودقيقها ، وغيرهما من هذه الطبقة وقريب منها ، وهؤلاء هم الذين ترك لهما الحكمان - أبو موسى وعمرو - أمر الامامة بعد حرب صفين ليروا فيها رأيهم ، فلما رأوا اجتماع الأمة كلها على معاوية دخلوا كلهم في إمامته وبايعوه ، بعد أن كانوا معتزلين الفتنة من بعد عثمان (انظر فتح البارى ١٣ : ٥٠) . ومعاوية نفسه يعرف للناس أقدارهم . فقد جاء في البداية والنهاية (٨ : ١٣٤) عن ابن دريد عن أبي حاتم عن العتبي أن معاوية خطب فقال : « أيها الناس ، ما أنا بخيركم ، وإن منكم لمن هو خير مني : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو وغيرهما من الأفاضل . ولكن عسى أن أكون أنفعكم ولاية ، وأنكاكم في عدوكم وأدركم حلباً » . ورواه ابن سعد عن محمد بن مصعب عن أبي بكر بن أبي مريم عن ثابت مولى معاوية أنه سمع معاوية يقول ذلك

(١) فأصبحت تحت قيادته وبحسن سياسته أقوى قوة في الاسلام ، وهي في طليعة جيوش الجهاد والفتوح الظافرة الداعية الى الله بأخلاقها وسيرتها وحكمة قادتها وصدق إسلامهم

(٢) تقدم في ص ٨٢ حديث الليث بن سعد إمام أهل مصر بسنده الوثيق إلى سعد بن أبي وقاص فاتح العراق وإيران ومبيد دولة كسرى أنه ما رأى بعد عثمان أقضى بالحق من معاوية . وحديث عبد الرزاق الصنعاني بسنده إلى حبر الأمة ابن عباس أنه مارأى رجلا أخلق بالملك من معاوية . وفي ص ٨٣ قول شيخ الاسلام ابن تيمية : كانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سير الولاة ، وكان رعيته يحبونه ، وقد ثبت في صحيح مسلم (ك ٣٣ ح ٦٥ و٦٦) قول النبي ﷺ « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، ويصلون عليكم ===

وقيامه بحماية البيضة وسدّ الثغور(١)، وإصلاح الجند والظهور على العدو(٢)

= وتصلون عليهم . وفى الطبرى (٦ : ١٨٨) رواية مجالد عن الشعبى أن قبيصة بن جابر الأسدى قال : ألا أخبركم من صحبت ؟ صحبت عمر بن الخطاب فما رأيت رجلا أفقه فقها ولا أحسن مدارسة منه . ثم صحبت طلحة بن عبيدالله فما رأيت رجلا أعطى للجزيل من غير مسألة منه ، ثم صحبت معاوية فما رأيت رجلا أحبّ رفيقاً ولا أشبه سريرة بعلانية منه

(١) وقد بلغ من همته وعظيم عنايته بذلك أن أرسل يهدد ملك الروم ـ وهو فى معمعة القتال مع على فى صفين ـ وقد بلغه أن ملك الروم اقترب من الحدود فى جنود عظيمة ، فكتب إليه يقول « والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك ، لأصطلحن أنا وابن عمى عليك ، ولأخرجنك من جميع بلادك ، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت » فخاف ملك الروم وانكف (البداية والنهاية ٨ : ١١٩)

(٢) فى البر والبحر ، فكانت رايات الاسلام تخترق الآفاق بأيدى جنده ممثلة العزة التى أرادها الله لدينه ورسالة رسوله وللمؤمنين بهما . وكما أن فتح مصر ودخولها فى الاسلام والعروبة من عمل عمرو بن العاص وحده ، فان تأسيس الأسطول الاسلامى والفتوح البحرية الأولى من عمل معاوية وحده . ومما ينبغى للمشتغل بتاريخ العروبة والاسلام أن يعلمه أن معاوية مفطور على سجية السيادة والقيادة وصناعة الحكم ، أخرج ابن كثير فى التاريخ (٨: ١٣٥) عن هشيم عن العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « ما رأيت أحداً أسود من معاوية » . قال جبلة بن سحيم : قلت ولا عمر ؟ قال : « كان عمر خيراً منه ، وكان معاوية أسود منه » . ورووا مثل هذه الكلمة فى معاوية عن عبد الله بن عمر بن الخطاب . وتقدم قول عبد الله بن عباس « ما رأيت رجلا كان أخلق بالملك من معاوية »

وسياسة الخلق (١)

وقد شهد له فى صحيح الحديث بالفقه (٢) ، وشهد بخلافته فى حديث

---

(١) قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣ : ١٨٥) : لم يكن من ملوك الاسلام ملك خيراً من معاوية ، ولا كان الناس فى زمان ملك من الملوك خيراً منهم فى زمن معاوية ، إذا نسبت أيامه إلى أيام من بعده . وإذا نسبت إلى أيام أبى بكر وعمر ظهر التفاضل . وقد روى أبو بكر الأثرم - ورواه ابن بطة من طريقه - حدثنا محمد بن عمرو بن جبلة ، حدثنا محمد بن مروان ، عن يونس ، عن قتادة قال : لو أصبحتم فى مثل عمل معاوية لقال أكثركم : هذا المهدى . وروى ابن بطة باسناده الثابت من وجهين عن الأعمش عن مجاهد قال : لو أدركتم معاوية لقلتم هذا المهدى . وروى الأثرم : حدثنا محمد بن حواش ، حدثنا أبو هريرة المكتب قال : كنا عند الأعمش فذكروا عمر بن عبد العزيز وعدله ، فقال الأعمش : فكيف لو أدركتم معاوية ؟ قالوا : فى حلمه ؟ قال : لا والله ، بل فى عدله . وقال عبد الله ابن أحمد بن حنبل : أخبرنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة الثقفى ، عن أبى اسحاق السبيعى أنه ذكر معاوية فقال : لو أدركتموه أو أدركتم أيامه لقلتم : كان المهدى . وهذه الشهادة من هؤلاء الأئمة الأعلام لأمير المؤمنين معاوية صدى استجابة الله عز وجل دعاء نبيه ﷺ لهذا الخليفة الصالح يوم قال ﷺ « اللهم اجعله هادياً ، مهدياً ، واهد به » وهو من أعلام النبوة

(٢) فى كتاب مناقب الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٢٨ ج ٤ ص ٢١٩) حديث ابن أبى مليكة أن ابن عباس قيل له : « هل لك فى أمير المؤمنين معاوية ، فانه ما أوتر إلا بواحدة . فقال : انه فقيه » . وفى كتاب المناقب من جامع الترمذى (ك ٤٦ ب ٤٧) حديث عبد الرحمن بن أبى عميرة المزنى عن النبى ﷺ أنه قال لمعاوية « اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به » . =

أم حرام أن ناساً من أمته يركبون ثبج البحر الأخضر ملوكا على الأسرّة أو مثل الملوك على الأسرة ، وكان ذلك

= ورواه الطبرانى من طريق سعيد بن عبد العزيز التنوخى - وكان لأهل الشام كالإمام مالك لأهل المدينة - عن ربيعة بن يزيد الإيادى أحد الأئمة الأعلام عن عبد الرحمن بن أبى عميرة أن النبي ﷺ قال لمعاوية « اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب » . وأخرجه الامام البخارى فى التاريخ قال : قال لى أبو مسهر (وذكره بالعنعنة) . وتقدم فى ص ٨٣ حديث عزل عمير ابن سعد الانصارى عن ولاية حمص فى خلافة عمر وتوليته معاوية والشهادة له بأن النبي ﷺ دعا له بأن يهدى الله به . ورواه الامام أحمد من حديث العرباض بن سارية السلمى . ورواه ابن جرير من حديث ابن مهدى . ورواه أسد بن موسى وبشر بن السرى وعبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح باسناده . وزاد فى رواية بشر بن السرى « وأدخله الجنة » . ورواه ابن عدى وغيره عن ابن عباس . ورواه محمد بن سعد بسنده إلى مسلمة بن مخلد أحد فاتحى مصر وولاتها . ورواة هذا الدعاء النبوى لمعاوية من الصحابة أكثر من أن يحصوا . (وانظر البداية والنهاية ٨ : ١٢٠ - ١٢١ . وانظر ترجمة معاوية فى حرف الميم من تاريخ دمشق لابن عساكر) . ومن لم يصدق هذا الحديث فهو منكر لكل ما ثبت فى السنة من شريعة الاسلام . وفى الشيعة المبغضين لمعاوية اللاعنين له من يزعمون أنهم منتسبون إلى النبى ﷺ فهل تراهم يحقدون على جدهم ﷺ لرضاه عن معاوية واستعانته به ودعائه له ؟ « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » . وروى الحافظ ابن عساكر عن الإمام أبى زرعة الرازى أنه قال له رجل : انى أبغض معاوية . فقال له : ولم ؟ قال : لأنه قاتل علياً . فقال له أبو زرعة : « ويحك ، إن رب معاوية رحيم ، وخصم معاوية خصم كريم ، فإيش دخولك أنت بينهما ، رضى الله عنهما ؟ »

فى ولايته (١)

ويحتمل أن تكون مراتب فى الولاية : خلافة ، ثم ملك . فتكون ولاية الخلافة للأربعة ، وتكون ولاية الملك لابتداء معاوية (٢) . وقد

(١) أم حرام بنت ملحان صحابية من الأنصار من أهل قباء ، كان النبى ﷺ إذا ذهب إلى قباء استراح عندها ، وهى خالة خادمه أنس بن مالك . روى البخارى فى كتاب الجهاد من صحيحه (ك ٥٦ ب ٣ ج ٣ ص ٢٠١) ومسلم فى كتاب الإمارة (ك ٣٣ ح ١٦٠) عن أنس أن النبى ﷺ نام عندها القيلولة ثم استيقظ وهو يضحك لأنه رأى ناساً من أمته غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج البحر - أى وسطه ومعظمه - ملوكا على الأسرة . ثم وضع رأسه فنام واستيقظ وقد رأى مثل الرؤيا الأولى . فقالت له أم حرام : ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال لها « أنت من الأولين » . قال الحافظ ابن كثير (٨ : ٢٢٩) يعنى جيش معاوية حين غزا قبرس ففتحها سنة ٢٧ أيام عثمان بن عفان (بقيادة معاوية ، عقب إنشائه الأسطول الاسلامى الأول فى التاريخ) . وكانت معهم أم حرام فى صحبة زوجها عبادة بن الصامت . ومعهم من الصحابة أبو الدرداء وأبو ذر وغيرهما . وماتت أم حرام فى سبيل الله وقبرها بقبرس إلى اليوم . قال ابن كثير : ثم كان أمير الجيش الثانى يزيد بن معاوية فى غزوة القسطنطينية . قال : وهذا من أعظم دلائل النبوة

(٢) الخلافة والملك والإمارة عناوين اصطلاحية تتكيف فى التاريخ باعتبار مدلولها العملى ، والعبرة دائماً بسيرة المرء وعمله . ومعاوية قد ولى الشام للخلافة الراشدة مدة عشرين سنة ، ثم اضطلع بمهمة الاسلام كلها عشرين سنة أخرى فى الوطن الاسلامى الأكبر بعد بيعة الحسن بن على له ، فكان فى الحالتين قواماً بالعدل ، محسناً إلى الناس من كل الطبقات ، يكرم أهل المواهب ويساعدهم على تنمية مواهبهم ، ويسع بحلمه جهل الجاهلين ــــ

= فيعالج بذلك نقائصهم ، ويلتزم فى الجميع أحكام الشريعة المحمدية بحزم ورفق ومثابرة وإيمان . يؤمهم فى صلواتهم ، ويوجههم فى مجتمعهم ومرافقهم، ويقودهم فى حروبهم . وفى منهاج السنة (٣ : ١٨٥م) قول الصحابى الجليل أبى الدرداء لأهل الشام « مارأيت أحداً أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من إمامكم هذا » يعنى معاوية . وقد رأيتَ فى ص ٢٠٥ قول الأعمش للذين ذكروا عنده عمر بن عبد العزيز وعدله : « كيف لو أدركتم معاوية ؟ » قالوا : فى حلمه ؟ قال : « لا والله ، بل فى عدله » . وقد بلغ من استقامته على جادة الاسلام أن قال فيه أمثال قتادة ومجاهد وأبى اسحاق السبيعى - وكلهم من الأئمة الأعلام - : كان معاوية هو المهــدى (انظر ص ٢٠٥) . والذى يتتبع سيرة معاوية فى حكمه يرىٰ أن حكومته فى الشام كانت حكومة مثالية فى العدل والتراحم والتآسى ، لم يخير بين الطيب والأطيب إلا اختـار الأطيب على الطيب . فاذا كان هذا المسلك فى أربعين سـنة يؤهل الأمير المسلم للخلافة على المسلمين وقد ارتضوه لذلك واغتبطوا به فهو خليفـة ، ومن سماه ملـكا لا يستطيع أن يكابر فى أنه من أرحم ملوك الاسلام وأصلحهم . كنا أيام طلب العلم فى القسطنطينية فى مجلس للطلبة يتناقشون فيه موضوع سيرة معاوية وخلافته ، وكان ذلك فى أيام السلطان عبد الحميد . فوقف صديق الشهيــد السعيد عبد الكريم قاسم الخليل - وكان شيعياً - فقال : « أنتم تسمون سلطاننا خليفة ، وأنا أخوكم الشيعى أعلن أن يزيد بن معاوية كان بسيرته الطيبة أحق بالخلافة وأصدق عملا بالشرع المحمدى من خليفتنا ، فكيف بأبيه معاوية » . على أن معاوية كان يقول عن نفسه - فيما رواه خيثمة عن هارون بن معروف عن ضمرة عن ابن شوذب - : « أنا أول الملوك وآخر خليفة » . وتقدم فى ص ٧٧ حديث معمر عن الزهرى « ان معاوية عمل سنتين عمل عمر ما يخرم فيه » . وقد أشرنا هناك إلى اختلاف البيئة وتأثيرها فى أنظمة الحكم ، بل إن معاوية نفسه ذكر ذلك لعمر لما قدم عمر الشام وتلقاه معاوية فى موكب =

= عظيم ، فاستنكر عمر ذلك ، واعتذر له معاوية بقوله : « إنا بأرض جواسيس العدو فيها كثيرة ، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز للاسلام وأهله ونرهبهم به » . فقال عبد الرحمن بن عوف لعمر : « ما أحسن ما صدر عما أوردته فيه يا أمير المؤمنين » فقال عمر : من أجل ذلك جشمناه ما جشمناه » (البداية والنهاية ٨ : ١٢٤ - ١٢٥) . وسيرة عمر التي حاول معاوية أن يسير عليها سنتين كانت المثل الأعلى في بيته ، وكان يزيد يحدث نفسه بالتزامها . روى ابن أبي الدنيا عن أبي كريب محمد بن العلاء الهمداني الحافظ عن رشدين المصري عن عمرو بن الحارث الانصاري المصري عن بكير بن الأشج المخزومي المدني ثم المصري أن معاوية قال ليزيد : كيف تراك فاعلا إن وليت ؟ قال: كنت والله يا أبة عاملا فيهم عمل عمر بن الخطاب . فقال معاوية : سبحان الله يا بني ، والله لقد جهدت على سيرة عثمان فما أطقتها ، فكيف بك وسيرة عمر (ابن كثير ٨ : ٢٢٩) . والذين لا يعرفون سيرة معاوية يستغربون إذا قلت لهم : انه كان من الزاهدين والصفوة الصالحين . روى الامام أحمد في كتاب الزهد (ص ١٧٢ طبع مكة) عن أبي شبل محمد بن هارون عن حسن بن واقع عن ضمرة بن ربيعة القرشي عن علي بن أبي حملة عن أبيه قال : رأيت معاوية على المنبر بدمشق يخطب الناس وعليه ثوب مرقوع . وأخرج ابن كثير (٨ : ١٣٤) عن يونس بن ميسر الحميري الزاهد (وهو من شيوخ الإمام الأوزاعي) قال : رأيت معاوية في سوق دمشق ، وهو مردف وراءه وصيفاً وعليه قميص مرقوع الجيب ، يسير في أسواق دمشق . وكان قواد معاوية وكبار أصحابه يستهدونه ملابسه للتبرك بها ، فكان إذا حضر أحدهم إلى المدينة وعليه هذه الملابس يعرفونها ويتغالون في اقتنائها . روى الدارقطني عن محمد بن يحيى بن غسان أن القائد الشهير الضحاك بن قيس الفهري قدم المدينة ، فأتى المسجد فصلى بين القبر والمنبر ، وعليه برد مرقع قد ارتدى به من كسوة معاوية ، فرآه أبو الحسن البراد فعرف أنه برد معاوية =

قال الله فى داود ـ وهو خير من كل معاوية [١] ـ : ﴿ وآتاه الله الملك والحكمة ﴾ (البقرة : ٢٥١) فجعل النبوة ملكا . فلا تلتفتوا إلى أحاديث ضعف سندها ومتنها [٢]

ولو اقتضت الحال النظر فى الأمور لكان ـ والله أعلم ـ رأى آخر للجمهور ، ولكن انعقدت البيعة لمعاوية بالصفة التى شاءها الله ، على

= فساومه عليه وهو يظنه أعرابياً من عامة الناس ، حتى رضى أبو الحسن البراد أن يدفع له به ثلاثمائة دينار . فانطلق به الضحاك بن قيس إلى بيت حويطب بن عبد العزى فلبس رداء آخر وأعطى أبا الحسن البراد ذلك البرد بلا ثمن وقال له « قبيح بالرجل أن يبيع عطافه ، فخذه فالبسه » فأخذه أبو الحسن فباعه فكان أول مال أصابه (ابن عساكر ٧ : ص٦) وقد أوردنا هذه الأمثلة ليعلم الناس أن الصورة الحقيقية لمعاوية تخالف الصورة الكاذبة التى كان أعداؤه يصورونه بها ، فمن شاء بعد هذا أن يسمى معاوية خليفة وأميراً للمؤمنين ، فان سليمان بن مهران الأعمش ـ وهو من الأئمة الأعلام الحفاظ ، وكان يسمى « المصحف » لصدقه ـ كاد يفضل معاوية على عمر بن عبد العزيز حتى فى عدله . ومن لم يملأ معاوية عينه وأراد أن يضن عليه بهذا اللقب ، فان معاوية مضى إلى الله عز وجل بعدله وحلمه وجهاده وصالح عمله ، وكان وهو فى دنيانا لا يبالى أن يلقب بالخليفة أو الملك ، وانه فى آخرته لأكثر زهداً بما كان يزهد به فى دنياه

(١) ان داود فى نبوته ـ كما يعرفها المسلمون فى دينهم ـ تجعله خيراً من كل معاوية . وأما داود اليهود ـ كما يعرفه الناس من توراتهم الموجودة الآن فى الأيدى ـ فان معاوية خير منه . ومن شقاء اليهود ألا يعرفوا للقرآن والاسلام فضلهما عليهم فى تنزيه أنبياء بنى إسرائيل عما وصموا به فى كتبهم

(٢) يشير إلى حديث سفينة ، وقد مضى الكلام عليه فى ص ٢٠١

الوجه الذى وعد به رسول الله ﷺ مادحاً له ، راضياً عنه ، راجياً هدنة الحال فيه ، لقول النبي ﷺ « ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين (١) » .

وقد تكلم العلماء فى إمامة المفضول مع وجود من هو أفضل منه ، فليست المسألة فى الحدّ الذى يجعلها فيه العامة ، وقد بيناها فى موضعها (٢)

فإن قيل : فقد قَتَل حُجرَ بن عدىّ ـ وهو من الصحابة مشهور بالخير ـ صبراً أسيراً بقول زياد ، وبَعثت إليه عائشة فى أمره فوجدته قد فات بقتله . قلنا : علمنا قتل حجر كلنا ، واختلفنا : فقائل يقول قتله

---

(١) تقدم الكلام على هذا الحديث فى ص ٢٠٠

(٢) أى من مؤلفاته الأخرى . وهذه المسألة من مسائل الفقه الاسلامى المحصة ، المبنية أحكامها على النصوص والسنن والأسس الشرعية التى قام الدين على مثلها فى باب جلب المصالح ودرء المفاسد وتقدير الضرورات بأقدارها . والقاضى أبو الحسن الماوردى لم يذكر فى الأحكام السلطانية (ص ٥) مخالفاً فى جواز إمامة المفضول إلا الجاحظ ، وماذا يضرّ أئمة الدين إذا خالفهم الجاحظ ، وهل العباسيون الذين عرف الجاحظ بالتقرب إليهم فى حياتهم كانوا أفضل معاصريهم ؟ أما جمهور الفقهاء والمتكلمين فقالوا تجوز إمامة المفضول وصحت بيعته ، ولا يكون وجود الأفضل مانعاً من إمامة المفضول إذا لم يكن مقصراً عن شروط الأمامة ، كما يجوز ـ فى ولاية القضاء ـ تقليد المفضول مع وجود الأفضل ، لأن زيادة الفضل مبالغة فى الاختيار ، وليست معتبرة فى شروط الاستحقاق . ونحيل القارىء على كتاب « الإمامة والمفاضلة » لأبى محمد بن حزم المدرج فى الجزء الرابع من كتابه « الفِصَل » ولا سيما الفصل المعقود فيه لإمامة المفضول (ص ١٦٣- ١٦٧ من طبعة مصر سنة ١٣٢٠)

ظلماً ، وقائل يقول قتله حقاً (١)

فإن قيل : الأصل قتله ظلماً إلا إذا ثبت عليه ما يوجب قتله . قلنا :

---

(١) حجر بن عدى الكندى عدّه البخارى وآخرون من التابعين ، وعده البعض الآخر من الصحابة . وكان من شيعة علىّ فى الجمل وصفين . وروى ابن سيرين أن زياداً ـ وهو أمير الكوفة ـ خطب خطبة أطال فيها ، فنادى حجر بن عدى « الصلاة ! » فمضى زياد فى خطبته ، فحصبه حجر وحصبه آخرون معه . فكتب زياد إلى معاوية يشكو بغى حجر على أميره فى بيت الله ، وعدّ ذلك من الفساد فى الأرض . فكتب معاوية إلى زياد أنْ سرح به إلى . . فلما جىء به إلى معاوية أمر بقتله . فالذين يرون أن معاوية قتله بحق يقولون : ما من حكومة فى الدنيا تعاقب بأقل من ذلك من يحصب أميره وهو قائم يخطب على المنبر فى المسجد الجامع ، مندفعاً بعاطفة الحزبية والتشيع . والذين يعارضونهم يذكرون فضائل حجر ويقولون كان ينبغى لمعاوية أن لا يخرج عن سجيته من الحلم وسعة الصدر لمخالفيه . ويجيبهم الآخرون بأن معاوية يملك الحلم وسعة الصدر عند البغى عليه فى شخصه ، فأما البغى على الجماعة فى شخص حاكمها وهو على منبر المسجد فهو ما لا يملك معاوية أن يتسامح فيه ، ولا سيما فى مثل الكوفة التى أخرجت العدد الأكبر من أهل الفتنة الذين بغوا على عثمان بسبب مثل هذا التسامح ، فكبدوا الأمة من دمائها وسمعتها وسلامة قلوبها ومواقف جهادها تضحيات غالية كانت فى غنى عنها لو أن هيبة الدولة حفظت بتأديب عدد قليل من أهل الرعونة والطيش فى الوقت المناسب . وكما كانت عائشة تود لو أن معاوية شمل حجراً بسعة صدره ، فان عبد الله بن عمر كان يتمنى مثل ذلك . والواقع أن معاوية كان فيه من حلم عثمان وسجاياه ، إلا أنه فى مواقف الحكم كان يتبصر فى عاقبة عثمان وما جر إليه تمادى الذين اجترأوا عليه

الأصل أن قتل الإمام بالحق ، فمن ادعى أنه بالظلم فعليه الدليل . ولو كان ظلماً محضا لما بقى بيت إلا لعن فيه معاوية . وهذه مدينة السلام دار خلافة بنى العباس ـ وبينهم وبين بنى أمية ما لايخفى على الناس ـ مكتوب على أبواب مساجدها : « خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على ، ثم معاوية خال المؤمنين رضى الله عنهم[1] »

ولكن حجراً — فيما يقال — رأى من زياد أموراً منكرة[2] ، فحصبه ، وخلعه ، وأراد أن يقيم الخلق للفتنة ، فجعله معاوية ممن سعى فى الأرض فساداً

وقد كلمته عائشة فى أمره حين حج ، فقال لها : دعينى وحجراً حتى نلتقى عند الله . وأنتم معشر المسلمين أولى أن تدعوهما حتى يقفا بين يدى الله مع صاحبهما العدل الأمين المصطفى المكين ، وما أنتم ودخولكم حيث لا تشعرون ، فما لكم لا تسمعون ؟

فإن قيل : قد دسّ على الحسن من سمه

---

(١) المؤلف أقام فى بغداد زمن الدولة العباسية كما ذكرنا فى ترجمته ، فهو يعرف مساجدها معرفة مشاهدة وعيان . ومعاوية خال المؤمنين لأنه أخو أم المؤمنين رملة بنت أبى سفيان المشتهرة بكنيتها (أم حبيبة)

(٢) كان زياد فى خلافة على والياً من ولاته ، وكان حجر بن عدى من أولياء زياد وأنصاره . ولم يكن ينكر عليه شيئاً . فلما صار من ولاة معاوية صار ينكر عليه مدفوعاً بعاطفة التحزب والتشيع . وكان حجر يفعل مثل ذلك مع من تولى الكوفة لمعاوية قبل زياد ، فلمعاوية عذر إذا رأى أن حجراً ممن سعى فى الأرض فساداً

قلنا : هـذا محال من وجهين : أحدهما أنه ما كان ليتقي من الحسن باساً وقد سلم الأمر . الثاني أنه أمر مغيب لا يعلمـــه إلا الله فكيف تحملونه ـ بغير بينة ـ على أحد من خلقه في زمان متباعد لم نثق فيه بنقل ناقل ، بين أيدي قوم ذوي أهواء ، وفي حال فتنة وعصبية ، ينسب كل واحد إلى صاحبه ما لا ينبغي ، فلا يُقبل منها إلا الصافي ، ولا يسمع فيها إلا من العدل المصمم (١)

فإن قيل : فقد عَهد إلى يزيد وليس بأهل (٢) . وجرى بينه وبين

---

(١) قال شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٢ : ٢٢٥) فيما تزعمه الشيعة من أن معاوية سم الحسن : « لم يثبت ذلك ببينة شرعية ، ولا إقرار معتبر ، ولا نقل يجزم به . وهذا مما لا يمكن العلم به ، فالقول به قول بلا علم » . قال : « وقد رأينا في زماننا من يقال عنه سُم ومات مسموماً من الأتراك وغيرهم . ويختلف الناس في ذلك حتى في نفس الموضع الذي مات فيه والقلعة التي مات فيها ، فتجد كلا منهم يحدث بالشيء بخلاف ما يحدث به الآخر » . وبعد أن ذكر ابن تيمية أن الحسن مات بالمدينة وأن معاوية كان بالشام ، ذكر للخبر احتمالات ـ على فرض صحته ـ منها أن الحسن كان مطلاقاً لا يدوم مع امرأة ... الخ

(٢) إن كان مقياس الأهلية لذلك أن يبلغ مبلغ أبي بكر وعمر في مجموع سجاياهما ، فهذا ما لم يبلغه خليفة في تاريخ الاسلام ، ولا عمر بن عبدالعزيز . وإن طمعنا بالمستحيل وقدرنا إمكان ظهور أبي بكر آخر وعمر آخر فلن تتاح له بيئة كالبيئة التي أتاحها الله لأبي بكر وعمر . وإن كان مقياس الأهليـة الاستقامة في السيرة ، والقيام بحرمة الشريعة ، والعمل بأحكامها ، والعدل في الناس ، والنظر في مصالحهم ، والجهاد في عدوهم ، وتوسيع الآفاق لدعوتهم ، والرفق بأفرادهم وجماعاتهم ، فان يزيد يوم تمحص أخباره ، ويقف الناس =

عبد الله بن عمر وابن الزبير والحسين ما قصه [المؤرخون] عن وهب ابن جرير بن حازم عن أبيه وعن غيره : لما أجمع معاوية أن يبايع لابنه يزيد حج ، فقدم مكة فى نحو ألف رجل . فلما دنا من المدينة خرج ابن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبى بكر . فلما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه . ثم ذكر ابنه يزيد فقال : من أحق بهذا الأمر منه [1] . ثم ارتحل ، فقدم مكة فقضى طوافه ، ودخل منزله ، فبعث

= على حقيقة حاله كما كان فى حياته ، يتبين من ذلك أنه لم يكن دون كثيرين ممن تغنى التاريخ بمحامدهم ، وأجزل الثناء عليهم

(١) شباب قريش المعاصرون ليزيد ـ ممن يحدثون أنفسهم بولاية الأمر لبعض الاعتبارات التى يعرفونها لأنفسهم ـ كثيرون جداً ، حتى سعيد بن عثمان ابن عفان ومن هم دون سعيد كانوا يطمعون بولاية الأمر بعد معاوية . ومبدأ الشورى فى انتخاب الخليفة أفضل بكثير من مبدأ ولاية العهد . لكن معاوية كان يعلم بينه وبين نفسه أن فتح باب الشورى فى انتخاب من يخلفه سيحدث فى الأمة الاسلامية مجزرة لا ترقأ فيها الدماء إلا بفناء كل ذى أهلية فى قريش لولاية شىء من أمور هذه الأمة . ومعاوية أحصف من أن يخفى عليه أن المزايا موزعة بين هؤلاء الشباب القرشيين ، فاذا امتاز أحدهم بشىء منها على أضرابه ولداته ، فان فيهم من يمتاز عليه بشىء آخر منها . غير أن يزيد ـ مع مشاركته لبعضهم فى بعض ما يمتازون به ـ يمتاز عليهم بأعظم ما تحتاج إليه الدولة ، أعنى القوة العسكرية التى تؤيده إذا تولى الخلافة ، فتكون قوة للاسلام . كما تؤيده إذا أوقع الشيطان الفتنة على هذا الكرسى بين المتزاحمين عليه ، فيكون ما لا يحب كل مسلم أن يكون . ولو لم يكن ليزيد إلا أخواله من قضاعة وأحلافهم من قبائل اليمن ، لكان منهم ما لا يجوز لبعيد النظر أن يسقطه من قائمة الحساب عند ما يفكر فى هذه الأمور . أضف هذا إلى =

إلى ابن عمر ، فتشهد وقال : أما بعد يا ابن عمر ، فقد كنتَ تحدثني أنك لا تحبُّ أن تبيت ليلة سوداء ليس عليك أمير . وإني أحذّرك أن تشق عصا المسلمين ، وأن تسعى في فساد ذات بينهم » فلما سكت تكلم ابن عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فانه قد كانت قبلك خلفاء لهم أبناء ليس ابنك بخير منهم ، فلم يروا في أبنائهم ما رأيت في ابنك ، ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا الخيار . وإنك تحذرني أن أشق عصا المسلمين ، ولم أكن لأفعل ، وإنما أنا رجل من المسلمين ، فإذا اجتمعوا على أمر فانما أنا واحد منهم » . فخرج ابن عمر [1]

وأرسل إلى عبد الرحمن بن أبي بكر ، فتشهد ثم أخذ في الكلام ، فقطع عليه كلامه ، فقال : « إنك والله لوددت أنا وكلناك في أمر ابنك

ـــــ ما قرره ابن خلدون عند كلامه على مسير الحسين إلى العراق للخروج على يزيد حيث قال في فصل «ولاية العهد» من مقدمة تاريخه : « وأما الشوكة ، فغلط يرحمه الله فيها ، لأن عصبية مضر كانت في قريش ، وعصبية قريش في عبد مناف ، وعصبية عبد مناف إنما كانت في بني أمية ، تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولا ينكرونه ، وإنما نسي ذلك أول الاسلام لما شغل الناس من الذهول بالخوارق وأمر الوحي . . . حتى إذا انقطع أمر النبوة والخوارق المهولة تراجع الحكم بعض الشيء للعوائد ، فعادت العصبية كما كانت ولمن كانت ، وأصبحت مضر أطوع لبني أمية من سواهم »

(١) هذا الخبر معارض بما في كتاب المغازي من صحيح البخاري (ك ٦٤ ب ٢٩ ج ٥ ص ٤٨) عن ابن عمر أن اخته أم المؤمنين حفصة نصحت له بأن يسرع بالذهاب للبيعة وقالت : « الحق ، فانهم ينتظرونك ، وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة » . وانظر ص ٢٢٣

إلى الله . وإنا والله لا نفعل . والله لتردّنّ هـذا الأمر شورى فى المسلمين أو لتفرّنّها عليك جذعة (١) ، ثم وثب فقام . فقال معاوية : « اللهم اكففه بما شئت » . ثم قال : « على رِسلك أيها الرجل ، لاتشرفنّ لأهل الشام ، فانى أخاف أن يسبقونى بنفسك ، حتى أخبرَ العشية أنك قد بايعت ، ثم كن بعد ذلك على ما بدا لك من أمرك »

ثم أرسل إلى ابن الزبير فقال : « ياابن الزبير، إنما أنت ثعلب روّاغ كلما خرج من جحر دخل فى آخر ، وإنك عمدت إلى هذين الرجلين فنفخت فى مناخرهما » . فقال ابن الزبير : « إن كنتَ قد مللت الإمارة فاعتزلها ، وهلم ابنك فلنبايعه . أرأيت إذا بايعتُ ابنك معك لأيكما نسمع ، لأيكما نطيع ؟ لا تجتمع البيعة لكما أبداً (٢) » . ثم قام

فخرج معاوية فصعد المنبر فقال : إنا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار . وزعموا أن ابن عمر وابن الزبير وابن أبى بكر لم يبايعوا ليزيد ، قد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له

فقال أهل الشام : لا والله ، لا نرضى حتى يبايعوا على رءوس الأشهاد ، وإلا ضربنا أعناقهم

---

(١) أى لتنكشفن عليك الفتنة فى أشد حالاتها . ويلاحظ أن الذين انتحلوا هذه الأقوال فى الاستطالة على معاوية لم يطعنوا فى كفاءة يزيد وأهليته لأنها آخر ما يرتابون فيه

(٢) ابن الزبير أذكى من أن يفوته أن البيعة ليزيد بعد معاوية ، وليست لهما معاً فى حياة معاوية . والذين اخترعوا هذه الأخبار وأضافوها إلى وهب ابن جرير بن حازم يكذبون كذباً مفضوحاً

فقال : « مه ، سبحان الله ، ما أسرع الناس إلى قريش بالشر . لا أسمع هذه المقالة من أحد بعد اليوم » ثم نزل

فقال الناس : بايعوا . ويقولون هم : لم نبايع . ويقول الناس : قد بايعتم

وروى وهب من طريق آخر قال : خطب معاوية فذكر ابن عمر فقال : « والله ليبايعن أو لأقتلنه » . فخرج عبد الله بن عبد الله بن عمر إلى أبيه وسار إلى مكة ثلاثاً وأخبره (١) ، فبكى ابن عمر . فبلغ الخبر إلى عبد الله بن صفوان ، فدخل على ابن عمر فقال : أخطبَ هذا بكذا ؟ قال : نعم . قال : فما تريد ، أتريد قتاله ؟ قال : يا ابن صفوان ، الصبر خير من ذلك . فقال ابن صفوان : والله لو أراد ذلك لأقاتلنه (٢) . فقدم

---

(١) هذا الخبر عن وهب بن جرير بن حازم يشعر بأن معاوية خطب هذه الخطبة وهو فى المدينة قادماً إليها من دمشق قبل أن يصل إلى مكة ، وأن ابن عمر كان يومئذ فى مكة فركب إليه ابنه حتى لقيه بمكة وأخبره بهذه الخطبة . وفى الخبر الذى قبل هذا ـ وهو مروى عن وهب بن جرير بن حازم أيضاً ـ التصريح بأن ابن عمر كان بالمدينة عند وصول معاوية إليها من دمشق ، وأنه كان مع الاعيان الذين خرجوا لاستقباله . فالخبران متناقضان يكذب أحدهما الآخر مع أنهما عن راو واحد . ولا أدرى من أين جاء بهما المؤلف ، ولم ينقلهما الطبرى مع أنه يعتنى بأخبار وهب بن جرير لأنه ثقة ، ووهب مات سنة ٢٠٦ وأبوه مات سنة ١٧٠ بعد أن اختلط ، فبينهما وبين هذه الحوادث رواة آخرون ، وبينهما وبين الطبرى وغيره من المؤرخين رواة كثيرون . وأعتقد أن هذه الأخبار غير صحيحة لتناقضها ، ولو عرفنا رواتها إلى وهب وبعد وهب لعرفنا من أين جاء الكذب

(٢) عبد الله بن صفوان حفيد أمية بن خلف الجمحى . قتل مع ابن الزبير سنة ٧٣

معاوية مكة فنزل ذا طوى ، وخرج اليه عبد الله بن صفوان فقال : أنت تزعم أنك تقتل ابن عمر إن لم يبايع لابنك ؟ قال : أنا أقتل ابن عمر ؟ إنى والله لا أقتله

وروى وهب من طريق ثالث (١) قال : إن معاوية لما راح عن بطن مرّ قاصداً إلى مكة قال لصاحب حرسه : لا تدع أحداً يسير معى إلا من حملته . فخرج يسير وحده ، حتى إذا كان وسط الأراك لقيه الحسين بن على ، فوقف وقال : مرحباً وأهلا بابن بنت رسول الله ﷺ سيد شباب المسلمين . دابة لأبى عبد الله يركبها . فأتى ببرذون ، فتحول عليه . ثم طلع عبد الرحمن بن أبى بكر (٢) ، فقال مرحباً بابن شيخ قريش وسيدهم وابن صدّيق هذه الأمة . دابة لأبى محمد يركبها . فأتى ببرذون فركبه . ثم طلع ابن عمر فقال : مرحباً وأهلا بصاحب رسول الله وابن الفاروق وسيد المسلمين ، ودعا له بدابة فركبها . ثم طلع ابن الزبير فقال : مرحباً وأهلا بابن حوارى رسول الله وابن الصديق وابن عمة رسول الله ﷺ ، ودعا له بدابة فركبها . ثم أقبل يسير بينهم لا يسايره غيرهم حتى دخل مكة ، ثم كانوا أول داخل وآخر خارج ليس فى الأرض صباح إلا لهم فيه حباء وكرامة ، لا يعرض لهم بذكر شىء مما هو فيه حتى قضى نسكه وترحلت

---

(١) وهذا الخبر أيضاً ليس عند الطبرى ، وأظنه مصنوعاً فى المصنع الذى خرج منه الخبران السابقان

(٢) نحن نعلم من الخبر الأول عن وهب نفسه أن عبد الرحمن بن أبى بكر كان فى المدينة ، وكان فى الذين استقبلوا معاوية عند وصوله إليها من دمشق ، فما الذى طار به إلى مكة حتى صار فى مستقبلى معاوية عند وصوله إليها ؟ حقاً إن الذين يكذبون على معاوية أغبياء لا يجيدون ولا صناعة الكذب

أثقاله وقرب مسيره إلى الشام وأنيخت رواحله ، فأقبل بعض القوم على بعض فقالوا : أيها القوم لا تخدعوا ، إنه والله ما صنع هذا لحبكم ولا لكرامتكم ولا صنعه إلا لما يريد، فأعدُّوا له جواباً . وأقبلوا على الحسين فقالوا : أنت ياأبا عبدالله . قال : وفيكم شيخ قريش وسيدها ؟ هذا أحق بالكلام . فقالوا : أنت يا أبا محمد ـ لعبد الرحمن بن أبي بكر ـ فقال : لست هناك ، وفيكم صاحب رسول الله ﷺ وابن سيد المسلمين ـ يعني ابن عمر ـ فقالوا لابن عمر : أنت ! فقال : لست بصاحبكم ، ولكن أولوا الكلام ابن الزبير يكفكم . قالوا : أنت يا ابن الزبير . قال : نعم ، إن أعطيتموني عهودكم ومواثيقكم أن لا تخالفوني كفيتكم الرجل . فقالوا : فلك ذلك . فخرج الاذن ، فأذن لهم . فدخلوا

فتكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : لقد علمتم سيرتي فيكم ، وصلتي لأرحامكم ، وصفحي عنكم ، وحملي لما يكون منكم ، ويزيد ابن أمير المؤمنين أخوكم وابن عمكم وأحسن الناس لكم رأياً . وإنما أردت أن تقدّموه باسم الخلافة وتكونوا أنتم الذين تنزعون وتؤمرون وتجبون وتقسمون لا يدخل عليكم في شيء من ذلك

فسكت القوم . فقال : ألا تجيبوني ؟ فسكت القوم . فقال : ألا تجيبوني . فسكتوا . فاقبل على ابن الزبير فقال : هات يا ابن الزبير ، فانك لعمري صاحب خطبة القوم . فقال : نعم يا أمير المؤمنين أخيرك بين ثلاث خصال أيها أخذت فهي لك رغبة . قال : لله أبوك ، اعرضهن. قال : إن شئت صنعتَ ما صنع رسول الله ﷺ ، وإن شئت صنعت ما صنع أبو بكر فهو خير هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ ، وإن شئت صنعت ما صنع عمر فهو خير هذه الأمة بعد أبي بكر . قال : لله أبوك ،

ما صنعوا ؟ قال : قبض رسول الله ﷺ فلم يستخلف أحداً ، فارتضى المسلمون أبا بكر ، فان شئت أن تدع أمر هذه الأمة حتى يقضى الله فيه قضاءه فيختار المسلمون لأنفسهم . فقال : ايه ، ليس فيكم اليوم مثل أبى بكر ، وإنى لا آمن عليكم الاختلاف . قال : فاصنع كما صنع أبو بكر ، عهد إلى رجل من قاصية قريش ليس من بنى أبيه فاستخلفه . قال : لله أبوك . الثالثة ؟ قال : تصنع ما صنع عمر ، جعل الأمر شورى فى ستة نفر من قريش ليس أحد منهم من ولد أبيه . قال : عندك غير هذا ؟ قال : لا . قال : فأنتم ؟ قالوا : ونحن أيضاً . قال : أما لا ، فانى أحببت أن أتقدم إليكم ، إنه قد أعذر من أنذر ، وإن كان يقوم القائم منكم إلى فيكذّبنى على رءوس الأشهاد فأحتمل له ذلك . وإنى قائم بمقالة ، فان صدقت فلى صدقى وإن كذبت فعلى كذبى . وإنى أقسم بالله لكم لئن ردّ علىّ إنسان منكم لا ترجع اليه كامته حتى يسبق إلىّ رأسه . ثم دعا بصاحب حرسه فقال : أقم على كل رجل من هؤلاء رجلين من حرسك ، فان ذهب رجل يردّ على كلمة بصدق أو كذب فليضرباه بسيفيهما (١)

ثم خرج وخرجوا معه . حتى رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ، لا نستبد بأمر دونهم ، ولا نقضى أمراً إلا عن مشورتهم . وانهم ارتضوا وبايعوا ليزيد ابن أمير المؤمنين من بعده ، فبايعوا باسم الله . فضربوا على يده ، ثم جلس على راحلته وانصرف

---

(١) أورد المؤلف هذه الأخبار المفضوح كذبها ليعارضها فى ص ٢٢٤ بحديث البخارى عن الموقف السليم لابن عمر فى هذا الحادث . حتى يعلم الناس أن الحق فى واد وهؤلاء الرواة الكاذبون فى واد غيره

فلقيهم النـاس فقـالوا : زعمتم وزعمتم ، فلما أرضيتم وحُبيتم فعلتم . قالوا : إنا والله ما فعلنا . قالوا . فما منعكم أن تردوا على الرجل إذ كذب ؟ ثم بايع أهل المدينة والناس : ثم خرج الى الشام

قال القاضى أبو بكر (رضى الله عنه) : لسنا ننكر ، ولا بلغت بنا الجهالة ، ولا لنا فى الحق حمية جاهلية ، ولا ننطوى على غل لأحد من أصحاب محمد ﷺ ، بل نقول ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم ﴾ إلا أنا نقول : إن معاوية ترك الأفضل فى أن يجعلها شورى ، وألا يخص بها أحداً من قرابته فكيف ولداً ، وأن يقتدى بما أشار به عبد الله بن الزبير فى الترك أو الفعل[1] ، فعدل إلى ولاية ابنه وعقد له البيعة وبايعه الناس ، وتخلف عنها من تخلف [2] ، فانعقدت البيعة شرعا ، لأنها تنعقد بواحد وقيل باثنين

فإن قيل : لمن فيه شروط الإمامة . قلنا : ليس السن من شروطها ، ولم يثبت أنه يقصر يزيد عنها

[فإن] قيل : كان منها العدالة والعلم ، ولم يكن يزيد عدلا ولا

---

(١) كان معاوية أعرف بابن الزبير من ابن الزبير بنفسه ، روى البلاذرى فى أنساب الأشراف (٤ « ٢ » : ٥٣ - ٥٤) عن المدائنى عن مسلمة بن علقمة عن خالد عن أبى قلابة أن معاوية قال لابن الزبير : « ان الشح والحرص لن يدعاك حتى يدخلاك مُدخلا ضيقاً ، فوددت أنى حينئذ عندك فأستنقذك » . فلما حصر ابن الزبير قال : « هذا ما قال لى معاوية ، وددتُ أنه كان حياً »

(٢) عدل عن الوجه الأفضل لما كان يتوجس من الفتن والمجازر إذا جعلها شورى ، وقد رأى القوة والطاعة والنظام والاستقرار فى الجانب الذى فيه ابنه

عالما . قلنا : وبأى شىء نعلم عدم علمه أو عدم عدالته (١) ؟ ولو كان مسلوبهما لذكر ذلك الثلاثة الفضلاء الذين أشاروا عليه بأن لا يفعل ، وإنما رموا إلى الامر بعيبٌ التحكم ، وأرادوا أن تكون شورى

فإن قيل : كان هنالك من هو أحق منه عدالة وعلماً ، منهم مائة وربما ألف . قلنا : إمامة المفضول ـ كما قدمنا (٢) ـ مسألة خلاف بين العلماء ، كما ذكر العلماء فى موضعه

وقد حسم البخارى الباب ، ونهج جادة الصواب ، فروى فى صحيحه ما يبطل جميع هذا المتقدم ، وهو أن معاوية خطب وابن عمر حاضر فى خطبته ، فيما روى البخارى (٣) عن عكرمة بن خالد أن ابن عمر قال : دخلتُ على حفصة ونوساتها تنطف (٤) . قلت : قد كان من الأمر ما ترين ، فلم يُجعل لى من الأمر شىء . فقالت : « الحق ، فإنهم ينتظرونك ،

---

(١) أما عن العدالة فقد شهد له محمد بن على بن أبى طالب فى مناقشته لابن مطيع عند قيام الثورة على يزيد فى المدينة فقال عن يزيد : « مارأيت منه ما تذكرون . وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظباً على الصلاة ، متحرياً للخير ، يسأل عن الفقه ، ملازماً للسنة » (ابن كثير ٨ : ٢٣٣) . وأما عن العلم فما يلزم منه لمثله فى مثل مركزه كان فيه موضع الرضا وفوق الرضا . روى المدائنى أن ابن عباس وفد إلى معاوية بعد وفاة الحسن بن على ، فدخل يزيد على ابن عباس وجلس منه مجلس المعزى ، فلما نهض يزيد من عنده قال ابن عباس : إذا ذهب بنو حرب ذهب علماء الناس (ابن كثير ٨ : ٢٢٨)

(٢) فى ص ٢١١ (٣) ك ٦٤ ب ٢٩ ج ٥ ص ٤٨

(٤) أى وذوائبها تقطر ماء . سمى الذوائب « نوسات » لأنها تنوس ، أى تتحرك

وأخشى أن يكون فى احتباسك عنهم فرقة » . فلم تدعه حتى ذهب . فلما تفرق الناس خطب معاوية فقال : من كان يريد أن يتكلم فى هذا الأمر فليطلع لنا قرنه ، فلنحن أحقُّ به منه ومن أبيه . قال حبيب بن مسلمة (١) : فهلا أجبته ؟ قال عبد الله : فحللت حبوتى ، وهممت أن أقول : أحق بهذا الأمر منك مَن قاتلك وأباك على الاسلام ، فخشيتُ أن أقول كلمة تفرّق بين الجمع وتسفك الدم ويُحمل عنى غير ذلك ، فذكرت ما أعد الله فى الجنان . فقال حبيب : حُفظتَ وعصمت

وروى البخارى (٢) أن أهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده وقال : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُنصب لكل غادر لواء يوم القيامة » وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله (٣) ، وإنى لا أعلم غدراً أعظم من أن نبايع رجلا على بيع الله

---

(١) حبيب بن مسلمة الفهرى مكى كان عند وفاة النبى ﷺ صبياً ، ثم التحق بالشام للجهاد فاشتهرت بطولته ، وبعده فاتح أرمينية ، ويقال إنه كان قائد النجدة التى خرجت من الشام لانقاذ عثمان من أيدى البغاة عليه ، فجاءها الخبر بشهادته وهى فى الطريق فعادت

(٢) فى كتاب الفتن من صحيحه (ك ٩٢ ب ٢١ ج ٨ ص ٩٩)

(٣) وهذا الخبر المنير الذى يرويه البخارى فى صحيحه يفضح الذين زوروا على وهب بن جرير تلك الأخبار المتناقضة بأن ابن عمر وغيره لم يبايعوا ليزيد ، وأن معاوية أقام على رؤوسهم من يقطعها إذا كذبوه فيما افتراه عليهم من أنهم بايعوا لابنه . فتبين الآن أنه لم يفتر عليهم ، وهذا ابن عمر يعلن فى أحرج المواقف - أى فى ثورة أهل المدينة على يزيد بتحريض ابن الزبير وداعيته ابن مطيع - أن فى عنقه كما فى أعناقهم بيعة شرعية لإمامهم على =

ورسوله ثم ننصب له القتال . وإنى لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع فى هذا الأمر إلا كانت الفيصل بينى وبينه

فانظروا معشر المسلمين إلى ماروى البخارى فى الصحيح ، وإلى ماسبق ذكرنا له فى رواية بعضهم أن عبد الله بن عمر لم يبايع ، وأن معاوية كذب وقال قد بايع ، وتقدم إلى حرسه يأمره بضرب عنقه إن كذّبه . وهو قد قال فى رواية البخارى : « قد بايعناه على بيع الله ورسوله » وما بينهما من التعارض ، وخذوا لأنفسكم بالأرجح فى طلب السلامة ، والخلاص بين الصحابة والتابعين . فلا تكونوا ولم تشاهدوهم — وقد عصمكم الله من فتنتهم — ممن دخل بلسانه فى دمائهم ، فيلغ فيها ولوغ الكلب بقية الدم على الأرض بعد رفع الفريسة بلحمها ، لم يلحق الكلب منها إلا بقية دم سقط على الأرض

وروى الثبت العدل عن عبد الرحمن بن مهدى ، عن سفيان ، عن محمد

= بيع الله ورسوله ، وأن من أعظم الغدر أن تبايع الأمة إمامها ثم تنصب له القتال . ولم يكتف ابن عمر بذلك فى تلك الثورة على يزيد بل روى مسلم فى كتاب الامارة من صحيحه (ك ٣٣ ح ٥٨ ج ٦ ص ٢٢) أن ابن عمر جاء إلى ابن مطيع داعية ابن الزبير ومثير هذه الثورة فقال ابن مطيع : اطرحوا لأبى عبد الرحمن وسادة . فقال ابن عمر : إنى لم آتك لأجلس ، أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله ﷺ يقوله : « من خلع يداً من طاعة ، لقى الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » . وكان لمحمد بن على بن أبى طالب (المعروف بابن الحنفية) مثل هذا الموقف من داعية الثورة ابن مطيع سيراه القارىء فى ص ٢٢٧-٢٢٨ عند الكلام على سيرة يزيد

ابن المنكدر قال : قال ابن عمر حين بويع يزيد « إن كان خيراً رضينا ، وإن كان شراً صبرنا »

وثبت عن حميد بن عبد الرحمن قال : دخلنا على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حين استخلف يزيد بن معاوية فقال : تقولون ان يزيد ابن معاوية ليس بخير أمة محمد ، لا أفقهها فقهاً ، ولا أعظمها فيها شرفاً . وأنا أقول ذلك . ولكن والله لأن تجتمع أمة محمد أحبُّ إليَّ من أن تفترق . أرأيتم باباً دخل فيه أمة محمد ووسعهم ، أكان يعجز عن رجل واحد لو كان دخل فيه ؟ قلنا : لا . قال : أرأيتم لو أن أمة محمد قال كل رجل منهم لا أريق دم أخي ولا آخذ ماله ، أكان هذا يسعهم ؟ قلنا : نعم . قال : فذلك ما أقول لكم . ثم قال : قال رسول الله ﷺ « لا يأتيك من الحياء إلا خير »

فهذه الأخبار الصحاح كلها تعطيك أن ابن عمر كان مسلّماً فى أمر يزيد ، وأنه بايع وعقد له والتزم ما التزم الناس ، ودخل فيما دخل فيه المسلمون، وحرّم على نفسه ومن إليه بعد ذلك أن يخرج على هذا أو ينقضه

وظهر لك أن من قال : إن معاوية كذب فى قوله « بايع ابن عمر ولم يبايع ، وأن ابن عمر وأصحابه سئلوا فقالوا « لم نبايع » فقد كذب وقد صدق البخارى فى روايته قول معاوية فى المنبر « ان ابن عمر قد بايع » باقرار ابن عمر بذلك (١) وتسليمه له وتماديه عليه

فأى الفريقين أحقُّ بالصدق إن كنتم تعلمون ؟ ألفريق الذى فيه البخارى ، أم الذى فيه غيره ؟

---

(١) فى ثورة المدينة على يزيد ، انظر ص ٢٢٤

لخذوا لأنفسكم بالأحزم والأصح ، أو اسكتوا عن الكل ، والله يتولى توفيقكم وحفظكم

و « الصاحب » الذى كنى عنه حميد بن عبد الرحمن هو ابن عمر ، والله أعلم . وإن كان غيره فقد أجمع رجلان عظيمان على هـذه المقالة ، وهى تعضـد ما أصّلناه لكم من أن ولاية المفضول نافذة وإن كان هنالك من هو أفضل منه إذا عقدت له . ولما فى حلها ـ أو طلب الأفضل ـ من استباحة ما لا يباح ، وتشتيت الكلمة ، وتفريق أمر الأمة

فإن قيل : كان يزيد خماراً . قلنا : لا يحلّ إلا بشاهدين ، فمن شهد بذلك عليه[1] ؟ بل شهد العدل بعدالته : فروى يحيى بن بكير عن الليث بن

(١) إن معاوية ـ مع شديد حبه ليزيد ، لألمعيته واكتمال مواهبه ـ آثر أن ينشأ بعيدا عنه فى أحضان الفطرة ، وخشونة البداوة وشهامتها ، ليستكمل الصفات اللائقة بالمهمة التى تنتظر أمثاله ، فبعث به إلى أخبية البادية عنـد أخواله من قضاعة . ليكون على مذهب أمه ميسون بنت بحدل يوم قالت :

لبيتٌ تخفق الأرواح فيـه ... أحبُّ إلى من قصر منيف

وفى ذلك الوسط أمضى يزيد زمن صباه وصدر شبابه ، وما لبث أن انتقل أبوه إلى رحمة الله حتى تولى المركز الذى أراده الله له . فلما خلا الجو لابن الزبير بموت معاوية صار دعاته يذيعون فى الحجاز الأكاذيب على يزيد ويسبون إليه ما لا يحلّ لهم . نقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٨ : ٢٣٣) أن عبد الله بن مطيع (داعية ابن الزبير) مشى فى المدينة هو وأصحابه إلى محمد بن على بن أبى طالب (المعروف بابن الحنفيـة) فأرادوه على خلع يزيد . فأبى عليهم ، فقال ابن مطيع : إن يزيد يشرب الخمر ، ويترك الصلاة ، ويتعدى حكم الكتاب . فقال لهم : ما رأيت منه ماتذكرون ، وقد حضرته ، وأقمت عنده ، فرأيتـه مواظباً على الصلاة متحرياً للخير ، يسأل عن ـــ

سعد ، قال الليث : « توفى أمير المؤمنين يزيد فى تاريخ كذا » فسماه الليث « أمير المؤمنين » بعد ذهاب ملكهم وانقراض دولتهم ، ولولا كونه عنده كذلك ما قال إلا « توفى يزيد »

فإن قيل : ولو لم يكن ليزيد إلا قتله للحسين بن علي . قلنا : يا أسفاً على المصائب مرة ، ويا أسفاً على مصيبة الحسين ألف مرة . وإن بوله يجرى على صدر النبي ﷺ ، ودمه يراق على البوغاء ولا يحقن (١) يا لله ويا للمسلمين

وإن أمثل ما روى فيه أن يزيد كتب إلى الوليد بن عتبة ينعى له

— الفقه ، ملازماً للسنة . قالوا : فان ذلك كان منه تصنعاً لك . فقال : وما الذى خاف منى أو رجا حتى يظهر إلىَّ الخشوع ؟ أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر ؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه ، وإن لم يكن أطلعكم فما يحلُّ لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا . قالوا : إنه عندنا لحق وإن لم نكن رأيناه . فقال لهم : أبى الله ذلك على أهل الشهادة فقال : ﴿ إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ (الزخرف : ٨٦) ، ولست من أمركم فى شىء . قالوا : فلعلك تكره أن يتولى الأمر غيرك ، فنحن نوليك أمرنا . قال : ما أستحل القتال على ما تريدوننى عليه تابعاً ولا متبوعاً . قالوا : فقد قاتلتَ مع أبيك . قال : جيئونى بمثل أبى أقاتل على مثل ما قاتل عليه . فقالوا : فمر ابنيك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا . قال : لو أمرتهما قاتلت . قالوا : فقم معنا مقاماً تحض الناس فيه على القتال . قال : سبحان الله ، آمر الناس بما لا أفعله ولا أرضاه ؟ إذن ما نصحت لله فى عباده . قالوا : إذن نكرهك . قال : إذن آمر الناس بتقوى الله ، وألا يرضوا المخلوق بسخط الخالق (وخرج إلى مكة)

(١) البوغاء : التراب الناعم

معاوية ويأمره أن يأخذ له البيعة على أهل المدينة ـ وقد كانت تقدمت ـ فدعا مروان فأخبره فقال له : ارسل الى الحسين بن على وابن الزبير ، فان بايعوا وإلا فاضرب أعناقهم . قال : سبحان الله ، تقتل الحسين بن على وابن الزبير ؟ قال : هو ما أقول لك . فأرسل إليهما ، فأتاه ابن الزبير ، فنعى إليه معاوية وسأله البيعة ، فقال : ومثلى يبايع هنا ؟ ارق المنبر ، وأنا [أبايع] مع الناس علانية . فوثب مروان وقال : اضرب عنقه ، فانه صاحب فتنة وشر . فقال [ابن الزبير] : فانك لهنالك يا ابن الزرقاء ؟ (واستبّا) . فقال الوليد : اخرجا عنى ، وأرسل الى الحسين ولم يكلمه بكلمة فى شىء ، وخرجا من عنده . وجعل الوليد عليهما الرصد . فلما دنا الصبح خرجا مسرعين الى مكة فالتقيا بها . فقال له ابن الزبير : ما يمنعك من شيعتك وشيعة أبيك ؟ فوالله لو أن لى مثلهم لذهبت إليهم . فهذا ماصح

وذكر المؤرخون أن كتب أهل الكوفة وردت على الحسين (١) ،

---

(١) أول من كتب إليه من شيوخ شيعته ـ على ما رواه مؤرخهم لوط بن يحيى ـ : سليمان بن صُرَد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر ، وأرسلوا كتابهم مع عبد الله بن سبع الهمدانى وعبد الله بن وال ، فبلغا حسيناً بمكة فى عاشر رمضان سنة ٦٠ ، وبعد يومين سرحوا إليه قيس ابن مسهر الصيداوى وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبى وعمارة السلولى بثلاث وخمسين صحيفة ، وبعد يومين آخرين سرحوا اليه هانئ بن هانئ السبيعى وسعيد بن عبد الله الحنفى (وفى الطبرى ٦ : ١٩٧ نصوص بعض رسائلهم وأسماء بعض أصحابها) وهى تدور على أنهم لا يجتمعون مع أميرهم النعمان بن بشير فى جمعة ، ويدعون الحسين اليهم حتى إذا أقبل طردوا أميرهم وألحقوه بالشام ، ويقولون فى بعضها : « أينعت الثمار ، فاذا شئت فاقدم على جند لك مجند » . فأرسل الحسين اليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب =

وأنه أرسل مسلم بن عقيل ـ ابن عمه ـ إليهم ليأخذ عليهم البيعة وينظر

= ليرى إن كانوا مستوثقين مجتمعين ليقدم هو عليهم بعد ذلك . وضل مسلم بن عقيل فى الطريق ومات من معه من العطش فكتب الى الحسين يستعفيه من هذه المهمة ، فأجابه : خشيت ألا يكون حملك على الاستعفاء إلا الجبن . فمضى مسلم حتى بلغ الكوفة ، وأعطاه البيعة للحسين اثنا عشر ألفاً منهم ، وشعر أمير الكوفة النعمان بن بشير بحركاتهم فخطب فيهم ينهاهم عن الفتنة والفرقة ، وقال لهم : إنى لا أقاتل إلا من قاتلنى ، ولا آخذ بالظنة والتهمة ، فان أبديتم لى صفحتكم ونكثتم بيعتكم لأضربنكم بسيفى ما ثبت قائمه فى يدى . وعلم يزيد أن النعمان بن بشير حليم ناسك لا يصلح فى مقاومة مثل هذه الحركة ، فكتب إلى عبيد الله بن زياد عامله على البصرة أنه قد ضم اليه الكوفة أيضا ، وأمره أن يأتى الكوفة وأن يطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى يثقفه فيوثقه فيقتله أو ينفيه . فاستخلف عبيد الله أخاه على البصرة وأقبل الى الكوفة فاتصل برؤسائها وقبض على أزمة الحال ، فما لبث مسلم بن عقيل أن رأى مبايعيه الاثنى عشر ألفاً كالهباء ، ورأى نفسه وحيداً طريدا ، ثم قبض عليه وقتل وكان الحسين قد جاءته قبل ذلك رسائل مسلم بن عقيل بأن اثنى عشر ألفاً بايعوه على الموت فخرج عقب موسم الحج يريد الكوفة ، ولم يشجعه على الخروج إلا ابن الزبير لأنه عرف أن أهل الحجاز لا يتابعونه ما دام الحسين معهم فصار الحسين أثقل خلق الله على ابن الزبير (الطبرى ٦ : ١٩٦ - ١٩٧ وانظر ٦ : ٢١٦ و ٢١٧) . أما المشفقون على الحسين من هذا الخروج المشئوم فهم جميع أحبائه وذوى قرابته والناصحين له والمتحرين سنة الاسلام فى مثل هذا الموقف ، كل هؤلاء نهوه عن مسيره وحذروه من عواقبه ، وفى طليعتهم أخوه محمد بن الحنفية (الطبرى ٦ : ١٩٠ - ١٩١) وابن عم أبيه حبر الأمة عبد الله بن العباس (الطبرى ٦ : ٢١٦ - ٢١٧) وابن عمه عبد الله بن جعفر بن أبى طالب (٢ : ٢١٩) ، وقد بلغ الأمر بعبد الله بن جعفر أن =

هو فى اتباعه ، فنهاه ابن عباس وأعلمه أنهم خذلوا أباه وأخاه ، وأشار عليه ابن الزبير بالخروج فخرج ، فلم يبلغ الكوفة إلا ومسلم بن عقيل قد قتل وأسلمه من كان استدعاه . ويكفيك بهذا عظة لمن اتعظ . فتمادَى واستمر غضباً للدين وقياماً بالحق . ولكنه ـ رضى الله عنه ـ لم يقبل نصيحة أعلم أهل زمانه ابن عباس، وعدل عن رأى شيخ الصحابة ابن عمر (١)

= حمل والى يزيد على مكة وهو عمرو بن سعيد بن العاص على أن يكتب للحسين كتاب الأمان ويمنيه فيه البر والصلة ويسأله الرجوع ، فأجابه والى مكة الى كل ما طلب وقال له اكتب ماتشاء وأنا أختم على الكتاب ، فكتبه وختمه الوالى ، وبعث به الى الحسين مع أخيه يحيى بن سعيد بن العاص ، وذهب عبد الله بن جعفر مع يحيى ، وجهدا بالحسين أن يثنياه عن السفر فأبى (وصورة كتاب الوالى فى تاريخ الطبرى ٦ : ٢١٩ - ٢٢٠) ، وليس فوق هؤلاء الناصحين أحد فى عقلهم وعلمهم ومكانتهم وإخلاصهم ، بل إن عبدالله ابن مطيع داعية ابن الزبير كان من ناصحيه بعقل وإخلاص (الطبرى ٦ : ١٩٦) وعمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى كان على هـذا الرأى (الطبرى ٦ : ٢١٥ - ٢١٦) والحارث بن خالد بن العاص بن هشام لم يأله نصحاً (٦ : ٢١٦) وحتى الفرزدق الشاعر قال له : قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية (الطبرى ٦ : ٢١٨) فلم يفد شيء من هذه الجهود فى تحويل الحسين عن هذا السفر الذى كان مشئوماً عليه ، وعلى الاسلام ، وعلى الأمة الاسلامية إلى هذا اليوم وإلى قيام الساعة ، وكل هذا بجناية شيعته الذين حرضوه بجهل وغرور ورغبة فى الفتنة والفرقة والشر ، ثم خذلوه بجبن ونذالة وخيانة وغدر . ولم يكتف ورثتهم بما فعل أسلافهم فعكفوا على تشويه التاريخ وتحريف الحقائق ورد الأمور على أدبارها

(١) فى إيثاره العافيـة ، وحرصه على وحدة المسلمين وتفرغهم لنشر الدعوة والفتوح

وطلب الابتداء فى الانتهاء ، والاستقامة فى الاعوجاج ، ونضارة الشبيبة فى هشيم المشيخة . ليس حوله مثله . ولا له من الأنصار من يرعى حقه ، ولا من يبذل نفسه دونه ، فأردنا أن نطهر الأرض من خمر يزيد (١) فأرقنا دم الحسين ، فجاءتنا مصيبة لا يجبرها سرور الدهر

وما خرج إليه أحد إلا بتأويل ، ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جده المهيمن على الرسل ، المخبر بفساد الحال ، المحذر من الدخول فى الفتن. وأقواله فى ذلك كثيرة : منها قوله ﷺ (٢) « إنه ستكون هنات وهنات ، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان » . فما خرج الناس إلا بهذا وأمثاله . ولو أن عظيمها وابن عظيمها وشريفها وابن شريفها الحسين وسعه بيته أو ضيعته أو إبله - ولو جاء الخلق يطلبونه ليقوم بالحق وفى جملتهم ابن عباس وابن عمر لم يلتفت إليهم - وحضره ما أنذر به النبي ﷺ وما قال فى أخيه (٣) ، ورأى أنها خرجت عن أخيه ومعه جيوش الأرض وكبار الخلق يطلبونه ، فكيف ترجع اليه باوباش الكوفة ، وكبارُ الصحابة ينهونه وينأون عنه ؟ ما أدرى فى هذا إلا التسليم لقضاء الله ، والحزن على ابن بنت رسول الله ﷺ بقية الدهر . ولولا معرفة أشياخ وأعيان الأمة بأنه أمر صرفه الله عن أهل البيت ، وحال من الفتنة لا ينبغي لأحد أن يدخلها ، ما أسلموه أبدا

وهذا أحمد بن حنبل - على تقشفه وعظيم منزلته فى الدين وورعه -

---

(١) بزعم مثيرى الفتنة الذين يشهدون بغير ما علموا

(٢) من حديث عرفجة فى كتاب الامارة من صحيح مسلم : باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (ك ٣٣ ح ٥٩ ج ٦ ص ٢٢)

(٣) « ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين

قد أدخل عن يزيد بن معاوية فى (كتاب الزهد) أنه كان يقول فى خطبته : « إذا مرض أحدكم مرضاً فأشفى ثم تماثل ، فلينظر إلى أفضل عمل عنده فليلزمه ، ولينظر إلى أسوأ عمل عنده فايدعه » وهذا يدل على عظيم منزلته عنده حتى يدخله فى جملة الزهاد من الصحابة والتابعين الذين يُقتدى بقولهم ويرعوى من وعظهم . ونعم ، وما أدخله إلا فى جملة الصحابة ، قبل أن يخرج إلى ذكر التابعين . فأين هذا من ذكر المؤرخين له فى الخمر وأنواع الفجور ، ألا يستحيون ؟! وإذا سلبهم الله المروءة والحياء ، ألا ترعوون أنتم وتزدجرون ، وتقتدون بالأحبار والرهبان من فضلاء الأمة ، وترفضون الملحدة والمجان من المنتمين إلى الملة ﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ﴾ والحمد لله رب العالمين

وانظروا إلى ابن الزبير بعد ذلك وما دخل فيه من البيعة له بمكة ، والأرض كلها عليه . وانظروا الى ابن عباس وعقله وإقباله على أمر نفسه . وانظروا إلى ابن عمر وسنه وتسليمه للدنيا ونبذه لها . ولو كان للقيام وجه لكان أولى بذلك ابن عباس ، فان ولدى أخيه عبيد الله قد ذُكر أنهما قتلا ظلماً (١) . ولكن رأى بعقله أن دم عثمان لم يُخلص اليه ، فكيف بدم ولدى عبيد الله ! وان الأمر راهق(٢) ، قد خرجا عنه حفظاً للأصل وهو اجتماع أمر الأمة وحقن دمائها وائتلاف كلمتها ، ودع

---

(١) كان ذلك سنة ٤٠ فى اليمن آخر ولاية عبيد الله بن عباس عليها لعلى ، فأرسل معاوية الى الحجاز واليمن بسر بن أبى أرطاة فأخذ له البيعة على أهل الحجاز ، ثم توجه بسر إلى اليمن فلما علم عبيد الله بمجيئه هرب إلى الكوفة وترك ابنيه فى اليمن فقتلهما بسر فيما يقال

(٢) أى تداخل حقه فى باطله

الأمر يتولاه أسود مجدّع حسبما أمر به صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه (١) . وكل منهم عظيم القدر مجتهد ، وفيما دخل فيه مصيب ماجور، ولله فيه حكم قد أنفذه ، وحكم فى الآخرة قد أحكمه وفرغ منه . فاقدروا هذه الأمور مقاديرها ، وانظروا بما قابلها ابن عباس وابن عمر فقابلوها ، ولا تكونوا من السفهاء الذين يرسلون ألسنتهم وأقلامهم بما لا فائدة لهم فيه . ولا يغنى من الله ولا من دنياهم شيئاً عنهم

وانظروا الى الأئمة الأخيار وفقهاء الأمصار ، هل أقبلوا على هذه الخرافات وتكلموا فى مثل هذه الحماقات ؟ بل علموا أنها عصبيات جاهلية ، وحمية باطلة . ولا تفيد إلا قطع الحبل بين الخلق وتشتيت الشمل واختلاف الأهواء - وقد كان ما كان ، وقال الأخباريون ما قالوا - فإما سكوت ، وإما اقتداء بأهل العلم . وطرح لسخافات المؤرخين والأدباء والله يكمل علينا وعليكم النعماء برحمته

نكتة

وعجباً لاستكبار الناس ولاية بنى أمية ، وأولُ من عقد لهم الولاية رسول الله ﷺ ، فانه ولى يوم الفتح عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية مكة - حرم الله وخير بلاده - وهو فتىُّ السن قد أبقل أو لم يبقل . واستكتب معاوية بن أبى سفيان أميناً على وحيه . ثم ولى أبو بكر يزيدَ ابن أبى سفيان - أخاه - الشام وما زالوا بعد ذلك يتوقلون فى سبيل المجد ، ويترقون فى درج العزّ ، حتى أنهتهم الأيام ، إلى منازل الكرام

(١) فى كتاب الامارة من صحيح مسلم من حديث أبى ذر (ك ٣٣ ح ٣٦ ج ٦ ص ١٤)

وقد روى الناس أحاديث فيهم لا أصل لها ، منها حديث رؤية النبى ﷺ بنى أمية ينزون على منبره كالقردة ، فعزّ عليه ، فأعطى ليلة القدر خيراً من ألف شهر يملكها بنو أمية . ولو كان هذا صحيحاً ما استفتح الحال بولايتهم ، ولا مكن لهم فى الأرض بأفضل بقاعها وهى مكة وهذا أصلٌ يجب أن تشدّ عليه اليد

فإن قيل : أحدث معاوية فى الاسلام الحكم بالباطل ، والقضاء بما لا يحل من استلحاق زياد . قلنا : قد بينا فى غير موضع أن استلحاق زياد إنما كان لأشياء صحيحة ، وعمل مستقيم نبينه بعد ذكر ما ادّعى فيه المدعون من الانحراف عن الاستقامة . إذ لا سبيل إلى تحصيل باطلهم ، لأن خرق الباطل لا يرقع ، ولسانه أعظم منه فكيف به لا يقطع ؟ !

قالوا : كان زياد ينتسب إلى عبيد الثقفى من سمية جارية الحارث بن كلدة [1] ، واشترى [زياد] عبيداً أباه بألف درهم فأعتقه [2] . قال أبو

---

(١) روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة زياد من تاريخ دمشق (٥ : ٤٠٩) عن عوانة بن الحكم الكلبى (أكبر شيوخ المدائنى) أن سمية أم زياد كانت لدهقان من دهاقين الفرس ، فاشتكى وجع البطن وخاف أن يكون أصيب بداء الاستسقاء ، فدعا الحارث بن كلدة الثقفى طبيب العرب ـ وقد كان قدم على كسرى ـ فعالج الدهقان فبرأ ، فوهب له سمية ، فولدت له أبا بكرة واسمه مسروح أو نفيع فلم يقرّ به . ثم ولدت نافعاً فلم يقر به ، فلما نزل أبو بكرة إلى النبى ﷺ قال الحارث بن كلدة لنافع : ان أخاك مسروحاً عبد وأنت ابنى . فاقر به يومئذ . وزوجها الحارث غلاماً له يقال له عبيد فولدت زيادا على فراشه ، وكان أبو سفيان سار إلى الطائف فنزل على رجل يقال له أبو مريم السلولى (قال : فأتاه أبو مريم بسمية فوقع بها فولدت زيادا)

(٢) فى ترجمة زياد من تاريخ ابن عساكر (٥ : ٤٠٦ - ٤٠٧) خبر

عثمان النهدى : فكنا نغبطه . واستعمله عمر على بعض صدقات البصرة .
وقيل بل كتب لأبى موسى (١) ، فلما لم يقطع الشهادة مع الشهود على
المغيرة جلدهم وعزله وقال له : ما عزلتك لخزية ، ولكنى كرهت أن
أحمل على الناس فضل عقلك . ورووا أن عمر أرسله الى اليمن فى
اصلاح فساد فرجع وخطب خطبة لم يسمع مثلها ، فقال عمرو بن العاص
« أما والله لو كان هذا الغلام قرشياً لساق الناس بعصاه » ، فقال أبو
سفيان : والله إنى لأعرف الذى وضعه فى رحم أمه ، فقال له علىّ
ومن ؟ قال : أنا . قال : مهلا يا أبا سفيان . فقال ابو سفيان أبياتاً من الشعر

أما والله لولا خوف شخص(٢) يرانى يا علىّ من الأعادى

= يرويه زهرة بن معبد ومحمد بن عمرو عن وفادة زياد وهو فتى على أمير المؤمنين عمر من قبل أبى موسى الأشعرى فى يوم جلولاء قالا : فلما نظر اليه عمر رأى له هيئة حسنة وعليه ثياب بيض من كتان قال له : ما هذه الثياب ؟ فاخبره . فقال : كم أثمانها ؟ فأخبره بشىء يسير، وصدّقه . فقال له : كم عطاؤك ؟ فقال : ألفان . فقال : ما صنعت فى أول عطاء خرج ؟ فقال : اشتريت به والدتى فأعتقتها ، واشتريت بالثانى ربيبى عبيدا فأعتقته ، فقال عمر : وفقت . وسأله عن الفرائض والسنن والقرآن فوجده عالماً بالقرآن وأحكامه وفرائضه فردّه إلى أبى موسى ، وأمر أمراء البصرة أن يتبعوا رأيه

(١) نقل الحافظ ابن عساكر عن الحافظ أبى نعيم أن زيادا كتب لأبى موسى الأشعرى ، ثم لعبد الله بن عامر بن كريز ، ثم للمغيرة بن شعبة ، ثم لعبد الله ابن عباس ـ كتب لهؤلاء كلهم على البصرة . وكان أمير المؤمنين على أراده أن يوليه البصرة فاشار زياد عليه أن يوليها عبد الله بن عباس ووعده بأن يشير عليه ويعينه

(٢) يعنى عمر

لأظهر أمره صخر بن حرب ولم تكن المقالة عن زياد
وقد طالت مخاتلتى ثقيفاً وتركى فيهم ثمر الفؤاد

فذلك الذى حمل معاوية

واستعمله علىٌّ على فارس ، وحمى ، وجبى ، وفتح ، وأصلح

وكاتبه معاوية يروم إفساده ، فوجه [زياد] بكتابه إلى علىّ بشعر ، فكتب اليه على : « إنى وليتك ما وليتك وأنت أهل لذلك عندى . ولن يُدركَ ما تريد بما أنت فيه إلا بالصبر واليقين . وانما كانت من أبى سفيان فلتة زمن عمر ، لا تستحق بها نسبا ولا ميراثا . وإن معاوية يأتى المؤمن من بين يديه ومن خلفه » . فلما قرأ زياد الكتاب قال : « شهد لى أبو حسن ورب الكعبة » . فذلك الذى جرأ زياداً ومعاوية بما صنعا . ثم ادّعاه معاوية سنة أربع وأربعين ، وزوج معاويةُ ابنته من ابنه محمد . وبلغ الخبر أبا بكرة ـ أخاه لأمه ـ فآلى يميناً ألا يكلمه أبداً ، وقال « هذا زنّى أمه ، وانتفى من أبيه . والله ما رأت سمية أبا سفيان قط ، وكيف يفعل بأم حبيبة(١) : أيراها فيهتك حرمة رسول الله ، وإن حجبته فضحته » . فقال زياد : جزى الله أبا بكرة خيراً ، فانه لم يدَعِ النصيحة فى حال . وتكلم فيه الشعراء ، ورووا عن سعيد بن المسيب أنه قال : أول قضاء كان فى الاسلام بالباطل استلحاق زياد

قال القاضى أبو بكر (رضى الله عنه) : قد بينا فى غير موضع هذا الخبر ، وتكلمنا عليه بما يغنى عن إعادته ، ولكن لا بدّ فى هذه الحالة من بيان المقصود منه فنقول :

---

(١) هى أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبى سفيان وأخت معاوية

كل ما ذكرتم لا ننفيه ولا نثبته لانه لا يُحتاج اليه . والذى ندريه حقاً و نقطع عليه علماً أن زياداً من الصحابة بالمولدوالرؤية (١)، لا بالتفقه والمعرفة . وأما أبوه فما علمنا له أباً قبل دعوى معاوية على التحقيق (٢) ، وإنما هى أقوال غائرة من المؤرخين . وأما شراؤه له فمراعاة للحضانة ، فانه حضنه عنده إذ دخل عليه ، فله نسب بالحضانة اليه إن كان ذلك

وأما قولهم ان أبا عثمان [النهدى] غبطه بذلك ، فهو بعيد على أبى عثمان ، فانه ليس فى أن يبتاع أحد حاضنه أو أباه فيعتقه من المزية بحيث يغبطه عليه أبو عثمان وأمثاله ، لأن هــــذه مرتبة يدركها الغنى والفقير والشريف والوضيع ، ولو بذل من المال ما يعظم قدره ، فيدرى به قدر مروءته فى إهانة الكثير العظيم ، فى صلة الولى الحميم. وانما ساقوا هذه الحكاية ليجعلوا له أباً ، ويكون بمنزلة من انتفى من أبيه

وأما استعمال عمر له فصحيح ، وناهيك بذلك تزكية وشرفاً وديناً

وأما قولهم ان عمر عزله لأنه لم يشهد بباطل ، بل روى أنه لما شهد أصحابه الثلاثة (٣) وعمر يقول للمغيرة : ذهب ربعك ، ذهب نصفك ،

---

(١) ترجم له الحافظ ابن حجر فى (الاصابة) والحافظ أبوعمر بن عبدالبر فى (الاستيعاب) ونقل فى مولده أنه ولد عام الفتح ، وقيل عام الهجرة . وقيل يوم بدر . قال ابن حجر : وجزم ابن عساكر بأنه أدرك النبى ﷺ ولم يره

(٢) من الثابت أن الحارث بن كلدة اعترف بأبوته لنافع أخى زياد لأمه فصار يقال له نافع بن الحارث بن كلدة . ولا يعرف التاريخ أن عبيدا الثقفى أو الحارث بن كلدة اعترفا بزياد

(٣) أصحابه الثلاثة فى الشهادة على المغيرة أخواه لأمه : نفيع، ونافع الذى ينسب الى الحارث بن كلدة ، والثالث شبل بن معبد

ذهب ثلاثة أرباعك ، فلما جاء زياد قال له : إنى أراك صبيح الوجه ، وإنى لأرجو أن لا يفضح الله على يديك رجلا من أصحاب محمد ﷺ

وأما خطبته التى ذكروا أنه عجب منها عمرو ، فما كان عنده فضل علم ولا فصاحة يفوق بها عمراً فمن فوقه أو دونه . وقد أدخل له الشيخ المفترى [1] خطباً ليست فى الحد المذكور

وأما قولهم إن أبا سفيان اعترف به ، وقال شعراً فيه ، فلا يرتاب ذو تحصيل فى أن أبا سفيان لو اعترف به فى حياة عمر لم يَخفْ شيئاً ، لأن الحال لم يكن يخلو من أحد قسمين : إما أن يرى عمرُ إلاطته به [2] كما روى عنه فى غيره فيمضى ذلك ، أو يردّ ذلك فلا يلزم أبا سفيان شىء باقتراف ما كان فى الجاهلية . فذكرهم هذه الحكاية المخترعة الباردة المتهافتة الخارجة عن حد الدين والتحصيل لا معنى له

وأما تولية على له فتزكية

وأما بعث معاوية اليه ليكون معه فصحيح فى الجملة . وأما تفصيل ما كتب معاوية ، أو كتب زياد به إلى على . أو جاوب به علىّ زياداً ، فهذا كله مصنوع

وأما قول على « إنما كانت من أبى سفيان فلتة [زمن عمر] لا تستحق بها نسبا » فلو صح لكان ذلك شهادة ، كما روى عن زياد ، ولم يكن ذلك بمبطل لما فعل معاوية ، لأنها مسألة اجتهاد بين العلماء : فرأى علىّ شيئا ، ورأى معاوية وغيرُه غيرَه

---

(١) لعله يريد الجاحظ ، وأعظم خطبه التى أوردها له فى (البيان والتبيين) خطبته التى تسمى (البتراء) وهى فى أوائل الجزء الثانى

(٢) أى إلحاقه وإلصاقه

وأما (نكتة الكلام) وهو القول فى استلحاق معاوية زياداً وأخذ الناس عليه فى ذلك ، فأى إخذ عليه فيه إن كان سمع ذلك من أبيه؟ وأى عار على أبى سفيان فى أن يُليط بنفسه ولد زنا كان فى الجاهلية . فمعلوم أن سمية لم تكن لأبى سفيان ، كما لم تكن وليدةُ زمعة لعتبة ، لكن كان لعتبة منازع تعين القضاء له ، ولم يكن لمعاوية منازع فى زياد

اللهم ان هاهنا نكتة اختلف العلماء فيها ، وهى أن الأخ إذا استلحق أخاً يقول هو ابن أبى ولم يكن له منازع بل كان وحده . فقال مالك : يرث ولا يثبت النسب . وقال الشافعى ـ فى أحد القولين ـ يثبت النسب ويأخذ المال ، هـذا إذا كان المقَرّ به غير معروف النسب . واحتج الشافعى بقول النبي ﷺ « هو لك يا عبد بن زمعة ، الولد للفراش وللعاهر الحجَر » فقضى بكونه للفراش وباثبات النسب . قلنا هذا جهل عظيم ، وذلك أن قوله ان النبى ﷺ قضى بكونه للفراش صحيح ، وأما قوله بثبوت النسب فباطل ، لأن عبداً ادّعى سببين : أحدهما الأخوّة ، والثانى ولادة الفراش. فلو قال النبى ﷺ : هو أخوك ، الولد للفراش . لكان إثباتاً للحكم وذكراً للعلة . بيدَ أن النبي ﷺ عدل عن الأخوة ولم يتعرض لها ، وأعرض عن النسب ولم يصرح به ، وإنما فى الصحيح فى لفظ « هو أخوك » وفى آخر « هو لك » ، معناه فأنت أعلم به . وقد مهدنا ذلك فى مسائل الخلاف

فالحارث بن كلدة لم يدّع زياداً ولا كان إليه منسوباً ، وإنما كان ابن أَمَته ولد على فراشه ـ اى فى داره ـ فكل من ادعاه فهو له ، إلا أن يعارضه من هو أولى به منه ، فلم يكن على معاوية فى ذلك مغمز ، بل فعل فيه الحق على مذهب مالك

فإن قيل : فلمَ أنكر عليه الصحابة ؟

قلنا : لأنها مسألة اجتهاد ، فمن رأى أن النسب لا يلحق بالوارث الواحد أنكر ذلك وعظّمه

فإن قيل : ولمَ لعنوه ، وكانوا يحتجون بقول النبي ﷺ « ملعون من انتسب لغير أبيه ، أو انتمى إلى غير مواليه » ؟

قلنا : انما لعنه من لعنه لوجهين : أحدهما لأنه أثبت نسبه من هذا الطريق ، ومن لم ير لعنه لهذا لعنه لغيره . وكان زياد أهلا أن يلعن - عندهم - لما أحدث بعد استلحاق معاوية (١)

فإن قيل : جعل النبي ﷺ للزنا حرمة ، ورتب عليها حكما حين قال « احتجبي منه يا سودة » (٢) ، وهذا يدل على أن الزنا يتعلق به من حرمة

(١) وأهم ذلك - عندهم - تسببه فى قتل حجر بن عدى ، وقد مضى الكلام عليه فى ص ٢١١ - ٢١٣

(٢) فى كتاب الأقضية من (موطأ مالك) ب ٢١ ص ٧٤٠ عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : كان عتبة بن أبى وقاص عهد الى أخيه سعد بن أبى وقاص أن ابنَ وليدة زمعة منى * ، فاقبضه إليك . قالت فلما كان عام الفتح أخذه سعد وقال : ابن أخى ، قد كان عهد إلىّ فيه . فقام إليه عبدُ ابن زمعة فقال : أخى ، وابن وليدة أبى ، ولد على فراشه . فتساوقا الى رسول الله ﷺ ، فقال سعد : يارسول الله ، ابن أخى ، قد كان عهد إلىّ فيه . وقال عبد بن زمعة : أخى ، وابن وليدة أبى ، ولد على فراشه . فقال رسول الله ﷺ « هو لك ياعبدُ بنَ زمعة » . ثم قال ﷺ « الولد للفراش ، وللعاهر الحجر » . ثم قال لسودة بنت زمعة « احتجبى منه » لما رأى من شبهه بعتبة ابن أبى وقاص . قالت : فما رآها حتى لقى الله عز وجل . وأخرجه البخارى (ك ٣٤ ب ٣) ومسلم (ك ١٧ ب ١٠ ح ٣٦)

(*) وليدة زمعة : جاريته

الوطء ما يتعلق بالنكاح الصحيح . هكذا قال الكوفيون . ومالك فى رواية ابن القاسم يساعدهم على المسألة ولا يساعدهم على دليلها من هذا الوجه ، وقد بيناها فى كتاب النكاح . وقال الشافعى : العذر فى أمر النبي ﷺ لسودة بالاحتجاب مع ثبوت نسبه من زمعة وصحة أخوته لها بدعوى عبد أن ذلك تعظيم لحرمة أزواج النبي ﷺ لأنهن لم يكن كأحد من النساء فى شرفهن وفضلهن

قلنا : لو كان أخاها بنسب ثابت صحيح كما قلتم ، ويكون قول النبي ﷺ « الولد للفراش » تحقيقاً للنسب . لما منع النبي ﷺ سودة منه ، كما لم يمنع عائشة من الرجل الذى قالت : هو أخى من الرضاعة ، وإنما قال « انظرن من اخوانكن »

وأما ما روى عن سعيد بن المسيب ، فأخبر عن مذهبه فى أن هذا الاستلحاق ليس بصحيح ، وكذلك رأى غيره من الصحابة والتابعين وقد صارت المسألة الى الخلاف بين الأمة وفقهاء الأمصار ، فخرجت من حد الانتقاد الى حد الاعتقاد . وقد صرح مالك فى كتاب الاسلام وهو (الموطأ) بنسبه فقال فى دولة بنى العباس « زياد بن أبى سفيان » ، ولم يقل كما يقول المخاذل « زياد بن أبيه » ، هذا على أنه لا يرى النسب يثبت بقول واحد . ولكن فى ذلك فقه بديع لم يفطن له أحد ، وهو أنها لما كانت مسألة خلاف ، ونفذ الحكم فيها بأحد الوجهين . لم يكن لها رجوع فان حكم القاضى فى مسائل الخلاف بأحد القولين يمضيها ويرفع الخلاف فيها ، والله أعلم

وأما روايتهم أن عمر قال « كرهت أن أحمل فضل عقلك على الناس فهذه زيادة ليس لها أصل . من ناقص عقل . وأى عقل كان لزياد يزيد على

الناس فى أيام عمر (١) ، وكل واحد من الصحابة كان أعقل من زياد وأعلم منه ، ولهذا كل من كمل عقله أكثر من الآخر فهو أولى أن يختلط مع الناس . ويقولون : كان داهية ، وهى كلمة واهية . الدهاء والأرب هو المعرفة بالمعانى ، والاستدلال على العواقب بالمبادى . وكل أحد من الصحابة والتابعين فوق زياد . وتلك الروايات التى يروى المؤرخون ـ من كذبهم ـ فى حيل الحرب والفتك بالناس ، كل أحد اليوم يقدر على مثلها وأكثر منها ، والحيلة إنما تكون بديعة وتنثى وتروى إذا وافقت الدين ، وأما كل حكاية تخالف الدين فليس فى روايتها خير ولا عقل . وكل الناس كما قدمنا ـ وخذ من ولاة بنى أمية خاصة ـ أعقل من زياد وأفصح منه . فلا تلتفتوا إلى ما روى من الأباطيل

نكتة

الولايات والعزلات لها معان وحقائق لا يعلمها كثير من الناس . لقد علمتم أن رسول الله ﷺ مات عن زهاء اثنى عشر ألفاً من الصحابة معلومين . منهم ألفان أو نحوهما مشاهير فى الجلالة ، وولى منهم أبو بكر سعداً وأبا عبيدة ويزيد وخالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل ونفراً غيرهم فوقهم ، وولى أنسَ بن مالك ابن عشرين سنة على البحرين اقتداء بالنبى ﷺ فى عتاب (٢) . ومتى كان استوفى المشيخةَ حتى يأخذ الشبان . وولى عمرُ أيضاً كذلك ، وبادر بعزل خالد . وذلك كله لفقه عظيم

(١) لأنه كان لما دخل على عمر فى السابعة عشرة من عمره على ما نقله البخارى فى تاريخه الأوسط عن يونس بن حبيب عن آل زياد

(٢) عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية (انظر ص ٢٣٤)

ومعارف بديعة بيانها فى موضعها من كتب الإمامة والسياسة من الأصول ، فخذوا فى غير هذا ، فليس هذا الباب ، مما تلوكه أشداق أهل الآداب

وأما ماروى عن معاوية أنه استدعى شهوداً فشهد السلولى وسواه (١) فسلْ من ألحق ما روى عن السلولى ، فانه لم يكن قط . واسعد باسقاط ماروى فى القصة سعيد أو سعد . وأما كلام أبى بكرة ـ أخيه لأمه ـ فيه فغير ضائر له ، لأن ذلك رأى أبى بكرة واجتهاده . وأما قولهم فيها عن أبى بكرة أنه زنّى أمه ، فلو كان ذلك صحيحا لم يضرّ أمه ما جرى فى الجاهلية فى الدين ، فان الله عفا عن أهل الجاهلية كلها بالاسلام ، وأسقط الإثم والعار منه ، فلا يذكره إلا جاهل به

قال القاضى أبو بكر (رضى الله عنه) : والناس إذا لم يجدوا عيبا لأحد وغلبهم الحسد عليه وعداوتهم له أحدثوا له عيوبا . فاقبلوا الوصية ، ولا تلتفتوا إلا الى ما صح من الأخبار ، واجتنبوا ـ كما ذكرت لكم ـ أهل التواريخ ، فانهم ذكروا عن السلف أخبارا صحيحة يسيرة ليتوسلوا بذلك إلى رواية الأباطيل ، فيقذفوا ـ كما قدمنا ـ فى قلوب الناس ما لا

---

(١) السلولى مالك بن ربيعة أبو مريم ، وكان ذلك سنة ٤٤ ، وكان معه فى الشهادة زياد بن أسماء الحرمازى والمنذر بن الزبير ـ فيما ذكر المدائنى بأسانيده ـ وجويرية بنت أبى سفيان والمسور بن قدامة الباهلى وابن أبى نصر الثقفى وزيد بن نفيل الأزدى وشعبة بن العلقم المازنى ورجل من بنى عمرو بن شيبان ورجل من بنى المصطلق ، شهدوا كلهم على أبى سفيان أن زياداً ابنه ، إلا المنذر فشهد أنه سمع علياً يقول : أشهد أن أبا سفيان قال ذلك . فخطب معاوية فاستلحق زيادا ، وتكلم زياد فقال : إن كان ما شهد به الشهود حقاً فالحمد لله ، وإن كان باطلا فقد جعلتهم بينى وبين الله

يرضاه الله تعالى ، وليحتقروا السلف ويهوّنوا الدين ، وهو أعزّ من ذلك ، وهم أكرم منا ، فرضى الله عن جميعهم

ومن نظر إلى أفعال الصحابة تبين منها بطلان هذه الهتوك التى يختلقها أهل التواريخ فيدسونها فى قلوب الضعفاء ، وهذا زياد لما أحسّ المنية استخلف سمرة بن جندب من كبار الصحابة فقبل خلافته ، وكيف يظن به - على منزلته - أنه يقبل ولاية ظالم لغير رشدة ، وهو على ماهو عليه من الصحبة ، وذلك من غير إكراه ولا تقية؟ إن هذا لهو الدليل المبين . فمع من تحبون أن تكونوا : مع سمرة بن جندب ، أو مع المسعودى والمبرد وابن قتيبة ونظرائهم (١) ؟ وهذا غاية فى البيان

قاصمـــة

كانت الجاهلية مبنية على العصبية ، متعاملة بينها بالحمية . فلما جاء الاسلام بالحق ، وأظهر الله منته على الخلق ، قال سبحانه ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ (آل عمران : ١٠٣) ، وقال لنبيه ﴿ لو أنفقتَ ما فى الأرض جميعاً ما ألفتَ بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ﴾ (الأنفال : ٦٣) فكانت بركة النبي ﷺ تجمعهم ، وتجمع شملهم ، وتصلح قلوبهم ، وتمحو ضغائنهم

---

(١) حكمَ القاضى أبو بكر على ابن قتيبة هذا الحكم القاسى وهو يظن أن كتاب (الإمامة والسياسة) من تأليفه كما سيأتى . وكتاب الامامة والسياسة فيه أمور وقعت بعد موت ابن قتيبة ، فدل ذلك على أنه مدسوس عليه من خبيث صاحب هوى . ولو عرف المؤلف هذه الحقيقة لوضع الجاحظ فى موضع ابن قتيبة

واستأثر الله برسوله ﷺ ، ونفرت النفوس ، وتماسكت الظواهر منجرّة ، ما دام الميزان قائما . فلما رفع الميزان ـ كما تقدم ذكره (١) فى الحديث ـ أخذ الله القلوب عن الألفة ، ونشر جناحاً من التقاطع ، حتى سوى جناحين بقتل عثمان ، فطار فى الآفاق ، واتصل الهرج الى يوم المساق . وصارت الخلائق عزين (٢) ، فى كل واد من العصبية يهيمون : فمنهم بكرية ، وعمرية ، وعثمانية ، وعلوية ، وعباسية ـ كل تزعم أن الحق معها وفى صاحبها ، والباقى ظلوم غشوم مقتر من الخير عديم . وليس ذلك بمذهب ، ولا فيه مقالة ، وإنما هى حماقات وجهالات ، أو دسائس للضلالات ، حتى تضمحل الشريعة ، وتهزأ الملحدة من الملة ، ويلهو بهم الشيطان ويلعب ، وقد سار بهم فى غير مسير ولا مذهب

قالت البكرية : أبو بكر نص عليه رسول الله ﷺ فى الصلاة ، ورضيته الأمة للدنيا . وكان عند النبى ﷺ بتلك المنزلة العليا ، والمحبة الخالصة . وولى فعدل ، واختار فأجاد . إلا أنه أوهم فى عمر فانه أمره غليظ ، وفظاظته غلبت . وذكروا معايب . وأما عثمان فلم يخفَ ما عمل وكذلك على . وأما العباس فغير مذكور

وقالت العمرية : أما أبو بكر ففاضل ضعيف ، وعمر إمام عدل قوىّ بمدح النبى ﷺ له فى حديث الرؤيا والدلو والعبقرى كما تقدم (٣) وأما عثمان فخارج عن الطريق : ما اختار واليا ، ولا وفى أحداً حقا ، ولا كفّ أقاربه ، ولا اتبع سَنن من كان قبله . وأما على فجرىء على الدماء . لقد سمعت فى مجالس أن ابن جريج (٤) كان يقدم عمر على أبى بكر

---

(١) فى ص ١٩٠ (٢) جمع عِزَة : العصبة من الناس (٣) فى ص ١٨٨
(٤) عبد الملك بن عبد العزيز المكى أحد الأعلام توفى سنة ١٥٠

وسمعت الطرطوشى (١) يقول : لو قال أحد بتقديم عمر لتبعته

وقالت العثمانية : عثمان له السوابق المتقدمة ، والفضائل والفواضل فى الذات والمال ، وقتل مظلوماً

وقالت العلوية : علىّ ابن عمه وصهرُه وأبو سبطى النبى ﷺ وولدُ النبى ﷺ حضانة

وقالت العباسية : هو أبو النبى ﷺ وأولاهم بالتقديم بعده . وطولوا فى ذلك من الكلام ما لا معنى لذكره لدناءته (٢). ورووا أحاديث لا يحل لنا أن نذكرها لعظيم الافتراء فيها ودناءة رواتها

وأكثر الملحدة على التعلق بأهـــل البيت (٣) ، وتقدمة علىّ على جميع الخلق ، حتى ان الرافضة انقسمت إلى عشرين فرقة أعظمهم بأساً من يقول إن علياً هو الله . والغرابية يقولون إنه رسول الله لكن جبريل عدل بالرسالة عنه إلى محمد حمية منه معه . . . فى كفر بارد لا تسخنه إلا حرارة السيف ، فأما دفء المناظرة فلا يؤثر فيه

عاصمة

إنما ذكرت لكم هذا لتحترزوا من الخلق ، وخاصة من المفسرين ، والمؤرخين ، وأهل الآداب ، فانهم أهل جهالة بحرمات الدين ، أو على

---

(١) من شيوخ المؤلف ، انظر ترجمته فى أول الكتاب

(٢) وأكثر ذلك كان فى زمن دولتهم

(٣) يتخذونهم ذريعة ، ويطعنون فى كثير من أفاضلهم ، ويعرضون بمثل الامام زيد . ثم انهم يخالفون صريح شريعة جد أهـل البيت بدعوى العصمة والتاليه الفعلى لبعض أفرادهم

بدعة مصريّين ، فلا تبالوا بما رووا ، ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث ، ولا تسمعوا لمؤرخ كلاما إلا للطبرى (١) ، وغير ذلك هو الموت الأحمر ، والداء الأكبر ، فانهم ينشئون أحاديث فيها استحقارُ الصحابة والسلف ، والاستخفاف بهم ، واختراع الاسترسال فى الأقوال والأفعال عنهم ، وخروجُ مقاصدهم عن الدين إلى الدنيا ، وعن الحق إلى الهوى . فاذا قاطعتم أهل الباطل واقتصرتم على رواية العدول ، سلمتم من هذه الحبائل . ولم تطووا كشحا على هذه الغوائل . ومن أشد شىء على الناس جاهل عاقل ، أو مبتدع محتال . فأما الجاهل فهو ابن قتيبة ، فلم يبقِ ولم يذر للصحابة رسما فى كتاب (الإمامة والسياسة) إن صح عنه جميع مافيه(٢)

(١) ومع ذلك فالطبرى ذكر مصادر أخباره وسمى رواتها لتكون من أمرهم على بينة ، وقال فى آخر مقدمة كتابه : فما يكن فى كتابى هذا من خبر يستنكره قارئه من أجل أنه لم يعرف له وجها فى الصحة فليعلم أنه لم يؤت فى ذلك من قِبلنا ، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا

(٢) لم يصح عنه شىء مما فيه . ولو صحت نسبة هذا الكتاب للامام الحجة الثبت أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة لكان كما قال عنه ابن العربى ، لأن كتاب الامامة والسياسة مشحون بالجهل والغباوة والركة والكذب والتزوير . ولما نشرتُ لابن قتيبة كتاب (الميسر والقداح) قبل أكثر من ربع قرن . وصدرته بترجمة حافلة له ، وسميتُ مؤلفاته ، ذكرتُ (فى ص ٢٦ - ٢٧) مآخذ العلماء على كتاب الامامة والسياسة ، وبراهينهم على أنه ليس لابن قتيبة . وأزيد الآن على ما ذكرته فى (الميسر والقداح) أن مؤلف الامامة والسياسة يروى كثيرا عن اثنين من كبار علماء مصر وابن قتيبة لم يدخل مصر ولا أخذ عن هذين العالمين ، فدل ذلك كله على أن الكتاب مدسوس عليه

وكالمبرّد فى كتابه الأدبى (١) . وأين عقله من عقل ثعلب الامام المتقدم فى أماليه، فانه ساقها بطريقة أدبية سالمة من الطعن على أفاضل الأمة . وأما المبتدع المحتال فالمسعودى ، فانه يأتى منه متاخمة الالحاد فيما روى من ذلك، وأما البدعة فلا شك فيه(٢). فإذا صنتم أسماعكم وأبصاركم عن مطالعة الباطل ، ولم تسمعوا فى خليفة ممن ينسبُ اليه مالايليق ويذكر [عنه] ما لا يجوز نقله ، كنتم على منهج السلف سائرين ، وعن سبيل الباطل ناكبين

فهذا مالك رضى الله عنه قد احتج بقضاء عبد الملك بن مروان فى موطأه ، وأبرزه فى جملة قواعد الشريعة (٣)

---

(١) المبرد ينزع إلى شىء من رأى الخوارج ، وله فيهم هوى . وإن إمامته فى اللغة والأدب لا تغطى على ضعفه فى علم الرواية والاسناد . وإذا كان أبو حامد الغزالى على جلالته فى العلوم الشرعية والعقلية لم يتجاوز له العلماء عن ضعفه فى علوم الاسناد فأحرى ألا يتجاوزوا عن مثل ذلك للمبرد . وعلى كل حال فكل خبر مما مضى أو سيأتى - فى أمتنا أو فى أى أمة غيرها - يحتمل الصدق والكذب حتى يثبت صدقه أو كذبه على محك الاختبار وبالبحث العلمى

(٢) على بن الحسين المسعودى يعده الشيعة من شيوخهم وكبارهم ، ويذكر له المامقانى فى تنقيح المقال (٢ : ٢٨٢ - ٢٨٣) مؤلفات فى الوصاية وعصمة الامام وغير ذلك مما يكشف عن عصبيته والتزامه غير سبيل أهل السنة المحمدية . ومن طبيعة التشيع والتحزب والتعصب البعد بصاحبه عن الاعتدال والانصاف

(٣) من ذلك ما جاء فى (باب المستكرهة من النساء) بكتاب الأقضية من الموطأ (ص ٧٣٤) : حدثنى مالك عن ابن شهاب أن عبد الملك بن مروان قضى فى امرأة أصيبت مستكرهة بصداقها على من فعل ذلك بها . وفى كتاب

وقال فى روايتـه : « عن زياد بن أبى سفيان » ، فنسبه إليه وقـد علم قصته ، ولو كان عنده ما يقول العوام حقاً لما رضى أن ينسبه ولا ذكره فى كتابه الذى أسسه للاسلام(١) ، وقد جُمع ذلك كله فى أيام بنى العباس والدولة لهم والحكم بأيديهم فما غيروا عليه ولا أنـكروا ذلك منه لفضل علومهم ومعرفتهم بأن مسألة زياد مسألة قد اختلف الناس فيها فمنهم من جوزها ومنهم من منعها ، فلم يكن لاعتراضهم إليها سبيل

وكذلك أعجبهم ـ حين قرأ الخليفة على مالك الموطأ ـ ذكرُ عبدالملك ابن مروان فيه وإذكاره بقضائه . لأنه إذا احتج العلماء بقضائه فسيحتج بقضائه أيضاً مثله ، وإذا طعن فيه طعن فيه بمثله (٢)

ـــــــــــــــ

= المكاتب من الموطأ (ص ٧٨٨) قضاء آخر لعبد الملك ، وفى كتاب العقول من الموطأ (ص ٨٧٢) قضاء له أيضاً . أما أبوه مروان بن الحكم فأقضيته وفتاواه كثيرة فى الموطأ وغيره من كتب السنة المتداولة فى أيدى أئمة المسلمين يعملون بها . وانظر لورع مروان وابنه عبد الملك حديث مالك عن ابن أبى عبلة فى كتاب النكاح من الموطأ (ص ٥٤٠)

(١) وعامر بن شراحيل الشعبى كان من أئمة المسلمين كذلك ، بل إن مالكا كان يراه إماماً له . وقد روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة زياد من تاريخ دمشق (٥ : ٤٠٦) أن الشعبي قال : أتت زياداً قضية فى رجل مات وترك عمة وخالة فقال : « لأقضين بينكم بقضاء سمعته من عمر بن الخطاب » وذلك أنه جعل العمة بمنزلة الأخ والخالة بمنزلة الأخت

(٢) وممن روى عن عبدالملك بن مروان البخارى فى كتابه (الأدب المفرد) وروى عن عبد الملك الامام الزهرى ، وعروة بن الزبير ، وخالد بن معدان من فقهاء التابعين وعبّادهم ، ورجاء بن حيوة أحد الأعلام . قال نافع مولى ابن عمر : لقد رأيت المدينة وما فيها شاب أشد تشميراً ولا أفقه ولا أقرأ =

وأخرج البخارى [١] عن عبد الله بن دينار قال : شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان كتب : إنى أقر بالسمع والطاعة لعبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله ، ما استطعت. وإن بَنىّ قد أقروا بمثل ذلك

وهذا المأمون كان يقول بخلق القرآن ، وكذلك الواثق . وأظهروا بدعتهم ، وصارت مسألة معلومة إذا ابتدع القاضى أو الإمام هل تصح ولايته وتنفذ أحكامه أم هى مردودة ؟ وهى مسألة معروفة . وهذا أشدّ من برودات أصحاب التواريخ من أن فلاناً الخليفة شرب الخمر أو غنى أو فسق أو زنى ، فان هذا القول فى القرآن بدعة أو كفر - على اختلاف العلماء فيه - قد اشتهروا به ، وهذه المعاصى لم يتظاهروا بها إن كانوا فعلوها فكيف يثبت ذلك عليهم بأقوال المخنين والبراد من المؤرخين [الذين] قصدوا بذكر ذلك عنهم تسهيل المعاصى على الناس وليقولوا إذا كان خلفاؤنا يفعلون هذا فما يستبعد ذلك منا . وساعدهم الرؤساء على إشاعة هذه الكتب وقراءتها لرغبتهم فى مثل أفعالهم حتى صار المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، وحتى سمحوا للجاحظ أن تقرأ كتبه فى المساجد وفيها

= لكتاب الله من عبد الملك بن مروان . وروى الأعمش عن ابى الزناد أن فقهاء المدينة كانوا أربعة : سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وقبيصة بن ذؤيب وعبد الملك بن مروان قبل أن يدخل الامارة . وقال الشعبى : ما جالست أحدا إلا وجدت لى الفضل عليه ، إلا عبد الملك بن مروان فانى ما ذاكرته حديثاً إلا زادنى منه ، ولا شعرا إلا زادنى فيه (البداية والنهاية ٩ : ٦٢-٦٣)

(١) فى كتاب الأحكام من صحيحه (ك ٩٣ ب ٤٣ ج ٨ ص ١٢٢) . وانظر السنن الكبرى للبيهقى ٨ : ١٤٧

من الباطل والكذب والمناكير ونسبة الأنبياء إلى أنهم ولدوا لغير رشدة كما قال فى إسحاق ﷺ فى كتاب الضلال والتضلال ، وكما مكنوا من قراءة كتب الفلاسفة فى إنكار الصانع وإبطال الشرائع لما لوزرائهم وخواصهم فى ذلك من الأغراض الفاسدة والمقاصد الباطلة . فإن زل فقيه أو أساء العبارة عالم

يكن ما أساء النارَ فى رأس كبكبا (١)

وبالوقوف على هذه الفصول تحسن نياتكم ، وتسلم عن التعيير قلوبكم على من سبق

وقد بينت لكم أنكم لا تقبلون على أنفسكم فى دينار ، بل فى درهم إلا عدلا بريئاً من التهم ، سليما من الشهوة فكيف تقبلون فى أحوال السلف وما جرى بين الأوائل ممن ليس له مرتبه فى الدين ، فكيف فى العدالة !

ورحم الله عمر بن عبدالعزيز حيث قال وقد تكلموا فى الذى جرى بين الصحابة : ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، ولا تسئلون عما كانوا يعملون ﴾ (البقرة . ١٣٤)

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

---

(١) كبكب : جبل خلف عرفات مشرف عليها . والشعر للأعشى ، وتمامه :

ومن يغترب عن قومه لا يزل يرى	مصارع مظلوم مَجرّاً ومَسحبا
وتدفن منه الصالحات ، وإن يسىء	يكن ما أساء النارَ فى رأس كوكبا

فهرس

صفحة

صفحة

خلافة على

اصطلاحات

١ — اختزلنا فى الفهرس التاريخى كلمة « ابن » بحرف « بـ »

٢ — اعتبرنا فى الترتيب الهجائى أوائل حروف الأعلام . واذا كان فيها « ال» أو «أبو» أو « ابن » و أمثالها ذلك اعتبرنا هذه الزيادات كأنها غير موجودة . فاسم « أبو بكر » يبحث عنه فى « بكر » و « ابن الحيسمان » فى « حيسمان » و « أم اسحاق » فى « اسحاق »

٣ — إذا كان لرجل اسم وكنية أو لقب وضعنا أمام الكنية أو اللقب « : » وبعدها الاسم ليرجع القارىء الى الاسم الذى بعد « : »

فهرس هجائى للاعلام التاريخية

أ

ب

ت — ث

خ

س

غ — ف — ق

فهرس الأعلام الجغرافية

ج - ح - خ

د - ذ - ر - ز

م — ن

بعض المراجع

لكتابة تعليقات الكتاب ، وترجمة القاضي ابن العربي

ديوان ذى الرمة غيلان بن عقبة (٧٧ - ١١٧) . مخطوطتنا الخاصة
موطأ مالك بن أنس (٩٣-١٧٩) بتعليقات الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ١٣٧٠
كتاب الخراج للقاضى أبى يوسف (١١٣ - ١٨٢) . طبع السلفية
» » ليحيى بن آدم (وفاته ٢٠٣) بشرح الشيخ أحمد شاكر . السلفية ١٣٤٧
مسند أحمد (١٦٤ - ٢٤١) . الطبعة الاولى بمصر ١٣١٣
» » بتحقيق الشيخ أحمد شاكر . (صدر منه ٩ أجزاء)
كتاب الزهد للامام أحمد . طبع مكة سنة ١٣٥٧
طبقات ابن سعد (١٦٨ - ٢٣٠) طبع ليدن ١٣٢١
صحيح البخارى (١٩٤ - ٢٥٦) الطبعة السلطانية بالقسطنطينية ١٣١٥
» مسلم (٢٠٦ - ٢٦١) » » » ١٣٢٩
سنن أبى داود (٢٠٢ - ٢٧٥) طبع دهلى ١٢٧٢
سنن ابن ماجه (٢٠٩ - ٢٧٣) . مصر ١٣١٣
جامع الترمذى (٢٠٩-٢٧٩) وشرحه عارضة الأحوذى لابن العربى . مصر ١٣٥٠
سنن النسائى (٢١٥ - ٣٠٣) . مصر ١٣١٢
البيان والتبيين للجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥) . مصر ١٣٣٢
ديوان الحطيئة بشرح أبى سعيد السكرى (٢١٢ - ٢٧٥) . مصر
الميسر والقداح لابن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦) . طبع السلفية ١٣٤٣
فتوح البلدان للبلاذرى (المتوفى سنة ٢٧٩) . مصر ١٣٥٠
أنساب الأشراف للبلاذرى . القدس ٣٦-١٩٣٨
تاريخ الطبرى (٢٢٤ - ٣١٠) . مصر ١٣٢٦
تفسير الطبرى . طبع بولاق ١٣٢٣

المستدرك على الصحيحين للحاكم بن البيع (٣٢١-٤٠٥) . حيدر أباد الدكن ٣٥-١٣٤٢
الأحكام السلطانية للماوردى (٣٦٦ - ٤٥٠) . مصر ١٣٢٧
التمهيد لأبى بكر الباقلانى (وفاته ٤٠٣) . بتحقيق الاستاذ الخضيرى ١٣٦٦
الاستيعاب لابن عبد البر (٣٦٨ - ٤٦٣) بهامش الاصابة . مصر ١٣٢٨
الفصل فى الملل والنحل لابن حزم (٣٨٤ - ٤٥٧) مصر ١٧ - ١٣٢١
الإحكام فى أصول الاحكام لابن حزم . مصر ٤٥ - ١٣٤٨
السنن الكبرى للبيهقى (٣٨٤ - ٤٥٨) . حيدر أباد الدكن ٤٤ - ١٣٥٥
الكفاية للخطيب البغدادى (٣٩٢ - ٤٦٣) ١٣٥٧
معجم ما استعجم للبكرى (وفاته ٤٨٧) بتحقيق الاستاذ مصطفى السقا ١٥ - ١٣٧١
مطمح الأنفس للفتح بن خاقان القيسى (وفاته ٥٣٥) . طبع الجوائب ١٣٠٢
تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٩٩ - ٥٧١) . دمشق ٢٩ - ١٣٥١
النهاية فى غريب الحديث للمجد ابن الأثير (٥٤٤ - ٦٠٦) . مصر ١٣١١
معجم البلدان لياقوت (٥٧٤ - ٦٢٦) . طبعة وستنفلد . لايبسيك ١٨٧٠
وفيات الاعيان لابن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١) . مصر ١٢٩٩
لسان العرب لابن منظور (٦٣٠ - ٧١١) . طبع بولاق ١٣٠٠ - ١٣٠٨
منهاج السنة لشيخ الاسلام ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨) . بولاق ١٣٢١
التمهيد والبيان فى مقتل عثمان لابن بكر الاشعرى (٦٧٤-٧٤١) . مخطوطة دار الكتب
لسان الميزان للحافظ الذهبى (٦٧٣ - ٧٤٨) . مصر ١٣٢٥
تذكرة الحفاظ للذهبى . طبعة حيدر اباد الدكن ٣٣ - ١٣٣٤
البداية والنهاية لابن كثير (٧٠١ - ٧٧٤) . طبع مصر
المرقبة العليا للنباهى (المولود سنة ٧١٣) بتحقيق بروفنسال ١٣٦٧
طبقات الشافعية لابن السبكى (٧٢٨ - ٧٧١) . مصر ١٣٢٤
الديباج المذهب لابن فرحون (المتوفى سنة ٧٩٩) . مصر ١٣٢٩
العبر لولى الدين ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٦) . بولاق ١٢٨٤
الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم لابن الوزير (٧٧٥-٨٤٠). المنيرية ١٣٤٦

الاصابة للحافظ ابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢) . مصر ١٣٢٨
فتح البارى لابن حجر . مصر ١٩ - ١٣٢٩
لسان الميزان لابن حجر . حيدر اباد الدكن ٣٠ - ١٣٣١
تهذيب التهذيب لابن حجر . حيدر اباد الدكن ٢٥ - ١٣٢٧
تقريب التهذيب لابن حجر . لكنو بالهند ١٣٢١
خلاصة تذهيب الكمال للصفى الخزرجى (ألفها سنة ٩٢٣) . طبع مصر ١٣٢٣
شذرات الذهب لابن العماد (١٠٣٢ - ١٠٨٩) . مصر ٥٠ - ١٣٥١
تاج العروس للمرتضى الحسينى (١١٤٥ - ١٢٠٥) . مصر ٦ - ١٣٠٧
فصل الخطاب لعدو الله حسين النورى الطبرسى . إيران ١٢٩٨
تنقيح المقال للمامقانى (١٢٩٠ - ١٣٥١) . طبع النجف ١٣٥٢
شجرة النور الزكية لمخلوف . طبع السلفية ٤٩ - ١٣٥٠
تاريخ القرآن والمصاحف لأبى عبد الله الزنجانى . مصر ١٣٥٤
عثمان بن عفان للشيخ صادق عرجون . مصر ١٣٦٦

